

# التبسيط والاسْتِعْمار

## في البَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ

عرض لجهود المُبْشِّرين التي تحيي إلى  
إِخْضَاعِ الشَّرْقِ لِلْاسْتِعْمَارِ الْغَزَّارِيِّ

تأليف

الدكتور عز الدين فرزنج

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق  
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بيروت  
عضو بجمع اللغة العربية في القاهرة

الدكتور مصطفى مباركي

رئيس مدرسة التمريض الوطنية في بيروت  
أستاذ فن التوليد سابقاً في جامعة بيروت الأميركية  
مؤلف كتاب «الحمل والولادة» وغيره

مطبوعات المكتبة الفخرية  
بيروت - بيروت

حقوق الطبع محفوظة

١٩٨٦

# اهداء الكتاب

إلى كل شاب مسلمٍ وإلى كل شاب مسيحي  
إلى كل شاب وشابة في الشرق

نقدم هذا الكتاب

لتبسط لهم فيه وسائل المبشرين في بلادنا العزيزة وأنهم لم يرموا من وراء تبشيرهم  
إلا خدمة الاستعمار الغربي .

فالي الجيل الناشيء

إلى القيادة العاقلة الكامنة في العالم الإسلامي والعالم العربي

نقدم كتابنا هذا مرشدًا ومنهاجًا

المؤلفان

٢٣ جمادي الاولى ١٣٧٢  
٨ شباط ١٩٥٣



# فهرست الكِتاب

اهداء الكتاب	
مقدمة الطبعة الثالثة	
الكلمة الاولى : منهاج هذا الكتاب	
الكلمة الثانية : رسالة هذا الكتاب	٩
مصادر هذا الكتاب	١٥
توطنة : وجه الحاجة الى هذا الكتاب	٢١
الفصل الاول : بواعت التبشير	٣٤
الفصل الثاني : التطبيب حيلة للتبشير	٥٨
الفصل الثالث : التعليم ميدان فسيح للتبشير :	
(١) التعليم عموماً	٦٥
الفصل الرابع : التعليم ميدان فسيح للتبشير :	
(٢) المؤسسات التبشيرية	٩٠
الفصل الخامس : السياسة طريق التبشير :	
(١) التعاون بين التبشير والسياسة	١١٣
الفصل السادس : السياسة طريق والتبشير :	
(٢) الفتن والخروب في الشرق	١٢٨
الفصل السابع : السياسة طريق التبشير :	
(٣) الادارة الاجنبية في خدمة التبشير	١٤٤

	الفصل السابع : السياسة طريق التبشير :
	(٤) الحياة القومية والاقتصادية
١٦٦	الدعوات الاقليمية ، الصهيونية
١٧٦	الفصل الثامن : التبشير والحركات القومية
١٩١	الفصل التاسع : الاعمال الاجتماعية والتبشير
٢١٧	الفصل العاشر : تشویه الثقافة العربية الاسلامية
٢٣٣	الفصل الحادي عشر : حقائق من افريقيا
٢٦٣	ثلاثة ملاحق
٢٥٧	الفهرس الابجدي لأعلام الاشخاص

## مقدمة الطبعة الثالثة

إذا قلنا إنَّ هذا الكتاب قد أدى رسالته لم نكن مغالين ولا متبجحين (١). يسرنا أن يكون هذا الكتاب «التبشير والاستعمار في البلاد العربية» قد شهد خروج الاستعمار من جميع البلاد العربية، وإن كان الاستعمار الذي خرج هو الاستعمار الرسمي في أكثر الأحيان. ولقد كان من المتظر أن يتوقف هذا الكتاب عن الصدور في طبعات جديدة لأنَّ الغاية الأولى التي رميَنا إليها، وهي فتح عيون المسؤولين سياسياً وثقافياً على أخطار التبشير، قد تحققت في جانبها الرسمي أو السياسي. غير أنَّ البلاد العربية لا تزال، مع الأسف، ترثِّح في رواسب الاستعمار وتعاني آلام التبشير. من أجل ذلك لا بدَّ من صدور هذه الطبعة الثالثة حتى يظلُّ المسلمون الذين خرجت بلادهم من الاستعمار الرسمي فائتين أعينهم على الاستعمار الفعلي الذي يتبدى في التعليم والتطبيب والإذاعات والصحف والمجلات وفي جانب من الأدب الذي يسمونه ظلماً أدب الشباب، وهو في الحقيقة أدب متخلٍ من القيم الروحية والخلقية والاجتماعية، وهو يرمي إلى أن يفكك عرى الأمة العربية حتى يمكن أغلال الاستعمار من أيديها وأرجلها وأعناقها.

إن المعركة في هذا الكتاب لم تكن، منذ صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى ١٩٥٣، معركة خارجية فقط؛ لقد كانت في بعض جوانبها معركة داخلية أيضاً. فمبررات هذه الطبعة اذن لا تزال كثيرة: رواسب الاستعمار، أشكال الاستعمار الجديدة بعد انفراط الاستعمار الرسمي في البلاد العربية، تبدل وسائل التبشير توصلاً إلى تثبيت نتائج الاستعمار القديم ثم تبييه الغافلين من شبان العرب إلى المزاليق التي تلقى في طريقهم.

في أثناء وجود الطبعة الثانية في الأسواق العربية نقل هذا الكتاب إلى اللغة الروسية وظهرت منه طبعتان في تلك اللغة، فاستطاع هذا الكتاب أن يُؤْدي رسالة جديدة وراء النطاق الذي كنا قد رسمناه له من قبل.

إن جميع ما خبرناه في العشر السنوات التي شهدت تنقل هذا الكتاب بين الأيدي يدل بكل جلاء على أنَّ التبشير وسيلة إلى الاستعمار، وأنَّ المبشرين ليسوا – سواء أعلموا أم

لم يعلموا ، قصدوا أم لم يقصدوا — سوى طلائع لمطامع الاستعمار . إن الاستعمار قد قتل باتریس لومومبا ، في عام ١٩٦١ ، مع أن لومومبا صابىء من الوثنية إلى النصرانية بفعل التبشير ، لأنه أراد أن يكون في الكونغو استقلال صحيح . وأبرز من ذلك للعيان أن الولايات المتحدة التي ترسل الارساليات إلى العالم للعمل على نشر النصرانية قد وقفت ، في عام ١٩٦٣ ، مع البوذيين في فيتنام ضد الحكومة المسيحية في ذلك البلد . إن الدول التي تموّل الأعمال التبشيرية عملاً بـ الدولارات لا يهمها الذين يصيّرون إلى النصرانية إذا كان هواهم السياسي لا يوافق هواها الاستعماري .

• • •

ولقد رأينا أن نزدف هذه الطبعة ببعض صفحات تتعلق بالتبشير والاستعمار في إفريقيا ، في بلاد عربية وفي بلاد غير عربية ، فالاستعمار شرّ مُعْدٍ ينتقل بين البلاد ولا يفرق بين الجنسيات .

إننا نرجو أن تؤدي هذه الطبعة قسطها من الرسالة التي بدأتها الطبعة الأولى وأكملتها الطبعة الثانية . وعسى أن يتقرّض الاستعمار كلّه من جميع البلاد وأن يبطل التبشير احتراماً للحرية الإنسانية واحتراماً للدين نفسه إجلالاً له عن أن يكون وسيلة مادية لمغامن دنيوية . وإذا نحن تطرّقنا في موقفنا إلى الجانب الاقصى رأينا أن نقرأ من المبشرين قد احترفوا نقل المعلومات بين الدول في ثياب التبشير :

وزعت وكالة تاس السوفياتية في بيروت (١) مقالاً نشرته جريدة « برافدا » في موسكو لراسلها في بكين عاصمة الصين . وقد جاء في هذا المقال : « لقد أدخل الاستعماريون الأميركيّون إلى الصين مبشرين من مختلف المذاهب استخدموهم منذ أمد بعيد في أعمال الحاسوبية » .

في هذا المقال اتهامات موجهة وواقع مسرودة قد تكون ، من حيث التفاصيل ، موضع جدل ، وقد يكون فيها مبالغة كما قد يكون فيها ظلم لنفر من المبشرين المخلصين لمذاهبهم وعملهم فيما يتعلق بهم أنفسهم . ولكن الذي لا ريب فيه أن الدول المستعمرة ، جميع الدول المستعمرة ، قد بخلت إلى الثوب الديني لتشيّط نفوذها ونشر مبادئها وخدمة مصالحها في كل مكان استطاعت فيه إلى ذلك سبيلاً .

يرى القارئ في ثيابا هذا الكتاب أن نقرأ من المبشرين كانوا مخلصين لعملهم الروحي

---

(١) في النشرة الصادرة في الثالث عشر من حزيران من عام ١٩٥١ ( واحد وخمسين ) في العدد ١١٣ ( مائة وثلاثة عشر ) .

أو الديني ، اخطأوا في ذلك أم لم يخطئوا . وليس من غaitتنا في هذا الكتاب أن نتعرض للتبيشير كحركة دينية يقع فيها التنازع ، ولكننا نريد أن نبرز الصلة الموجودة في معظم الأحيان بين التبيشير في صوره المختلفة وبين التمهيد للنفوذ الاجنبي ثم بين التبيشير وبين تثبيت هذا النفوذ في العالم العربي . الواقع أن هذه الصلة موجودة وبارزة جداً .

وما يلاحظ أن بريطانية وفرنسا حرستا ، قبل أن تخروا مضطربتين من عدد من مستعمراتهما الأفريقية ، على أن تمهد في كل دولة اعطيت استقلالها السياسي ، لمجيء رجل صابيء إلى رئاسة الدولة في المستعمرة المستقلة حديثاً . إنما تعتقدان أن الصابيء يكون أميل إلى السياسة الغربية من غير الصابيء ، ذلك لأن المسيحية في رأيهما تجمع بين ذلك الصابيء وبينهما أكثر مما تجمع بين الصابيء وبين قومه الأولين من المسلمين أو الوثنين . ومع أننا عرفنا نفراً من هؤلاء قد خيبوا ظن بريطانية وفرنسا في ذلك ، فإن نفراً آخرين كانوا كما شاءت بريطانية وفرنسا . ولعل القطعة التالية المأخوذة من مجلة روز اليوفس ، مع شيء من التلخيص والتصرف ، تمثل الحال الثانية تمثيلاً صحيحاً :

تُوقعُ البعثات التبشيرية في السنغال مع عدد من الأسر السنغالية الفقيرة عقوداً تقدم موجبها تلك البعثات التبشيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية (ضئيلة) من أرز مثلًا في كل شهر على أن يكون لها حق باختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها . ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا هي خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلًا) .

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبياً دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى مدرسة (تبشيرية طبعاً) . وينقطع الصبي عن أهله ويُنشأ تشنّة مسيحية ثم يُرسل إلى فرنسة لاتمام علمه العالي . بعدئذ يُعاد إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التي تتوافق هوى فرنسة .

وحيثما يعود الصبي السنغالي الذي أصبح رجلاً مسيحيًا فرنسيًا إلى السنغال يمنع حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف . ويضرب كاتب المقال في مجلة روز اليوفس (في العمود الرابع ، الاسطر ٤١ - ٤٤) على ذلك مثلاً فيقول :

— أنت تعلم أن كلمة «سانجور» (اسم رئيس جمهورية السنغال الحالي) معناها

(١) القاهرة ، السنة ٣٩ ، العدد ١٨٤٧ ، بتاريخ الاثنين في ٤ - ١١ - ١٩٦٣ ، الصفحة ٢٦ .

«سان جورج (القديس جورج) » ... وأن رئيس الجمهورية مسيحي .. لكن أبوه وانحوه مسلمون .

وفي الصفحة المشار إليها من مجلة روز اليوسف مقطع متمم لمؤسسة الناتجة من التبشير والاستعمار :

اتفق أن كان أول رؤساء الوزارة في السنغال رجل مسلم اسمه محمد ضيا (١) . وكان محمد ضيا يرى أن من مصلحة بلاده أن تستقل عن المجموعة الفرنسية وتنهج طريق الحباد والاشراكية . وسافر محمد ضيا إلى دول الكتلة الاشتراكية .. ثم عاد ليجد نفسه متهمًا بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم . وسُجنَّ محمد ضيا وأصبحت جميع السلطات في يد «سانجور» رئيس جمهورية السنغال بعد أن أصبح نظام الحكم رئاسياً (٢) .

وما يدل على أن الروح الدينية الصحيحة شيء وأن التبشير شيء آخر برقية نشرتها جريدة الطيار والتغريف (١) . هذه البرقية هي التالية :

«برمنغهام - ولاية ألاباما (الولايات المتحدة الأميركيّة) - روبيز :

دمّر انفجار عنيف كنيس (٢) للزوج أثناء قداس هنا اليوم وأصاب الأبنية المجاورة بأضرار . وذكر البوليس أن أربعة من الزوج قتلوا في الحادث وأصيب عدد آخر بجرح » .

ان هؤلاء الزوج لما حملوا على النصرانية في الولايات المتحدة ، بداع مختلف ، لم يصيروا جزءاً من المجتمع المسيحي فهم هنالك منبوذون مقهورون بالتمييز العنصري . والأمريكيون البيض يريدون من هؤلاء أن يسايروا السياسة الأميركيّة في الداخل والخارج من غير أن يتمتعوا بشيء من امتيازات البيض أو من حقوق البيض على الأقل .

(١) جاء محمد ضيا إلى بيروت وتزوج فتاة بيروتية مسلمة .. ومن الطريق أن عدداً من المراتد كافى تكتب اسمه هكذا : «مامادو ديا» .

(٢) بيروت ، ١٦ - ٩ - ١٩٦٣ ، الصفحة ١٢ أسفل المسود الرابع .

(٣) كما في الأصل ، والمقصود : كنيسة .

## الكلمة الاولى

### مراجعة لهذا الكتاب

لعل كتابنا هذا يصلح ان يكون دليلاً في يد الجيل الناشئ ، يتبع فيه جهود المبشرين وسعفهم الى زعزعة عقيدة الناشئة الشرقية عامة والإسلامية خاصة ، ثم تهيئة هذه الناشئة باساليبهم المختلفة لقبول التفؤذ الغربي والاستكارة الى الاستعمار .

لقد كنا دائمآ نعتقد أن المدارس الأجنبية والمؤسسات الأجنبية – حتى الجمعيات الخيرية والعلمية التي ينشئها الأجانب في بلادنا على اختلاف الأسماء والتزارات ، والأديان والدول – إنما هي في الحقيقة سبلٌ تتشعب عند الانطلاق ولكنها تلتقي عند غاية قصوى واحدة : السيطرة على الشرق ، السيطرة الثقافية والدينية والسياسية . ولقد تبين لأصحاب هذه المؤسسات ان المسلمين خاصة اصلب الناس عوداً في تقبّل هذا التفؤذ الأجنبي فراحوا يوجهون جهودهم الى المسلمين خاصة ، مع الإهتمام بغير المسلمين من الشرقيين ، على ما يبدو جلياً في ثانياً هذا الكتاب .

ولقد اتفق لكثير من الناس ان اعتقادوا مثلنا ان المدارس والمستشفيات ومؤسسات الإحسان إنما هي مؤسسات منظمة للتبشر في الدرجة الأولى . ولكن القليلين فقط يدركون ان هذه المؤسسات نفسها ، وان كثيراً من البيوت التجارية الأجنبية والهيئات الرسمية الأجنبية ، كانت ولا تزال وسائل للتبشر المهد لبسط التفؤذ الأجنبي . ومن هنا كان يعتقد ان الفتن الطائفية كان ينفع فيها رجال أتوا الى هذه البلاد يضعون على اجسامهم ثياب التقوى ويتحللون مظاهر العلم؟ ومن هنا كان يصدق ان رجالاً جاءوا الى بلادنا ليروأسوا

مؤسسات علمية مشهورة بالعلم كانوا مبشرين في الدرجة الأولى؟

لقد حرّضنا نحن على أن ثبت هذه التهم الكبرى بشهادـة من كتب المبشرـين أنفسـهم .  
لـمـنـجـعـاً أو تـصـريـحاً ، ولـقـدـ فـضـلـناـ فيـ الاـسـتـشـاهـادـ التـصـريـحـ عـلـىـ التـلـمـيـحـ .

أما الكتب التي رجعنا إليها ودرستها فإنـها تـعـبـاـ عـلـىـ الـحـصـرـ ، اـنـهـ تـعـدـ بـالـمـثـاتـ ، ولـكـنـاـ  
نـخـنـ لـمـ ثـبـتـ الشـواـهـدـ الاـ مـنـ نـوـعـينـ مـنـ هـذـهـ الـكـتـبـ الـكـثـيرـةـ : كـتـبـ الـمـبـشـرـينـ الـمـعـرـوفـينـ ،  
وـالـكـتـبـ الـتـيـ تـصـرـحـ بـغـايـاتـهاـ تـصـريـحاـ لـاـ تـوـاءـ فـيـهـ وـلـاـ غـمـوضـ (١)ـ .

وكـذـلـكـ لـمـ ثـبـتـ نـخـنـ كـلـ شـيـءـ وـرـدـ فـيـ هـذـهـ الـكـتـبـ ، فـانـ كـثـيرـاـ مـاـ وـرـدـ فـيـهاـ مـكـرـرـ فـيـهاـ  
جـمـيعـهاـ ، ثـمـ انـ بـعـضـ الـآـراءـ وـالـحـقـائـقـ تـتـفـرـعـ مـنـ أـصـوـلـ مـعـرـوفـةـ . ولـقـدـ اـكـتـفـيـناـ بـأـصـوـلـ  
الـحـقـائـقـ وـالـآـراءـ وـاعـتـقـدـنـاـ أـنـ الـقـارـئـ الـكـرـيمـ يـسـطـعـ أـنـ يـدـرـكـ الـفـروـعـ التـفـصـيلـيةـ  
بـأـهـونـ نـظـرـ .

علـىـ أـنـنـاـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ سـتـتـنـاـولـ الـكـلـامـ عـلـىـ الـأـمـةـ الـاسـلـامـيـةـ ، وـسـنـخـصـ بـالـكـلـامـ بـلـادـ  
الـشـرـقـ الـعـرـبـيـةـ مـنـ مـرـاكـشـ غـربـاـ إـلـىـ الـعـرـاقـ شـرقـاـ ، وـمـنـ أـعـالـىـ الشـامـ شـمـالـاـ إـلـىـ  
الـيـمـنـ جـنـوبـاـ .

لمـ يـحـاـولـ أـحـدـ بـعـدـ وـضـعـ مـثـلـ هـذـاـ الـكـتـابـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ . ولـقـدـ رـأـيـناـ أـنـ وـاجـبـاـ الـدـينـيـ  
وـالـقـومـيـ وـالـوـطـنـيـ يـدـعـونـاـ إـلـىـ أـدـاءـ هـذـاـ الـوـاجـبـ وـحـمـلـ هـذـهـ الرـسـالـةـ عـلـىـ بـعـدـهـاـ عـنـ مـبـاحـثـ  
اـخـتـصـاصـنـاـ وـعـلـىـ طـوـلـ الـوقـتـ الـذـيـ تـتـطلـبـهـ . إـلـاـ اـنـاـ أـدـرـكـنـاـ أـنـ السـكـوتـ عـنـ هـذـاـ الـخـطـرـ  
أشـدـ ضـرـرـاـ عـلـىـ قـوـمـنـاـ مـنـ اـهـمـالـ مـوـضـوعـاتـ اـخـتـصـاصـنـاـ . وـنـخـنـ نـعـتـقـدـ أـنـ الـقـارـئـ بـعـدـ أـنـ  
يـبـدـأـ قـرـاءـةـ هـذـاـ الـكـتـابـ سـيـرـيـ صـوـابـ ماـ نـقـولـهـ . اـنـ التـبـشـيرـ أـشـدـ ضـرـرـاـ عـلـىـ بـلـادـنـاـ مـنـ  
الـاسـتـعـمـارـ ، لـأـنـ الـاسـتـعـمـارـ لـمـ يـنـقـذـنـاـ إـلـىـ بـلـادـنـاـ إـلـاـ تـحـتـ ستـارـ التـبـشـيرـ !

فحـبـذاـ اـنـ يـصـلـ كـتـابـنـاـ هـذـاـ إـلـىـ الـأـيـدـيـ الـيـةـ اـنـ تـسـتـفـيدـ مـاـ فـيـهـ مـنـ درـسـ وـمنـ  
حـقـائـقـهـ الـمـجـمـوعـةـ ، ثـمـ تـضـعـ هـيـ مـنـاهـجـهـاـ الـخـاصـةـ لـتـابـعـةـ الرـسـالـةـ : مـقاـوـمـةـ التـبـشـيرـ مـنـ  
الـنـاحـيـةـ الـعـمـلـيـةـ فـيـ الـبـيـانـاتـ الـمـخـلـفـةـ بـكـلـ سـيـلـ مـكـنـةـ .

---

(١) رـاجـعـ الـكـلـمـةـ الثـانـيـةـ .

ان الاسلام صلب الشرق . فاذا وهن الاسلام وهن الشرق كله . فعسى ان تكون  
فعلاً قد أديتنا خدمة للفترة المختارة من قومنا ومن امتنا من اولئك الذين يتطلعون الى  
اصلاح قريب لأنهاض العرب وايقاظ المسلمين .

**المؤلفان**

٢٣ جمادى الأولى ١٣٧٢  
٨ شباط ١٩٥٣



## الكلمة الثانية

# رسالة هذا الكتاب

إذا قلنا ان هذا الكتاب قد أدى رسالة لم نكن مغالين ولا منبهجين . لقد فتح هذا الكتاب عيوناً كثيرة على أخطار كانت خافية على نفر كبير من المخلصين من لا يعرفون اللغات الأجنبية ليقرأوا ما يكتب فيها ، ومن يعرفون اللغات الأجنبية ولكن لم يرزقوا الجلد على تبع الموضوعات الحافحة كموضوع التبشير ، ثم من يضيق وقفهم بأعمالهم السياسية او الادارية او المهنية عن القراءات الواسعة في الكتب وال مجلات . ثم انه ليس من الحق ولا من الممكن ان نطلب من كل مخلص ان يفعل ما فعلناه نحن : أن يسلخ عشر سنوات في تبع هذا الموضوع واقتاصص آثار المشررين في أنحاء الوطن العربي . من أجل ذلك قمنا نحن بهذا العمل وقدمنا خلاصة له في صفحات قليلة . وليتق القاريء بأن الآخر المفید الذي أحدهه هذا الكتاب قد أنسانا السهر في تفصيّ مواده من كل مصدر ومن كل مرجع . ولقد ملأ نفوسنا غبطة ان نقرأ كريماً من الحكمين ومن المشرفين على الحركات الاصلاحية قد عُنوا بهذا الكتاب ورأوا فيه ما قصدنا نحن منه : هنالك أخطار كثيرة انتشارها أخطار ، وكنا نعتقد بوجودها من قرائن كثيرة ؛ ولكن الأدلة المقنعة كانت تعوزنا . فلما جاء هذا الكتاب واستخرج الأدلة من كتب المشررين والمستعمررين انفسهم لم يبق مجال للشك في صحة ما كنا نشعر به وصواب ما كنا نعتقد .

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب منذ ثلاث سنوات ، فلما أردنا اصدار هذه الطبعة

الثانية كان قد تجمّع لدينا مصادر ومراجع كثيرة جداً . وكان بعض هذه قد صدر بعد خروج الطبعة الأولى ، كما كان بعضها قديماً ولكن لم نستطع في ذلك الحين ان نصل اليه . على ان قسماً كبيراً من هذه الكتب لا ينطوي على مادة جديدة ، ولم يكن من خطتنا ان نجمع الأشياء المشابهة – وإن كان جمعها يفيد احياناً – لثلا يزيد حجم الكتاب كثيراً فيخرج من متناول القارئ العام وي فقد جانباً من رسالته . وكذلك حرصنا على ان نقصر اعتمادنا في هذه الطبعة ايضاً ، كما فعلنا في الطبعة السالفة ، على المصادر الأجنبية مما بينا الغاية منه في « الكلمة الأولى » . ولتكن شذوذنا عن هذه القاعدة فيما يتعلق بثلاثة كتب :

## أ - الغارة على العالم الإسلامي (١) :

كانت مجلة العالم الإسلامي الفرنسية (٢) قد نشرت موجزاً لمقررات عدد من المؤتمرات التي عقدها المبشرون البروتستانت بقلم أ . لو شاتليه . وقد رأى مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ان يلخصا ما نشره لو شاتليه وينشراه تباعاً في جريدة المؤيد التي كانا يحرران فيها ، وذلك في سنة ١٣٣٠ للهجرة (١٩١٢ م ) . ثم انهما أعادا نشر هذه المقالات نفسها في جريدة الفتح المصرية سنة ١٣٤٩ للهجرة (١٩٣٠ م ) . بعدئذ جمعاها في كتاب مستقل صدر عن المطبعة السلفية ومكتبتها في العام التالي . ولا ريب في أن وضع مثل هذا الكتاب في يد القارئ المسلم كان عظيم النفع . ولكن الكتاب في حقيقته خلاصة لجهود المبشرين كما يراها المبشرون ، فهو وإن كان ينبع على أضرار التبشير فإنه لا يربط جهود المبشرين بالنتائج الدينية والسياسية التي أدت فعلاً إلى الأضرار بالعالم الإسلامي . ثم ان هذا الكتاب خلاصة عربية لخلاصة افرنجية ملادة انكليزية محدودة .

ومع ان جميع المخصصات في كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » كانت في شكلها المطول وفي كتبها الأصلية من مصادر كتابنا « التبشير والاستعمار » ، فإننا نعتقد ان كتاب « الغارة » هذا قد أدى خدمة في زمانه ، وإن مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب قد حاولا فتح عين المسلمين على شيء من أخطار التبشير منذ نحو جيلين من الدهر .

(١) مجموع مقالات « نلخصها ونقلها الى اللغة العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب » من : *La Conquête du Monde Musulman*, par A. Le Chatelier,

نشرت في جريدة المؤيد ( مصر ) سنة ١٣٣٠ ( الهجرة ) وفي صحيفه الفتح ( مصر ) سنة ١٤٤٥ هـ ، ثم جمعت في كتاب نشرته المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ( ١٩٣١ م ) .

(٢) *Le Monde Musulman*.

## ب — لبنان الطائفي (١) :

أريد من هذا الكتاب ان يكون « رداً » على كتاب « التبشير والاستعمار » ، ولكنه جاء سندًا له وشهادة مزكاة فيه . ثم ان صاحبه قد ذكر فيه أشياء لو ذكرناها نحن او لو ذكرنا مثلها لأثرنا عاصفة هوجاء تضييع في ريحها الغاية التي توخياناها .

ألف هذا الكتاب أنيس صايغ ، وهو مثلاً خريج الجامعة الأمريكية في بيروت . ونشر الكتاب « دار الصراع الفكري » ، وهي مؤسسة يشرف عليها الحزب القومي السوري . فإذا كان أنيس صايغ قد ألف هذا الكتاب بدافع من نفسه هو فقد وجّب علينا شكره لأنّه عرض للموضوع بانطلاق . ومع انه قد نسب إلى الإسلام وإلى نفر من المسلمين تهمًا متعددة ، فإننا نفتخر له فهو اهله فيها لقلة عنابته بالتاريخ وتعليله ولخداثة سنه وضاللة اختباره . ثم انه قد عرض للطائفية للتبيشير وللدول الأجنبية التي استترت وراء التبشير والمبشرين لتغذية الطائفية وإثارة الفتن توصلًا إلى الاستعمار ، وخصوصاً في سوريا ولبنان ، بصرامة وإصرار نزعًا عن المسائل الاستعمارية في بلادنا ستاراً كان كثيفاً . ومع ان أنيس صايغ قد حاول ان « يوزع » التهم بين الدين اتهمهم بالسوية ، فإنه جعل مركز الثقل في مكان دون مكان ، لأنّ ضميره كان مستيقظاً وهو يوّلّ كتابه ، سوى غفوات يسيرة كان يذكر فيها « المسيحيين » وهو يقصد « البيزنطيين » . ولكنه كان أحياناً يعود فيستيقظ ويشكّاً ليذكر البيزنطيين من غير ان يحاول الإيحاء للقارئ ، من طريق تسميتهم باسم آخر ، بأنّهم من أهل البلاد الوطنيين . الواقع ان المراجع التي أخذت عنها قد خدعته كثيراً في هذا الشأن .

واما اذا كان أنيس صايغ قد استجاب في تأليف كتابه لنفر افلتت الإشارة إليهم منه في مواضع ظاهرة في ثنايا كتابه ، فإن علينا ايضاً ان نشكّره . لقد أرادوا منه ان يحملهم على ضميره فحملهم على علمه ، وأرادوا منه ان يعنفهم على خصومهم فأعان الحق عليهم . انا نحن لا نزال نعتقد ان التبشير كلّه شر . لأنّ الاميركيين والإنكلزيز والفرنسيين والهولنديين ومن لف لفهم يقولون خيراً بأفواههم بينما آثار ايديهم ظاهرة لنا في فلسطين والمغرب والهند الصينية وقبرص وكشمير وجنوبي افريقيا وفي الولايات المتحدة نفسها . ان على هؤلاء كلّهم ان يغسلوا ايديهم من دماء ضحاياهم على الأقل قبل ان يمثلوا على

(١) تأليف أنيس صايغ ، دار الصراع الفكري ، بيروت ١٩٥٥ .

مسرح الإنسانية دور المحسن الكريم . ان أستاذة الجامعات في الولايات المتحدة هم الذين يشقون الزنوج الأميركيين على جذوع الأشجار ، وهم الذين ينشرون الظلم الأميركي في العالم . ان هؤلاء الأساتذة يتلذبون توجيه الناشئة في أيديهم ، والناشيء الأميركي لا يولد وهو يحمل العداوة للشعوب الملونة ، ولكنه يحملها بعد أن يولد ، يحمله اباه أبواه او معلمه او قادته . فكيف يصح في العقل ان الأساتذة الأميركيين الذين يعلمون أهل الأرض بـعجزيون عن تعليم أبنائهم ؟ اما نحن العرب فانا خيرون ، على اختلاف أصولنا ومذاهبنا . وما تناحرنا الحاضر إلا لأن المصالح الأجنبية تعهدنا بالشر . يجب على الحكومات العربية كلها ان ترحب نشاط هذه المؤسسات الأجنبية كلها – والمؤسسات العلمية في الدرجة الأولى حتى يرتفع الشر كله من البلاد العربية .

لقد كان من المتظر ان يحدث كتاب « لبنان الطائفي » ضجة لأنه تكلم عن نفر من ذوي المراكز المرموقة وعن بعض المؤسسات بما يوجب اتهام بعضها عند بعض في قوميتها ووطنيتها ، حسب ما ينظر كل فريق من الفريقين الى القومية والوطنية . ثم انه سمي اشياء بأسمائها ونسبها الى اشخاص بأسمائهم . ولكن ضياع اثر الكتاب بعد خفوت صوته دليل على انه لم يلق « ترويجاً » ، إذ يبدو ان الذين كان بهم ان يظهر هذا الكتاب على ما تخيلا ليروجوا له رأوه ، بعد أن طبع ، على خلاف ما أملأوا فسكتوا . أمّا وأينا في هذا الكتاب فهو انه يجب على المواطنين المحبين لوطفهم ان يقرأوه حتى يعرفوا الزوابا التي يهب علينا منها ريح الاستعمار ، والخفر التي تسب منها القلاقل والفتنة .

### ج - الاستعمار عدو الشعوب :

هذا الكتاب بقلم عبدالعزيز فهمي (١) ، ويمتاز بأنه يحاول ان يرى الاستعمار في صوره المختلفة ، غير انه يؤكد جوانبه المادية وحدتها ويعرج على التبشير تعرجاً . وهذا الكتاب يضرب أمثلة مفيدة تساعد على فهم الاستعمار الغربي النازل بالشرق مع المشاريع الاقتصادية الغربية .

\* \* \*

وهنالك كتاب آخر لا بد من ذكره هنا وان كنا لن نأخذ منه شيئاً ولن نعطيه شيئاً ولن

(١) مكتبة الهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

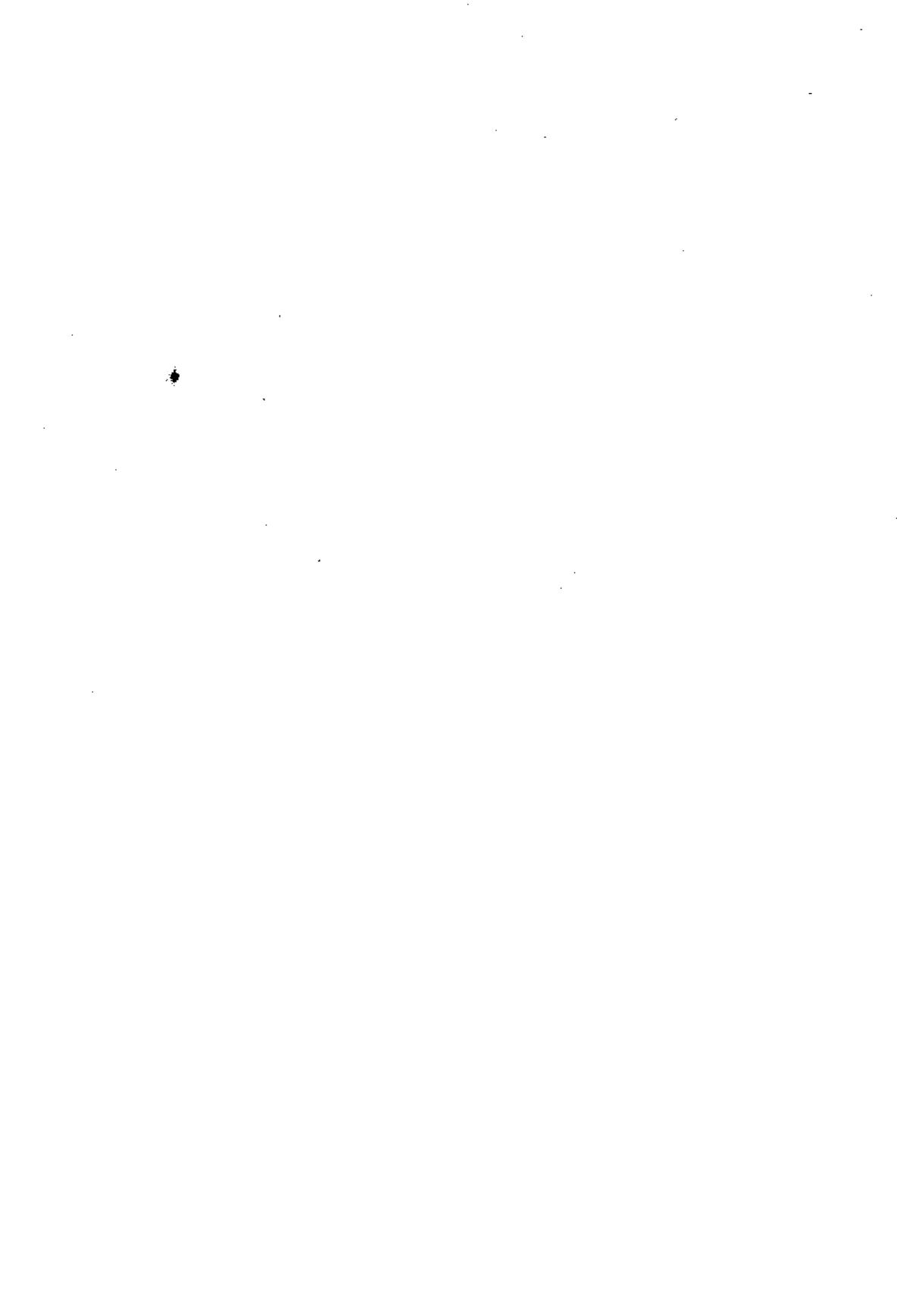
نستشهد به ، لأن غايتنا مخالفة لغايته ، وطريقنا إلى القارئ غير طريقه . هذا الكتاب اسمه «لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الأوسط ». هذا الكتاب الذي ظهر في اللغتين العربية والإنكليزية ، وفي الفرنسية والاسبانية وغيرهما في الأغلب ، ثم وزع في المهاجر المختلفة في الأكثر لا يحمل اسم مؤلف ولا اسمًا لمكان الطبع ولا تعيناً لزمان الطبع . والذي يقرأ هذا الكتاب لا يخفى عليه ما أريد منه من الدس على أبناء الوطن وعلى التاريخ والحقيقة . ومع أن هذا الكتاب الصغير ( فهو واحد وخمسون صفحة باللغة العربية ، وخمسة وثلاثون بالإنكليزية ) قد يثير حفيظة الجاهمل إذا قرأه فإنه يثير شفقة العاقل على الذين كتبوه ونشروه ، فهو فضلاً عما فيه من افتراء على التاريخ ، بعيد جدًا عن كل فكرة سياسية صحيحة . ونحن لا نريد تفتييد ما في الكتاب بعد أن قررنا ألا نستشهد به في كتابنا .

• • •

اننا نرجو ان يستمر كتابنا هذا في اداء رسالته بين عامة القراء فيفتح عيونهم على اخطار التبشير ثم ينبعهم الى الطرق التي يتلافون بها تلك الاخطار . وكذلك نرجو ان يظل دليلاً صالحاً في ايدي القائمين على الحركات الاصلاحية . ان هذا الكتاب اذا حقق ذلك ، او حقق بعضه فقط ، يكون قد أدى رسالته كلها ، او أدى بعض رسالته على وجهها .

الأحد ٣ شوال ١٣٧٥

المواعظ



## مَصَادِرُ هَذَا الْكِتَابِ

مصادر هذا الكتاب كثيرة جداً ، ولكننا نختزل هنا بذكر نحو مائة مصدر ومرجع ، ثم بعدد آخر يحمله القارئ في ثناباً الحواشي . ويلاحظ القارئ اننا اهملنا في هذا الفهرس أنواعاً من الكتب : أولاً الكتب العربية بأنواعها ، لأن المهم ان نرى ما يتول الأجانب لأنفسهم عنا ، لا أن نرى ما يقول عن أنفسنا . ثم اننا أهملنا الكتب التي تبحث في الإسلام بحثاً موضوعياً ، إذ لا صلة لها بموضوعنا البتة . وكذلك أهملنا كتب الردود والمهاترات والكتب التي ألفها أصحابها للتحامل على الإسلام فقط ، ذلك لأنها كتب لا قيمة لها في شيء . ونحن نحب ان يلاحظ القارئ أنواع هذه الكتب واتجاهها وما تدل عليه عنوانيتها . فإنها وحدها دراسة كاملة . ثم ان القارئ يستفيد من هذه الكتب إذا أراد ان يتبع الموضوع بنفسه.

Addison — The Christian Approach to the Moslem, By James Thayer Addison,  
N. Y. 1942.

All-Persia intermission Conference. Teheran 1926, Mission problems in New  
Persia, London 1926.

The American Mission in Egypt 1851 - 1896, Pittsburg 1896.

Becker — Islamstudien, von C. H. Becker, zwei Baende, Leipzig 1924 und 1932.

Bianquis - Les nouveaux devoirs du protestantisme français en Syrie, Paris 1926

Bliss — Reminiscences of Daniel Bliss, London 1920.

Bliss (E) — Ecumenical Missionary Conference, By Edwin M. Bliss, N. Y. 1900.

Bliss (En) — The Encyclopedia of Missions, by Edwin M. Bliss (Editor) 2 vols.  
N. Y. 1891.

Bliss (R) — The Religions of Modern Syria and Palestine, by Frederick Jones  
Bliss, N. Y. 1912.

Browne — The Prospects of Islam, by Laurence E. Browne, London 1944

Bunson — Islam or True Christianity, by Ernest de Bunsen, London 1889.

Bury — Pan Islam, by G. Wyman Bury, London 1919.

Cash —The Moslem World in Revolution, by W. Wilson Cash, London 1926.

Cash (E) — The Expansion of Islam, by W. Wilson Cash, London 1928.

Cauly — Recherche de la vraie religion, par Mgr. E. Cauly, Paris 1928.

Christian Workers — Conference of Christian Workers among Moslems, N.Y. 92.

Christians and Mohammedans, by George Herrick, N.Y. ca. 1912.

Christian Literature in the Moslem Lands, by a Joint Committee, N. Y. 1923.

- Christian (The) Mission in Moslem World, by William David Schermerhorn, N. Y. 1933.
- Christian Missions and Oriental Civilization by Maurice Thomas Price, Shanghai 1924.
- Christian Missions and Social Progress, by James S. Dennis, 3 vols., N. Y. 1898.
- Continental Survey of Foreign Missions, by Rev. James Dennis, N. Y. 1902.
- Cooperation and the World Mission, by James Raleigh Mott, N. Y. 1938.
- Danby — Why «Christian» Schools ? or what can Christian Schools contribute ? with particular Reference to Palestine, by H. Danby, Jerusalem 1936.
- The Decisive Hour of Christian Missions, by John Raleigh Mott, N. Y. 1910.
- The Democratic Movement of Asia, by Tyler Dennett, N. Y. 1918.
- Echos from Edinburg, by William Henry Gairdner, N. Y.
- Enc. Am. — Encyclopedia Americana.
- Enc. Br. — Encyclopaedia Britannica.
- Enc. Miss. — Encyclopedia of Missions.
- Faris — Reapers of His Harvest, by John T. Faris. London 1911.
- The Evangelisation of the World in this Generation, by John Raleigh Mott, N. Y. 1900.
- Five Decades and a Forward View, by John Raleigh Mott. N. Y. 1939.
- Foreign Missions after a Century, by James S. Dennis, 3ed, edition. N.Y. 1893.
- Garrison — The March of Faith, by Winfred Ernest Garrison, N. Y. 1933.
- Harrison — Doctor in Arabia, by Paul W. Harrison, London 1943.
- Hartmann — Islam, Mission, Politik, von Martin Hartmann, Leipzig 1912.
- History of Protestant Missions, by Gustav Warneck, Edinburg 1901.
- The History of the Protestant Missions in India, London 1884.
- International Missionary Council, Jerusalem 1928, 8 vols., London 1928.
- Islam and Missions, by E. M. Wherry, S. M. Zwemer and C. G. Mylrea, N. Y. 1911.
- L'Islam et l'Occident (les cahiers du Sud, 1947).
- The King's Highway, West Melford (ca. 1915.)
- The Layman's Foreign Mission Inquiry, Report, 7 vols., N. Y. 1933.
- Jessup — Fifty-Three years in Syria, by Henry Harris Jessup, N. Y. 1910.
- Les Jesuites en Syrie 1831-1931, 12 parties en deux vols., Paris 1931.
- Jung — Les arabes et l'Islam en face de nouvelles croisades et Palestine et sionisme, Paris 1931.
- Kilgour — The Bible throughout the world, by R. Kilgour, London 1939.
- Lawrence — Modern Mission in the Near East, by Edward A. Lawrence New York 1895.
- Levonian — Islam and Christianity, by Lootfy Levonian, London 1940.
- Levonian (M) — Moslem Mentality, by Lootfy Levonian, London 1928.
- Lucknow Conference. Lucknow (India) 1911.
- Macdonald — Najla, the Sheikh's Daughter, by Jan Macdonald, London 1944.
- Margoliouth — Mohammedanism, by David Samuel Margoliouth, London 1921.
- Medical Missions, by John Lowe. N. Y. 1896.
- Methods of Mission work among the Moslems. Being those papers read at the First Missionary Conference on behalf of the Mohammedan World held at Cairo, Apr. 4th. to 8th.; 1906 (Crossed: For private Circulation only), N. Y. 1906.
- Milligan — Facts and Falsks in Our Fields Abroad, by Anna A. Milligan, Philadelphia 1921.
- Missionary Herald, Letters of the Missionaries in Syria and the Near East 1830 - 1842, Boston 1830 - 1842.

- Missionary Heroines, by E. R. Pitman, N. Y. 18 —.
- The Missionary Outlook in the Light of war and the Religious Outlook. N.Y. 1920
- Mission Fields — Religionsof Mission Fields as Viewed by Protestant Missionaries, . . . . 1905.
- Missions from the Modern View, by Robert A. Hume, N. Y. ca. 1905.
- The Modern Mission Century, by Arthur T. Pierson, N. Y. ca. 1901.
- MW — The Moslem World, A Christian Quarterly Review of Current Events.
- Literature and Thought among the Mohammedans, N. Y.
- Nashville Convention, 1906, Students and the Modern Missionary Crusades,
- The New Horoscope of Missions, by James Dennis, N. Y. ca. 1908.
- Oxford — What is the Oxford Group ? by Layman. with a Notebook, London 1933
- The Pastor and Modern Missions, N. Y. 1904.
- Penrose — That They May Have Life, by Stephen B. L. Penrose, N. Y. 1941.
- The Picket Line of Missions, by W. F. McDowell, N. Y. 1897
- The Present - Day Summons to the World Mission of Christianity, Nashville 1931
- Report on the Lebanon Schools, Edinburgh 1856 - 8 - .
- Re - Thinking Missions, by the Committee of Appraisal (Ernest Hocking, Chairman) N. Y. & London 1932.
- Richter — A History of the Protestant Missions in the Near East, by Julius Richter (English Translation adapted by the Author) N. Y. 1910.
- Rochester Convention 1910, Students and the present Missionary Crisis, N. Y. 1910
- Scherer — Mediterranean Missions 1808 - 1870, by George Scherer, Beirut.
- Scott — In the High Yemn, by Hugh Scott, London 1942.
- The Story of the American Board, Boston ca. 1910.
- Student Volunteer Movement for foreign Missions; Christian Students and the World Problems, N. Y. 1924.
- TIRM — The International Review of Mission, London & N. Y.
- Two Thousand years of Missions ..... , by Lemuel Call Barnes, 6th. ed., Chicago 1906.
- Van Ess -- Meet the Arab, by John Van Ess, N. Y. 1943.
- Véou -- Chrétiens en Péril au Moussadagh (Enquête au Sandjak d'Alexandrette), par Paul de Véou, Paris 1939.
- Ways of Sharing with other Faiths, by Daniel Johnson Fleming, N. Y. 1928.
- Wismar — A Study of Toleration as practised by Muhammad and His immediate Successors, by Adolph L. Wismar, N. Y. 1927.
- World Missionary Conference. 1910 N. Y. 1910.
- -- Carrying the Gospel, 452 pages.
  - -- The Church in the Mission Field, 380 pages.
  - -- Cooperation, 241 pages.
  - -- Education, 471 pages.
  - -- History and Records of the Conference, 367 pages.
  - -- The home Base, 565 pages.
  - -- The Missionary Message, 333 pages.
  - -- Missions and Governments, 189 pages.
  - -- The Training of Teachers,
- The world Mission of the Church : Findings and Recommandations of the International Missionary Council,  
Tambaram, Madras, India, Dec. 12-29, 1938 (N. Y. 1938).

World Student Christian Federation, Report of the Conference at Robert College  
Constantinople, 1911.

Zwemer -- Islam, a Challenge to Faith, by Samuel S. Zwemer, N. Y. 1907.

\* \* \*

وفي ما يلي مصادر نشرت بعد صدور كتابنا أو لم يتع لنا يومذاك ان نطلع عليها . ثم  
بحسن أن نعلم ان هذه القائمة الجديدة ، كالقائمة القديمة ، لا تضم كل ما صدر في موضوع  
التبشير والاستعمار :

- BATAL, James, Assignment Near East, New York 1950.  
BETHMANN, Erich W., Bridge to Islam, London 1953.  
BINGLE, E. J., World Christian Handbook, London 1949.  
BUHRER, J. et P. - J. André, Ce que devient l'Islam devant le Monde Moderne,  
Paris 1952.  
BULLARD, Sir Reader, Britain and the Middle East, New York etc. 1951.  
BURROWS, Millar, Palestine is our Business, Philadelphia 1950 (?).  
LE CHATELIER, A., La Conquête du Monde Musulman.  
COMMENTARY (Monthly), published by the American Jewish Committee,  
New York.  
CONGREGATION de la Mission de St. Vincent de Paul, Mémoires de la Congrégation ..... (en Afrique du Nord), 2 vols, Paris 1864.  
DOMINIQUE, Pierre, la Politique des Jesuites, Paris 1955.  
DORMAN, Harry Gaylord, Jr., Toward Understanding Islam, New York 1948.  
FORDER, Archibald; With the Arabs in Tent and Town, London 1902.  
GAIRDNER, W. H. T., The Reproach of Islam, London 1909.  
GOYAU, Georges, Un Précurseur : François Piquet, Consul du Louis XIV en  
Alep et évêque de Babylone, Paris 1942.  
GRUBB, Kenneth G. (ed.), World Christian Handbook, London 1947.  
HOLDANE, James, Trekking among Moroccan Tribes, London 1948.  
HOSKINS, Halford L., The Middle East, New York 1954.  
JEANSON, Colette et Francis, L'Algérie hors de loi, 2ème. édition, Paris 1955.  
MASSIGNON, Louis, Annuaire du Monde Musulman, 4e édition, Paris 1955.  
MILLIEZ, U., La Croisade du Levant, Paris 1943.  
MORRISON, S.A., Middle East Survey. London 1954.  
MOTT, John R., Cooperation and the World Missions, New York, 1935.  
MOTT, John (editor), The Moslem World of To-Day, London 1925.  
OLIVER, Roland, The Missionary Factor in East Africa, London 1952.  
PADWICK, Constance E., Temple Gairdner of Cairo, London 1929.  
PARFIT, Joseph Thomas, Among the Druzes of Lebanon and Bashan, London  
1917. ....  
PATTON, Cornelius H., The Business of Missions, New York, 1924.  
PATTIER, René, Le Cardinal Lavigerie, Paris 1947.

- SAMUEL, Jacob, Jurnal of a missionary tour through the Desert of Arabia to Bagdad, Edinburg 1844.
- SCHUTZ, Paul, Zwischen Nil und Kaukasus, Kassel 1953.
- STORM, W. Harold, Whiter Arabia ? London, New York 1938.
- TRIMINGHAM, John Spencer, The Christian Approach to Islam in the Sudan, London 1948.
- -- -- , Islam in Ethiopia, London 1948.
- TUCHMAN, Barbara W., Bible and Sword, New York 1956.
- WILSON, J. Christy, The Christian Message to Islam, New York 1950.



## نوطنة

### وجه الحاجة الى هذا الكتاب

•

لا سبيل الى احصاء ما كتبه المبشرون وانصار المبشرین عن الشرق ولا عن العرب والاسلام، فان «شرايت ودندرنر (١)» قد اصدرا بين عام ١٩١٦ وعام ١٩٣١ سبعة مجلدات ذكرا فيها اسماء المصادر والمراجع التي تدور حول المبشرین وجهودهم وتسهيل اعمالهم . ثم ان اكثر هذه الكتب مفصلةً فضيلاً كبيراً ، فان الرسائل التي كتبها المبشرون من سوريا والشرق الادنى فقط الى زملائهم بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٢ طبعت في ثلاثة عشر مجلداً من أصل ثمانية وثلاثين مجلداً (٢) .

ولما اجتمع مؤتمر التبشير العالمي في ادنبره (في اسكتلندا) عام ١٩١٠ اصدر تقريراً، عن النواحي المختلفة التي يجب ان يحبها المبشرون ، تم طبعه في عشرة مجلدات (٣) . اما مؤتمر التبشير الدولي الذي اجتمع في القدس عام ١٩٢٨ مدة اسبوعين فقط (من ٢٣ آذار الى ٨ نيسان ) فقد وضع تقريراً في ثمانية مجلدات (٤) . وهنالك عشرات من أمثل هذه الكتب والتقارير قد ظهرت كلها في مجلدات عديدة ضخمة .

وفي عام ١٨٦٩ كانت أعمال مدارس التبشير الافرنسي في الشرق تقتضي اربعة مجلدات تقع في نحو الف وخمسين وخمسين صفحة (٥) ، كما ان مدارس التبشير الانكليزية في جبل لبنان كانت قد اصدرت تقريراً عن اعمالها بين ١٨٥٦ و ١٨٦٨ – يعني في عهد فتنة سنة الستين فقط – يقع في مجلد كامل (٦) .

- 
- (1) R. Streit & J. Dindinger, *Bibliotheca missionum*, vol. 1-7, Münster & Achen 1916-31.
  - (2) *Missionary Herald, Letters of Missionaries in Syria & the Near East 1830-42, Vols. 26-38*, Boston.
  - (3) *World Missionary Conference of 1910, Edinburgh and New York 1910*.
  - (4) *The International Missionary Council of Jerusalem, 8 vols., London 1928*.
  - (5) *Oeuvres des Ecoles d'Orient ( 1862-9 ), 4 vols. St. Cloud; Belin; 1862-9.*
  - (6) *Reports on the Lebanese Schools, Edinburgh 1856-68*.

أما المجالات التبشيرية التي صدرت في بلدان مختلفة وبلغات مختلفة فهي أكثر من ان يحصيها العد . أضف الى ذلك ان ثمة في العالم كله جرائد ومجلات سياسية او أدبية او علمية لا تظهر عليها صبغة التبشير ، ولكنها في الحقيقة وسائل قوية من وسائل المبشرين .

ومع هذا كله فليس في اللغة العربية الى اليوم كتاب واحد يكشف النقاب عن غيابات المبشرين الحقيقة وينبه على الأخطار التي يود المبشرون أن يعرضوا لها الشرق والعرب والإسلام ، مع أن هؤلاء المبشرين الوف الكتب والكرياتس يحاولون أن ينشروها بكل سهل في طول البلاد العربية وعرضها . ثم انهم قد ألقوا عن وجوههم القناع وأسفروا عن حقيقة غياباتهم في الكتابة عن الإسلام ورجاله وعن العرب وحياتهم ، وكانوا النواة الأولى لطلاع الاستعمار السياسي والاقتصادي ، يساعدهم في عملهم هذا مع الأسف نفر من أهل البلاد العربية .

ليست كتب المبشرين هي التي تقضي وضع هذا الكتاب لكشف النقاب عن آثار تلك الأصابع الخادقة التي تحمد إلى كل صوب في العالم الإسلامي ، بل هناك المؤسسات التبشيرية ، تلك المؤسسات التي تبدو في مظاهر مختلفة ، بعضها واضح المعالم وبعضها الآخر بعيد عن الهمة كل البعد ، كالمدارس والجامعات والمستشفيات والمياميم والأندية والجمعيات ومؤسسات البر والأحسان .

وقد أراد القائمون على التبشير ان يكون « للإحسان والتعليم » مقام « كبير » في الخطط التي توضع لأعمال التبشير ، ولكن على ان تكون وسائل فقط لا غاية في نفسها (1) . ان المبشرين يريدون افساد الخصائص القومية في الشعوب الشرقيّة الإسلامية والعربية—كما يريدون افساد خصائص البوذيين وغيرهم من يأبون ان يخضعوا لسلطة الغربيين السياسية والاقتصادية . ولقد ساير التبشير الظاهر بال المسيحية حرفة اشد خطراً على الأمة الإسلامية وعلى الشعب العربي ، فقد نشأ في اوروبا واميركا نفر سخروا أفلامهم للمبشرين وجعلوا يطعنون العرب والاسلام ويشهون صورتها ، ويبثون ذلك في المدارس التي يسيطرون عليها ، وفي المجالات والجرائد والكتب التي يصدرونها . ان السكوت عن هذه الافتراءات تخاذل وتفصير معيب ، فيجلب بنا اذن ان نرد هذه الافتراءات وأن نفندها دفاعاً عن كياننا القومي والديني ، وحفظاً لخصائصنا التي هي أهم دعائم الحياة فينا .

ويجب ان نذكر دائماً ان المبشرين هم اصحاب أنفسهم وعيون بلا دمهم ، يحاولون دائماً ان

يثيروا الفتن والقلاقل في البلاد العربية والاسلامية حتى تتمكن أنفسهم من السيطرة علينا سياسياً واقتصادياً — أما الناحية الاجتماعية والثقافية فقلما لهم إلا بعقار ما تسهل لهم مهمتهم السياسية والاقتصادية .

وهذا اعتقاد لنا لستا فيه وحدنا ، بل يشتركون فيه أولئك الذين ارسلوا المبشرين الى بلادنا . لقد عمل هؤلاء المبشرون عمداً أو عفواً ، على اثارة سوء التفاهم والشغب . وبما اننا سررنا كثيراً من آثار ذلك في فصل السياسة من هذا الكتاب ، فسنكتفي هنا بايراد رأي رجل اميركي هو استاذ للتاريخ في جامعة من جامعات الولايات المتحدة نفسها ، واليكم ترجمته : نشرت مجلة « العالم الاسلامي » (١) خلاصة مقال كتبه الاستاذ ادوارد ميد ايرل (٢) ، احد اساتذة التاريخ في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة ، لمجلة « الشؤون الخارجية » عنوانه (٣) : الارساليات الاميركية في الشرق الادنى ، جاء فيه :

« ماذا يمكن ان يقال الان عن اعمال التبشير الاميركي في الشرق الادنى بعد قرن كامل من الدهر ؟ يمكننا ان نخشد احصاءات هائلة تتعلق بعشرات الملايين الدولارات وبالآلاف التفوس التي ضحيت في هذا السبيل . ولكن هذه أيضاً ليست هبة كافية توازي النتائج التي حققت على ايدي الارساليات الاميركية والمبشرين الاميركيين في هذا المركز المهم من الشرق . ان نقرأ من هؤلاء الرجال والنساء امثال سيرس همن ودانيل بلس (أول رئيس للجامعة الاميركية في بيروت) وماري ميلر باتريك (٤) كانوا علماء وضباط ارتبط بين الشرق والغرب . وكذلك كان نفر آخر منهن معلمين كباراً او اطباء محظوظين يشرط عليهم طول الأثناء والصبر . ان جميع هؤلاء قد حملوا معهم من اميركة جرأة نادرة .. لو لاها لما لُمك كتابة الجزء الأول من تاريخ الجهود الاميركية في الشرق الادنى . ولكن الجرأة وحدها ليست كافية ، كما ان الوقت لم يحن بعد للحكم على قيمة ما حققه المبشرون عموماً . هناك وجه واحد من هذا الموضوع يجب الا يهمل مجال من الاحوال هو ان الرأي العام الاميركي فيما يتعلق بالشرق ، قد خلقه المبشرون منذ قرن كامل . فإذا كان الرأي العام الاميركي ، قد طوّرت عنه بعض المعلومات او غذى بعض المعلومات خاطئة او دفع الى موقف عدائي ، فإن المبشرين هم الملومون في اكثر ذلك ، لأن النظر الى التاريخ على اساس انتشار النصرانية

(١) Moslem World; Jan. 1940. 71-72.

(٢) Edward Meade Earle; Associate Professor of History at Colombia University. (٣) ان مجلة الشؤون الخارجية Foreiegn Affairs من المجالات الرصينة في الولايات المتحدة ، وهي تبحث في الشؤون الاجتماعية الدولية من فاعليتها العلمية والقانونية .

(٤) Cyrus Hamlin; Daniel Bliss. Mary Mills Patrick.

« قد حمل هؤلاء المبشرين على ان يقدموا لنا في الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة او ساخرة في بعض الاحيان لل المسلمين وللإسلام . وبينما كان المبشرون يرمون في تبشيرهم « الى التسامح كانوا احياناً ومن غير ان يشعروا يزورون بذور سوء التفاهم . وكذلك حينما جاء المبشرون الى تصوير أحوال الامبراطورية العثمانية ، يوم كانت الامبراطورية العثمانية ، عجزوا عن ان يشيروا الى أن الآلام التي تحملها الاقليات المسيحية قد تحملها ايضاً « المواطنون الاتراك كلهم » (١) . فإذا كان الفلاح الأرمني قد تعرض لغارة كردية ، وكذلك « كان شأن الفلاح التركي . واذا ارتهن الفلاح البلغاري بالضرائب ، وكذلك كانت حال « الفلاح التركي . وعدها ذلك فان التركى وحده (يقصد : المسلم ) ، ظل الى عام ١٩٠٩ « مجبراً على الخدمة العسكرية بينما كان المسيحي معفى منها لقاء ضريبة ضئيلة يدفعها . ولكن بما ان المبشر قد حلف كثيراً من الخصائص والحقائق من الصورة التي رسمها الامبراطورية العثمانية يومذاك ، فان الشعب الاميركي لا يستطيع ان يميز ، من النظر الى هذه الصورة « التي وصلت اليه ، بين النظام والمظلوم . ان الشعب الاميركي لم يكن عالماً ان المسلمين والنصارى قد تألفوا - على السواء - في الحياة تحت حكم اميراطوري فاسد » .

« ولقد جاؤ المبشرون - كما يستطيعون ان يجمعوا الأموال - الى استغلال حقوق ناقصة ، وكذلك اخذت تفعل بعض جمعيات الأغاثة منذ زمن قرب . ففتح من ذلك ان العقل الاميركي قد حيل بينه وبين الحقيقة الواضحة ، وهي ان سكان الشرق الأدنى قد كانوا ضحايا كوارث واحدة بقطع النظر عن جنسياتهم وأديانهم .. »

« ولا حاجة الى التعليق على رأي صريح هذه الصراحة ، واضح هذا الموضوع (٢) .

•

ومن المبشرين نفرٌ يستغلون بالآداب العربية والعلوم الإسلامية او يستخدمون غيرهم في سبيل ذلك ، ثم يرمون كلهم ، مما يكتبون ، الى ان يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية ، او بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية (التي يعدونها نصرانية ، لأن امم الغرب تدين بالنصرانية ) ليخرجوها دائمًا بتفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية الإسلامية ، وبالتالي الى ابراز نواحي النشاط الثقافي في الغرب وتفضيلها على امثالها في تاريخ العرب والاسلام . وما غایتهم من ذلك إلا خلق تنازع روحي وشعور بالنقص في نفوس الشرقيين

(١) يستعمل الكاتب كلمة « اتراء » ويعني بها « المسلمين » .

(٢) لما نفتت مجلة « العالم الإسلامي » هذا الكتاب حاولت ان تتأول ما فيه ، ولكن لم يستقم لها التأويل .

وتحملهم من هذه الطريق على الرضا بالخضوع للمدنية المادية الغربية (١).  
وإذا كان ثمة نفر قليلون جاءوا إلى الشرق للتبرير فحسب ، وهم مقتنعون شخصياً  
بالناحية الدينية ، فإنهم في الدرجة الأولى مخطئون لأنهم لم يأتوا إلينا بقيمة روحية واجتماعية  
اسمي مما عندنا — ولا مثلها . ثم أنهم قد وضعوا أنفسهم في أيدي رجال الاستعمار  
السياسي والاقتصادي يستخدمونهم كيف شاءوا ، وعلى غير علم منهم في بعض الأحيان .

\* \* \*

ولقد صبر الشباب العربي المسلم على هؤلاء المبشرين وعلى انصارهم المحليين ، مع كل  
ما تعرض به هؤلاء المبشرون للكرامة الشرقية والعربية والإسلامية في جميع نواحي حياتنا  
الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية — وخصوصاً في الحقبة المتأخرة . لقد كان  
 علينا ان نسكت عن هؤلاء لأننا في نزاع سياسي مع الغرب ، ولأن هؤلاء عيون الغرب  
وآذانه وأصابعه أيضاً . إننا نسعى إلى هدف سامي كبير لا نستطيع الحصول عليه إذا أغضبنا  
الغرب مباشرة . من أجل ذلك كان من المحتمم علينا أن نُغْضِيَ عن أولئك الانصار الذين  
 باعوا أنفسهم للمستعمر الغاشم فجعلتهم مطية إلى استبعاد بلادهم وإلى اذلال أخوانهم في  
 الدار وفي النسب أحياناً .

أما الحجة الكبرى التي حملنا بها أنفسنا على السكوت وعلى الظهور بهذا الحلم الذي  
 لا مثيل له في طباع غيرنا من البشر ، فهو أن عدداً عظيماً من إخواننا في الدار قد نذروا  
 أنفسهم أيضاً لما نذرنا نحن أنفسنا له ، وكانوا على الأجنبي واستعماره أشد مما نحن أحياناً ،  
 لأن المستعمر قد أتى في ذلك من حيث لم يجتب . على أن حلمنا كان يجب أن يتهمي  
 لسبعين اثنين ، أوهما أن هذا النفر الكريم قد بدأ يحمل اضطهاداً أكثر من الذي نتحمله  
 نحن . وثاني السبعين أن النفر الذين باعوا أنفسهم للمستعمر ، وانصارهم معهم ، ما  
 زالوا يظهرون بمعظمه المتحدى في حقل الاجتماع والوطن ، وفي كل حقل آخر . ولقد  
 كان هؤلاء لا يهمهم لأنهم قليلو الاحتفال بعيادته ، بل كان بهمهم ارضاء  
 التفود الأجنبي ، لأنهم كانوا يرثرون منه رزقاً حسناً (٢) .

\* \* \*

(١) رابع الفصل العاشر .

(٢) رابع مجلة « الآباء » ، لسان حال الحزب التقديمي الاشتراكي ( بيروت ) ، لصاحبه كمال جنبلاط ،  
 وخصوصاً العدد ٦٩ ، السنة الثانية ( ٧ تشرين الثاني ١٩٥٢ ) .

وَمَا إِحَالَةُ الْحُكُومَةِ الْلَّبَنَى لِصَحَافِيِّيْنَ بَارِزِيِّيْنَ مِنْ أَصْحَابِ الصَّفَحَى الصَّادِرَةِ بِالْلُّغَةِ الْأَجْنبِيَّةِ فِي لَبَنَانَ إِلَى الْمَحْكَمَةِ ، وَهُمَا جُورَجُ نَقَاشُ وَكَسْرَوَانَ الْبَكِّيِّ مِنْ أَسْرَةِ جَرِيدَةِ الْأُورِيَّانِ (١) فِي بَيْرُوتِ إِلَّا لِأَنَّ الْجَرِيدَةِ الْمُذَكُورَةِ قَدْ نَشَرَتْ سَلْسَلَةً مِنَ الْمَقَالَاتِ بِامْضَاءِ جُورَجِ نَقَاشِ ، كَانَ مِنْ شَائِئَهَا – لَوْ لَقِيتَ آذَانًا مُصْغَيَّةً – أَنْ تَثْبِرَ نَزَاعًا طَافِيًّا فِي لَبَنَانَ فَوْقَ مَا فِيهَا مِنَ التَّعْرُضِ لِأَسْاسِ الْكَيَّانِ الْلَّبَنَى .

### وَفِي مَا يَلِي مَوْجِزُ الْأَرْتِهَامِ وَالْحُكْمِ (٢) :

حُكْمُ جُورَجِ نَقَاشِ وَكَسْرَوَانَ الْبَكِّيِّ لِاقْدَامِهِمَا عَلَى نَشَرِ مَقَالَ افْتَاحِيِّ فِي جَرِيدَتِهِمَا « الْأُورِيَّانَ » بِالْعَدْدِ الصَّادِرِ بِتَارِيَخِ ١٠ آذَارِ سَنَةِ ١٩٤٩ رُقمِ ٦٦٩١ ، فِي اثَّارَةِ التَّعْرَاتِ الطَّافِيَّةِ وَحْضِ عَنَّاصِرِ الْأَمَّةِ بِعُضُّهَا عَلَى بَعْضِ ..

« وَتَنَاهَىَتِ الْمَحْكَمَةُ الْمَذَكُورَ .. وَبَعْدَ أَنْ رَجَعَتْ إِلَى مَجْمُوعَهُ وَرَوْحَهُ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ السَّيِّدِ جُورَجِ نَقَاشَ قَدْ تَنَاهَىَ الْقَضِيَّةُ الْلَّبَنَى فِي الصَّمِيمِ وَمِنْ كَرَامَةِ الْحُكْمِ الْلَّبَنَى الْإِسْتَقْلَالِيِّ وَجَعَلَ مِنَ الْحُكْمِ الْوَطَنِيِّ الْإِسْتَقْلَالِيِّ كَابُوسًا تَرَزَحَ تَحْتَ عَبْثِهِ الْبَلَادِ وَتَنَاهَىَ مِنْهُ الْعِبَادِ ..

« وَبِمَا أَنَّ الْكَاتِبَ السَّيِّدِ جُورَجِ نَقَاشَ بَعْدَ أَنْ طَعَنَ وَطَنَهُ لَبَنَانَ وَحُكْمَهُ الْوَطَنِيِّ .. وَخَرَجَ عَنْ حُرْبَةِ الرَّأْيِ وَحَقَرَ الدُّولَةَ وَنَعَى عَلَى الْإِسْتَقْلَالِ وَبُنَائِهِ وَأَثَارَ التَّعْرَاتِ مِنْ وَرَاءِ كِتَابَتِهِ .. وَقَصَدَ الطَّعَنَ بِالْوَضْعِ الْحَالِيِّ وَبِالْقَضَاءِ الْوَطَنِيِّ مِنْ إِثْرَةِ التَّعْرَاتِ .. وَبِمَا أَنَّهُ أَسَدَ إِلَى مَجْمُوعَةِ الْأَمَّةِ الْلَّبَنَى بِأَنَّ اتِّفَاقَ طَوَافِهَا عَلَى وَضُعِّ ذَلِكَ الْمِيثَاقِ الْوَطَنِيِّ الشَّهِيرِ (١) لَمْ يَكُنْ إِلَّا خَيَالِيًّا ، وَنَعَى عَلَى الْوَرْضَ الْإِسْتَقْلَالِيِّ مِنْذِ نَشَأَهُ ، وَاحْكَمَ مَعْوِلَ الْهَدْمِ فِيْ دُونِ أَنْ تَبَدُّرَ مِنْهُ عَبَارَةٌ وَاحِدَةٌ يَسْتَشِمُ مِنْهَا اِنْدِفَاعَهُ وَرَغْبَتِهِ فِي اِيجَادِ الْأَلْفَةِ وَالْمَحْبَةِ ...

« لِلْمَلِكِ ... تَنَاهَىَ الْحُكْمُ بِجَبِسِ جُورَجِ نَقَاشِ فِيلِيبِ نَقَاشِ مَدَّةَ ... ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَتَغْرِيمِهِ مَائَةَ لِيَرَةَ .. وَجَبِسِ كَسْرَوَانَ نَعُومَ الْبَكِّيِّ شَهْرًا وَاحِدًا وَتَغْرِيمِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لِيَرَةَ .. وَتَوْقِيقُ جَرِيدَةِ « الْأُورِيَّانَ » عَنِ الصَّدُورِ مَدَّةَ ثَمَانِيَّةَ أَشْهُرٍ » .

هَذِهِ الْقَضِيَّةُ اثَّارَتْ مَشَادِدَةً ، فِي خَارِجِ الْمَحْكَمَةِ ، أَوْ مَشَادِدَتِنَ عَلَى الْأَصْحَى : وَاحِدَةٌ

(١) L'Orient .

(٢) جَرِيدَةُ الْدِيَارِ (بَيْرُوت) ، السَّنَةِ الثَّامِنَةِ ، الْمَدْدُ ١٨١٦ ، الْأَحَدُ فِي ٢٠ آذَارِ ١٩٤٩ وَ ٢٠ جَانِيِّ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٣٦٨ ، الصَّفَحتَانِ الثَّانِيَةِ وَالرَّابِيَّةِ . ثُمَّ رَاجِعُ الصَّفَحَى الْبَيْرُوتِيَّةِ الْأُخْرَى الصَّادِرَةِ فِي هَذَا التَّارِيَخِ .

(٣) يَقْصِدُ الْاتِّفَاقَ فِي خَرِيفِ مَامِ ١٩٤٣ بَيْنَ جَمِيعِ طَوَافِ الشَّمْبِ الْلَّبَنَى عَلَى طَلَبِ الْإِسْتَقْلَالِ وَالتَّخلُّصِ مِنَ الْحُكْمِ الْأَجْنبِيِّ .

اما مشادة المحامين فتدور حول اعتذار المحامي ادمون رباط عن الدفاع عن المتهمين ،  
بعد أن كان قد قبل مبدئياً الدفاع عنهمما .

ولقد كان من المفروض ان يتصر اصحاب الصحف اللبنانيه لزميهلم الصحافي ،  
يحكم عليه هذا الحكم . ولكن هذا الانتصار له قد افتصر على اتخاذ شكل رمزي ، هو  
ان الحكم نفسه كان قاسبياً ! أما الكاتب فقد لم يashد اللوم على أنه كتب هذه الكتابة  
وتناول الموضوع من هذه الزاوية وبهذه الروح (١) .

وبعد ، فمن ذا الذي يستفيد من المقالات التي نشرها جورج نقاش وأدت الى الحكم عليه ؟ لاشك في أن هذه المقالات تسعي الى الوطن والى نهضته وتسير الاجانب من أصحاب المصلحة !

\* \* \*

أما نحن المؤلفين فنسنصح غالباً أخواناً لنا نحترمهم يقولون بعد صدور هذا الكتاب : عيب على رجلين مثقفين أن يكتبا مثل هذا الكتاب في هذه الحقبة من الكفاح القومي . في هذه الحقبة يجب الا نذكر شيئاً من هذا ، بل يجب الا نذكر «كلمة» اسلام او نصرانية ولا «كلمة» مسلم و «كلمة» مسيحي .

ان إخواننا هؤلاء ، من الذين نحترمهم ، سيقولون ذلك إذا قرأوا عنوان كتابنا  
ثم قلبوا صفحاته بين أيديهم تقليلاً آلياً فقط . أما اذا فعلوا ما هم به خليقون فانهم  
سيبدّلون رأيهم بلا ريب .

أجل سيقوم غداً من يقول لنا : من العيب أن ندافع عن قومنا ووطتنا وأن ندل على جذر للاستعمار ما زال ، على رغم اختفائه عن الأعين ، من أعمق الجذور في سجل مصابينا القومية . ولكن لم يقم من هو لاء رجل قال لسيادة المطران مبارك شيئاً حينما كان عام ١٩٤٨ في باريس فصرح بما يلي :

«إن لبنان بلد كاثوليكي ، ويحاول المسلمون أن يستعبدوه كما يحاولون استعباد جميع المواطنين الذين يسكنون معهم في بلد واحد كاليهود في فلسطين .

«يجب أن يكون لليهود وطن قومي كي يتمكنوا من العيش المادي»، والا فان اية

« ولاية غير اسلامية لا تستطيع ان تعيش بحرية وتمارس معتقداتها الدينية تحت سيطرة اسلامية بحث » (١) .

وفي اليوم نفسه ، نعم في اليوم نفسه ، في ٢١ حزيران عام ١٩٤٨ ، صدرت النشرة المزدوجة من محاضرات دار الندوة (٢) فيها محاضرة للسيد فؤاد افرايم البستاني الموظف في وزارة التربية الوطنية بالجمهورية اللبنانية ، عن مار مارون يقول فيها : « حتى اذا أطلت طلائع الصليبيين (على لبنان) امكن الموارنة ان يمدوهم بثلاثين الف نبال ، أجمع الفرنجية على الإعجاب بشجاعتهم ومهاراتهم .. فالمارونية بنت لبنان ، ولبنان في الكثير من مزاياه وخصائصه صنع المارونية .. فلا وطن لها سواه ولا كيان له بدونها .. (٣) فهما ثابتان على كرور الأيام ، لا انتقاداً من حق قريب ولا عداء بخار ، مندفعان ولا تهور ، صابران ولا يأس ، راجيان ولا غرور ! » (٤)

فمن قام ، من يحب هذا الوطن ، وقال لهذين : نحن في سبيل كفاح قومي فمن العيب ان تكتبا ما كتبتما ؟ ولكن لما احببنا نحن المؤلفين ان ندافع عن قومنا وببلادنا وأن نقول للمصلحين : هذا مكمن الخطر ! قبل لنا هذا عيب .

هنا نود ان نثبت كلمة – في هذا المعنى – ظهرت في مجلة كل شيء (٥) ، عصرها كاتبها من قلبه ومن قلب كل مخلص في هذا الوطن . هذه الكلمة ، التي تصور حالتنا وحال إخواننا غداً ، هي :

### كل أسبوع

الحق اننا نعيش في زمن تقلب فيه الاوضاع ايا انقلاب ، وتنعكس مفاهيم

(١) مجلة بيروت المساء ، بيروت ، في ٢١ حزيران عام ١٩٤٨ ، الصفحة ٥ ، نقلنا من مجلة Paris Soir الباريسية .

(٢) السنة الثانية ، البشران ٥ - ٦ (بيروت) ٢١ حزيران ١٩٤٨ ، ص ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٣) هذه التقط من اصل المحاضرة .

(٤) كما بالأصل . القريب : المسلم في لبنان . المبار : السوري . صابران (لبنان والمارونية) : اي حل الروضع الراهن . راجيان : اي تبدل الحال ... « وهذه الجمل تحتمل من المعنى اكثر من ذلك ما لا يخفى على المتضرر في المواقف ! » .

(٥) مجلة « كل شيء » (بيروت) ، العدد ١٦٩ ، السنة الثالثة ، الجمعة ٨ تموز ١٩٤٩ ، الصفحة الأولى . وقد ظهرت هذه الكلمة بلا توقيع .

الأشياء أيام انعكاس .

وقد أصبح علينا ، في هذه الغمرة من اختلال المقاييس وتشويه القيم ، ان نصطلح على معنى واحد واضح لكلمة « العيب » في لبنان .

فلا يكاد أحدهنا يأتي عملاً او يقول قوله (١) حتى تقبض بعض الوجوه وتنطلق بعض الألسن : « عيب ، عيب ..

عيب ان نعتب على « المطران » (٢) ، وليس بعيوب على سعادته ان ينشئ في لبنان سفارة لاسرائيل !

عيوب ان نعتب على وزير مسؤول لارساله « برقة حكومية رسمية » بالتعزية في سمار لليهود ، وليس بعيوب ان يبعث بهذه البرقة للوزير المسؤول !

عيوب ان تطالب الحكومة بما يحدد موقفها من الاتهامات الكبرى التي توجه علينا في دمشق الى « شخصيات لبنانية » ، وليس بعيوب ان تلزم الحكومة في هذا الأمر جانب الصمت العميق ..

عيوب ان يرتفع صوت المرء بالعقيدة التي يؤمن بها ، والفكرة التي يعتقد بها ، ويحمل صادقاً من أجل العقيدة والفكر ، وليس بعيوب ان يصبح المرء دونما عقيدة ولا فكر بعد ان كان من أبطال العقائد والافكار ..

وعيوب بعد ذلك ان نقول للأعور أعور ، وليس بعيوب ان فزيد الأعور عمى في البصر وال بصيرة ..

مكذا تصبح المقاييس عندنا في آخر الزمان ..

.. عيب ، صحيح عيب !

• • •

على ان الواقع يقضي بأن نقول ان الشيخ بطرس الجميل (١) قد قال لاحدهنا الدكتور عمر فروخ ، انه والكثيرين من ذوي الرأي لا يقررون المطران مبارك على أقواله وأعماله ، وأنهم قد عاتبوا المطران مبارك عتاباً مراً . إلا أن هذا العتاب ناقص

(١) المقصود : حملنا في دفاع عن كرامة وفولا في مطالبة بحق .

(٢) المطران مبارك ، وكان قد كتب كتاب توصية بافراد الى بعض الجهات الاسرائيلية .

(٣) رئيس حزب منظمة الكتاب اللبناني .

في نظر المخلصين في هذا الوطن ، او انه لم ينه هؤلاء عن الاستمرار في ضلالتهم .  
ثم ان هذا العتاب لم يؤخذ غايتها الشكلية على الأقل ، لأنه لم ينشر فغيره !  
هذه الكلمة عتاب نسوقها الى إخوان س يقولون لنا ما سيقولون ، او على الأصح  
قد قالوا لنا ما قالوه ، ولكننا لانشك في انهم – اذا قرأوا هذا الكتاب – سيعودون  
الى الانصاف وسيدركون ان سوانا كان احرى بوضع هذا الكتاب للرد على المفترين .  
ولكن لما لم يسد هذه الثغرة احد من يجب عليهم ان يسدوها لم يبق ثمت مندوحة عن  
ان نطروح نحن للقيام بهذا العمل .

من أجل ذلك كله احبينا ان نجلو وجه الحقيقة فوضعنا هذا الكتاب : انه من الخيانة  
ان نترك كيافتنا في مهب الخطير بسكتنا عن مكمن هذا الخطير . انتا تعرف ان اسلات  
هذا الخطير تمتد في خارج الوطن العربي كله وتمتد اليه ايضاً . فواجهتنا إذن ان ندل على ذلك .  
ولعل أروع ما نصر به من الأمثال ان العالم العربي والعالم الاسلامي قد اجمعوا على  
انقاد فلسطين من براثن الصهيونية ، ذلك الخطير المشرف على الشرق كله (١) ، أم  
موضع العجب فهوأن المبشرين والذين يشائعون المبشرين عندنا ما زالوا يعملون على الانتصار  
لليهود كرهاً بالعرب ، مع ان خطير الصهيونية ليس خطيراً على العرب بل على غير  
العرب ايضاً ، ولا هو خطير على الاسلام فحسب بل على النصرانية كذلك ، ولا هو  
خطير على الشرق وحده بل على الغرب والشرق معاً .

واخيراً ، اذا كان المبشرون واتباع المبشرين قد وضعوا عشرات الآلوف من  
الكتب وملأوها بالطعن على العرب وبالنيل من الاسلام ، يستعملون التجني والمكابرة  
في ذلك ، فان من حق عربين مسلمين ان يضعوا كتاباً واحداً ، وفي حدود العلم والادب  
ايضاً ، يدافعان به عن قومهما ودينهما في وجه المبشرين وصنائع المبشرين . وهؤلاء  
اليوم هم انشط منهم في كل وقت آخر ، بل هم قد انتهوا وختمة فلسطين ليتخدلاها  
سلاماً ان قهر العرب والنصارى وال المسلمين الذين يعتزون بقوميتهم العربية وتضامنهم الوطني .  
ونحب ان نقدم مثلين اثنين عن تأثير المؤسسات الغربية ، التي تسمى انسانية ،  
بالعداوة التي تحملها للشرق .

إن العرب كلهم يخوضون اليوم حرباً ضد الصهيونيين ، وال الحرب ضد الصهيونية

(١) هذا القسم كتب قبل حرب فلسطين ، إذ كنا قد بدأنا تأليف هذا الكتاب في آب ١٩٤٤ .

في حقيقتها معركة من معارك استعمار الشرق . ولقد ارغم العرب في أثناء هذه الحرب على هدنة اربعة اسابيع (١) ، اخذت فيها المؤسسات الغربية كلها تساعد اليهود ، حتى مؤسسة الصليب الاحمر الدولي . والمفروض في مؤسسة الصليب الاحمر ان تواسي الجرحى أياً كان دينهم وياً كان جنسهم . ولكن هذه هي مهمة الصليب الاحمر خارج الشرق . اما في الشرق ، وفي الحرب بين العرب واليهود ، فمهمته الاجهاز – عملياً – ومن سهل الاموال – على العرب ثم مساعدة اليهود .

نشرت جريدة الديار (بيروت ، السنة الرابعة ، العدد ١٦٢٨ ، الصادر في ٧ تموز ١٩٤٨ ، الصفحة الثانية ) احتجاجاً للدكتور جورج حنا رئيس لجنة اغاثة فلسطين في بيروت وعضو جمعية الصليب الاحمر اللبناني واحد الكتاب الاحرار الانسانيين ثبته كاملاً في ما يلي :

### من الصليب الاحمر الدولي تجاه للبيهود كتاب الدكتور جورج حنا رئيس لجنة اغاثة فلسطين

حضره المركبة دو فريج رئيسة جمعية الصليب الاحمر اللبناني المحترمة .  
تحية واحتراماً . وبعد ، أرى من واجبي أن اطلع حضرتك على المعلومات التي  
وصلتني مؤخراً عن مستشفى الصليب الاحمر اللبناني الموجود في عكا . وأنه ليوسفي  
 جداً بهذه المناسبة ان اتفهم بالشكوى المرة من الاعمال الذي يبيده الصليب الاحمر  
الدولي تجاه المستشفى المذكور بالرغم عن اني فهمت ان مؤسستكم كانت كلفته برعايته  
بعد احتلال عكا من قبل القوات الصهيونية . فعدا عن ان الصليب الاحمر الدولي لم  
يهم باعادة الاطباء والمرضات والمساعدات اللبنانيين الى لبنان كما تفرض عليه رسالته  
الانسانية ، فإنه ما زال يرهن عن تغاضيه عن مساعدة هؤلاء اللبنانيين الذين دفعتهم  
انسانيتهم لتحمل المشاق لمساعدة الجرحى والنكوبين . وفيما نرى الصليب الاحمر  
الدولي يعني بتمويل ورعاية الجرحى واللاجئين والمحاصرين من اليهود فهو يتظاهر  
بالعجز عن مساعدة مستشفى الصليب الاحمر اللبناني .

ان جميع المعلومات التي وصلتنا من مصادر لا يشك بدققتها تدل على ان الاشخاص

العاملين في مستشفى الصليب الاحمر اللبناني في عكا والمحجوزين فيها يقاسون العذاب والحرمان ، وان اولئك الابطال الانسانيين مهملون من قبل الصليب الاحمر الدولي المفروض فيه ان يكون عوناً لهم . فالصليب الاحمر الدولي على ما اعلم مؤسسة انسانية عالمية لا تفرق بين الجهات المختلفة ولو كانت متحاربة . وهذا ما لا نراه مع الأسف في الحالة القائمة في فلسطين . لذلك :

- ١ - ارفع احتجاجي على تصرفات الصليب الاحمر الدولي في فلسطين وعلى تغاضيه عن الاهتمام ببعثة الصليب الاحمر اللبناني في عكا وتخizه للجانب اليهودي .
- ٢ - اسأل الصليب الاحمر اللبناني فيما اذا كان يرضى عن هذه المعاملة المغرضة وهو عضو في الصليب الاحمر الدولي .
- ٣ - يوصي عضواً في الصليب الاحمر اللبناني اطلب باللحاج رفع احتجاج صارخ الى المقر العام للصليب الاحمر الدولي والى الوسيط الكومنولث برنادوت .
- ٤ - بذل جميع المساعي لاعادة الاطباء والممرضات والمساعدات اللبنانيين فوراً .
- ٥ - في حال سكوت الصليب الاحمر الدولي عن إجابة هذا الطلب اقترح ان تخابر مؤسسات الملال الاحمر العربية وايقافها على حقيقة الأمر لاتخاذ اللازم مع مؤسسة الصليب الاحمر الدولي » .

• • •

على ان احتجاج سعادة المطران جاورجيوس حكيم (١) ، مطران حيفا وعكا والناصرة وسائر منطقة الجليل لطائفته الروم الكاثوليك ، كان اشد وادل على فقدان العنصر الانساني في تلك المؤسسات الانسانية ، اذا اصطدمت مصالح دولها في الشرق . قال المطران حكيم يذكر حال العرب في فلسطين بعد الحرب الصهيونية ويشير الى مدينة عكا خاصة :

« إن حالتها تدعي الفؤاد إذ أن العرب فيها ، وعدهم ثلاثة آلاف عربي تفريباً محصورون بين أسوار البلدة القديمة وحالتهم الصحية والغذائية سيئة للغاية . وقضاء عكا في حالة يرثى لها ، فالعرب الباقيون فيه يعاملون كالحيوانات لا يهم بهم احد ولا يجد معظمهم مسكناً او مأوى ، كما لا يجد مرضاهم اي نوع من العناية » .

وعاد المطران حكيم يوجه اللوم الى مؤسسة الصليب الاحمر التي تعمل في خدمة

اليهود ثم هي تهمل العرب عمداً ، فقال متأنلاً : آسف ان يعمل الصليب الاحمر الدولي تحت راية الصليب « (١) » .

• • •

وسيرى القارئ في فصول هذا الكتاب ايضاً ان المبشرين يتصرفون بنشر العلم وبالتطهيب المجاني والأعمال الاجتماعية وما الى ذلك في سبيل غاية واحدة : انهم يريدون ان ينقذوا من خلال هذه المظاهر الى تحطيم الجدار الاسلامي ليتفذوا من خلاله الى الحقل القومي . وبما ان هذا الجدار قد انثغر الآن ثغرات متعددة ، فقد وجب العمل على سد هذه الثغرات قبل ان ينهار الجدار كله .

من أجل ذلك نرى ان لوضع هذا الكتاب مبرراً عظيماً ، بل ان وضعه قد اصبح واجباً علينا لنفتح اعين قومنا على الخطر الحقيقي للبشرين بين العرب خاصة وفي الشرق عامة . وكذلك يجب ان نعلم ان الصهيونية ايضاً ليست شيئاً سوى وسيلة من الوسائل التي يحاول الغرب بها ان يستمر في استعباد الشرق العربي بعد تصديع جداره وتجزئته رقعة ارضه . ان هذا الكتاب اذن ليس كتاباً « هداماً » ، ولكنه محاولة مخلصة لكشف الستار عن « الهدامين » . انه واجب نقوم به في سبيل أمتنا وقومنا ووطتنا .

١٣ رمضان ١٣٦٨  
٩ تموز ١٩٤٩

المؤلفان

(١) مجلة « كل شيء » (بيروت) ، السنة الثانية ، العدد ٢٨ ، ٩ تموز ١٩٤٨ ، الصفحة الأولى ، تحدث صورة الكونت برنادولت .

## الفصل الأول

### بواعث التبشير الحقيقة

•

يظن بعض الناس أن المبشرين يأتون إلى الشرق لنشر الدين على أنه هدفهم الأساسي . والحق أن نشر الدين أمر ثانوي جداً في جميع الحركات التبشيرية . قد نجد أشخاصاً قليلاً يمولون حملات تبشيرية على الشرق ، ثم افراداً قليلاً أيضاً يأتون في هذه الحملات لينشروا الدين حباً بنشر الدين واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعمل سام . على أن الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات ، ومن الذين يأتون فيها ، لا صلة بين أهدافهم الحقيقة وبين الدين الذي يزعمون أنهم قد جاءوا لنشره .

إننا إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين ، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى : إن أمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبرول – كما يقول أمين الريحاني – قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني . وبينما نرى فرنسة دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج . ان اليسوعيين المطرودين من فرنسة هم خصوص فرنسة في الداخل واصدقاؤها الحسينيون في مستعمراتها . وكذلك إيطالية ، التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني جميع سياساتها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين . حتى الروسية السوفيتية التي تدعو في بلادها إلى محاربة الأديان – كما يقال – رأيناها ، بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما أرادت أن تحقق لنفوذها توسيعاً إقليمياً وسياسياً ، قد تظاهرت بالاعطف على رجال الدين ودعت إلى مجمع مسكوني في موسكو وحملت إليه المؤمنين في طائراتها . ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤمنين بمقابلته . وكثيراً ما كان الرجال العسكريون من الانكليز خاصة يحضرون حكوماتهم على بث المبشرين في العالم ، كما

نصح الجنرال هاين للحكومة البريطانية ان ترسل مبشرها الى شبه جزيرة العرب (١) . حتى الأفراد الذين يتذرون في الأرض للتبيه بزعمهم لم يأتوا في واقع الأمر للتبيه . ان منهم من يحب المغامرات والاسفار ، ومنهم من يطمع الى السيطرة الشخصية على من حوله ، ومنهم من يحب فرض رأيه على الآخرين (٢) . فإذا لم يستطع احدهم ان يفعل ذلك في بلاده ، ولم يملأ ان يفعله باسمه هو في خارج بلاده ، خرج الى العالم تحت ستار التبشير ليشيع اطماعه الشخصية . وكثيراً ما كشفت الجمعيات التبشيرية عن اطماع المبشرين الشخصية واكتشفت بينهم المكره ، او الذين احبوا ان يستغلوا الجمعيات التبشيرية ليسافروا في العالم على حسابها ، وهم في الحقيقة تجار او رجال دعوة (اجتماعية او اقتصادية) لا صلة لها بالتبشير (٣) . بل ان ثبت شيئاً اكبر من ذلك : ان هؤلاء لا يتحلون بالاخلاق الحميدة . كتب الشاعر القروي المجيد رشيد سليم الخوري في مجلة « العصبة الاندلسية » (٤) يتكلّم باسم النصارى الذين يتأنّلون — كالمسلمين ايضاً — من أضرار المبشرين كلهم والبروتستانت خصوصاً فيقول : « أما من الناحية الدينية فإن اقامي الدليل على عدم فراحتهم لا تقضي ان اكون بارعاً في الجدل او عالماً شهيراً بال التاريخ .. ان طوائفنا العديدة .. قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الامريكية طائفنة جديدة اسمها الطائفة الانجليزية .. وكم اتفق الامريكيون .. لكي يعرفونا بمواطتنا السيد المسيح وبدينه .. كأننا اشد افتقاراً الى فضائل المسيحية من الامريكيين انفسهم ! » والمؤلفون عادة لا ينكرون ان التبشير قد اخذه الكثيرون آلة التجارة والسياسة ، وان المبشر الاميركي خاصّة لم يستطع ان يتحرر من نفوذ حكومته وغاياتها .

وكثيراً ما غادر المبشر جمعية الى جمعية حسب اهواءه ، فان وليم بلغراف (٥) الانكليزي قد دعوه اطماعه الخاصة الى أن ينقلب راهباً يسوعياً ويجادل البروتستانت قومه . ولما استغنى عن اليسوعيين عاد بروتستانتياً ، حتى انه سمي « الحرباء » (٦) . وليس هذا فقط ، بل ان من المبشرين نفراً يسعون وراء اطماع ومخاطر شخصية شوهدت اسم النصرانية في الشرق (٧) . فلقد ذكر جسب في كتابه الذي طبع ١٩١٠

(1) Jessup 530.

(2) Re-Thinking Missions 9.

(3) ibid . 10

(5) William Gifford Palgrave .

(6) Jessup 295 .

(7) Re - Thinking Missions, p. 13 .

(4) عام ١٩٤٧ ، المد الرابع .

انه قد ثبت على اليسوعيين مؤخراً انهم فضحوا فتاتين من طائفة الروم الارثوذكس وانفشوهما حيناً ، ولكنهم ارغموا على ردهما بعدئذ لأهلهما (١) . وبهاجم جمب نظام الأديرة كله ويدرك انه كان لعنة على سوريا ، ثم يقول ان بعض هذه الأديرة كان مستقرأ للفاحشة (٢) .

على ان جميع المبشرين ، سواء أكانوا انهزابين دنويين ام كانوا مخلصين في مهمتهم ، تتعزز كل فرقة منهم بعداوة شديدة نحو العرب المسلمين ، وبعداوة ظاهرة نحو أهل الفرق النصرانية المبaitة لفرقتهم ايضاً .

### ائز الحروب الصليبية

ولا ريب في أن مرد هذه العداوة الشديدة إنما هو إلى الحروب الصليبية . على ذلك اجمع مؤرخو التبشير كلهم ، وهم في ذلك على صواب . ثم ان هذا يؤيد ما ذهبنا إليه من ان العداوة دنوية سياسية لا صلة لها بالدين . ان المبشر جمب مثلاً يعود ان يتحي الاسلام من العالم (٣) .

### خطر الوحدة المرسومية على الغرب

يرى بعضهم ان السبب الأساسي في هذا الكره إنما هو بلا ريب راجع إلى العداوة التي اثارها الصليبيون (٤) ، والتي ان المسلمين لا يزالون متاثرين بموقف الدول النصرانية من الإسلام في اثناء الحروب الصليبية (٥) . إلا أن المستشرق الألماني كارل بكتر يرى السبب أبعد قليلاً من ذلك ، انه يرى ان الإسلام لما انبسط في العصور الوسطى اقام دأ في وجه انتشار النصرانية ثم امتد الى البلاد التي كانت خاضعة لصوبلحانها (٦) . وربب من هذا ما رأاه غاردنر (٧) . ان القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا . ويحاول المبشرون ان يروا العداوة بين الإسلام وبين الغرب دينية ، ولكن الحقيقة لا تثبت ان تظهر في فلتات ألسنتهم فإذا هي سياسية . إن يوليوبوس رشر بوتب

(1) Jessup 433 .

(2) Jessup 669 - 680 .

(3) Cf. Jessup 493, 581 - 2 .

(4) Levonian 126 .

(5) cf Devonian 109 : Schermerhorn 43; Gairbner 532 .

(6) Becker I 3 .

(7) Gairdner 303 f. ; cf MW, Apr, ' 37, pp. 167 - 178 .

النصارى على قصر نظرهم في اثناء الأعصر المتطاولة التي تلت ظهور الإسلام ، فلأنهم كانوا فيها وادعين غافلين بينما كانت الإمبراطورية البيزنطية (الرومانيّة الشرقيّة) تغيب شيئاً فشيئاً في الإمبراطوريّة الإسلاميّة حتى سقطت القسّطنطينيّة نفسها عام ١٤٥٣ بيد الأتراك العثمانيّين (١). ولا ريب في أن رشر يتألم للناحية السياسيّة ، لأنّه هو نفسه يذكر أن سكان الإمبراطوريّة الشرقيّة كانوا نصارى بالاسم (٢) ، اضف إلى ذلك أنه كان مبشراً بروتستانتياً بينما سكان الإمبراطوريّة الشرقيّة كانوا على المذهب الارثوذكسي .

ولكن كل ما ذكرناه يعود إلى قبل الف عام من الدهر ، فهل ثُمت مبرر لاستمرار هذه العداوة إلى أيامنا هذه ؟

إذا اعتبرنا أن أساس العداوة سياسي دنيوي لا روحي ديني أيقناً أن هذه العداوة من البشرين نحو الإسلام لا يزال لها مبرراتها . لقد ابرز لورنس براؤن هذا الموقف في صورة واضحة حينما قال : « اذا اتحد المسلمين في امبراطوريّة عربية أمكن ان يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، او أمكن ان يصبحوا ايضاً نعمة له . أما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلّون حيتان بلا وزن ولا تأثير (٣) . أما القدس سيمون (٤) فكان اوضاع في التغيير لما قال ان الوحدة الإسلاميّة تجمع آمال الشعوب السمر (كذا) وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبيّة . ولذلك دان التبشير عاملًا مهمًا في كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الأوروبيّين في نور جديد جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلاميّة من عنصري القوة والتمرّكز اللذين هما فيها : إذا كانت الوحدة الإسلاميّة تكتلا ضد الاستعمار الأوروبي ، ثم استطاع المبشرون ان يظهروا الأوروبيّين في غير مظهر المستعمر ، فإن الوحدة الإسلاميّة حبنت ذلك حجة من حججها وسيّاً من اسباب وجودها . من أجل ذلك قالوا يجب ان نحوال بالتبشير بمحاري التفكير في الوحدة الإسلاميّة حتى تستطيع النصرانية ان تتغلغل في المسلمين (٥) . وكذلك كان الأفرنسيون يخافون من المساعي لتحقيق الوحدة الإسلاميّة (٦) .

وعلى هذا الأساس أصبح الأتراك خطراً على أوروبا منذ دخلوا في الإسلام ، لا

(١) Richter 13. 14, 271 - 2 ; cf. Addison 3.

(٢) Richler 14.

(٣) cf Browne, 37; cf, Islam and Missions 44-48.

(٤) Rev. G. Simon ,

(٥) Islam and Missions 93, 68. 69.

(٦) Potrier 993 .

لأنهم مسلمون بل لأنهم قد أصبحوا قوة تستطيع أن تتفوق في وجه الأطماع الاوروبية (١). حتى السنوية ، وهي فرقة من المرابطين – المجاهدين – نشأت في طرابلس الغرب ، قد أصبحت على قلة أتباعها وقلة انتشارها قوة ترهب الاستعمار (٢) ، لا شيء إلا لأن الاتحاد قوة تفسد على المستعمرن اعمالهم . ولقد بالغ المبشر صموئيل زويمر (٣) حينما هاله ان يرى نفراً من النصارى يدعون الى مصادقة المسلمين في الصين . ان هذه « الصدقة » في رأي زويمر تخلق في نفس النصارى جيناً عن التبشير (٤)

على ان اليسوعيين لا يريدون ان يتنازلا عن روحهم الصليبية ، انهم لا يزالون يذكرون المبشر بلغة فخمة ملوونة مملوءة بالحقد والضيقية والاستفزاز ، انهم يقولون (٥) : ويأتي المبشر تحت علم الصليب ... يحمل بالماضي وينظر الى المستقبل وهو يصنف الى الريع التي تصرف من بعيد ، من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسة . وليس من احد يستطيع ان يمنع تلك الريح من ان تعيده على آذاننا قوله بالأمس وصرخة اسلافنا (الصلبيين) من قبل : ان الله يريد لها (٦) .

هذا قول قاله الأب شانتور الذي رأس الكلية اليسوعية في بيروت زمناً طويلاً في أيام الانتداب وظل في منصبه سنتين طوالاً بعد ذلك . لقد كان الأب شانتور ذا تفوذه ضخمة له المستعمرن فاستخدمه أمامه الحكماء . وقلما صعد أحد منهم كرسياً إلا إذا كان الأب شانتور يراه أهلاً لتنفيذ سياسة الانتداب . ويمكننا ان نعرف سياسة اليسوعيين من كلمة واحدة قالوها . انهم قالوا : يجب ان تكون الادارة الافرنسية في العلوين (وفي غير بلاد العلوين ايضاً) تتمة للاحتلال الصليبي (٧) .

لقد رأى القارئ بلا ريب ان المبشرين يمزجون الدين بالسياسة . ولكن رأى ايضاً وراء كل ريب ان الدين كان الوسيلة ، أما السياسة فكانت المدف الحقيقى . والسياسة هنا معناها استبعاد الغرب للشرق .

(1) Addison 59.

(2) Islam and Missions 48.

(3) Samuel M. Zwemer.

(4) MW Apr 28, pp - 109 ff

(5) Les Jesuites en Syrie 10 : 8 .

(6) حينما جاء الصليبيون الى الشرق كانوا يريدون صرخة واحدة : ان الله يريد لها ، اي ان الله هو الذي اراد الغرب الصليبية .

(7) Les Jesuites en Syrie 10 : 13 .

## افتراوات المبشر بن

لا نريد ان نجعل هذا الكتاب تاريخاً للتبرير ، ولكننا نريد ان نبين ما جره التبشير من المضارّ القومية والاجتماعية على العرب خاصة وال المسلمين عامة . وكل ذلك لن نأخذ أنفسنا بالرد على سخافات الذين أتفوا الكتب في الطعن على العرب والاسلام ، لأننا سنضطر حينئذ الى ان نكتب مجلدات كثيرة . ولكننا نحب هنا ان نقول ان بوسع كل انسان أن يأخذ كل شخصية في العالم وكل فكرة في التاريخ ثم يتهمكم عليها حفاظاً او باطلاً ، او ينسب اليها المطاعن والافتراط بلا دليل . والذي لاحظناه في مئات مما كتبه المبشرون من الكتب انهم لا يمحجون عن الاستهزاء والتهمك على كل مظهر من مظاهر الاسلام ، ثم هم ينكشفون عن جهل فاضح ، سندل على بعضه في الصفحات التالية . ونحن بعد لن نقيس اي منهم بمقدار علمهم .

من جهل المبشرين وبعدهم عن العلم انهم اذا بحثوا في الدين لم ير أحدهم لغير مذهبة هو فضلاً ولا حفاظاً في الوجود ، ثم هم يحبون ان نلقى أقوالهم بالأذعان والتسليم . وما نذكره هنا ما اتفق لاحدنا لما كان في اوروبية ، قال : لقيت نفراً مثقفين كانوا يحبون شيئاً من المناقشة في الدين . ولقد اتفق مراراً ان تناول البحث صاحب الرسالة الاسلامية ، فكنت أقول : « محمد رسول الله » . وربما أحب أحدهم ان يتهمك فيقول لي : وأنت الرجل المثقف تري أن تبحث بحثاً علمياً ثم تدعى ان محمدآ « رسول الله » بلا دليل عقلي علمي ! وعلمت ان المنطق لا ينفع مع صاحبي ، فكنت أقول له ( وقد اتفق لي ذلك مراراً ) : ولكن يا أخي ، اتذكر عليَّ - في باب البحث العلمي - أن أقول : « محمد رسول الله » ، بينما أنت تقول : « أن المسيح هو الله » ؟ فيُبَهَّت صاحبي ، ثم نستمر في نقاشنا .

من اجل ذلك ترى احدهم اذا تكلم عن المسلمين قال عنهم أنهم « اعداء الصليب واعداء الديانة الكاثوليكية (١) » ، ظاناً انه الحق بهم سبة . ثم لا يفوته ان يذكر جريدة البشير فيقول عنها (٢) أنها زعيمة الصحافة الكاثوليكية في الشرق ، لنشر الأمور الكاثوليكية في الدرجة الاولى ، ثم الأمور المسيحية الأخرى ، ثم الردود (على الاسلام طبعاً) . وجريدة البشير جريدة صفراء كانت تصدر في بيروت حتى أواخر عهد

(1) Les Jesuiles en Syrie 6 29 : 30 .

(2) ibid 6 : 31 .

الانتداب ثم توقفت على الصدور اختياراً لأنه لم يبق مجال لصدرها في هذا الشكل الاستعماري الكاره لكل تقدم قومي والداعي إلى التفرقة بين أبناء الوطن الواحد . ولقد كان توقفها عن الصدور حسنة من حسناً الاستقلال الذي ينعم به لبنان الآن . ومن أشد أعداء العرب والمسلمين رجل أرمني اسمه لطفي ليغونيان ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام . ومع أن العلم قليل في كتبه ، فإنه خص هذه الكتب باستعراض أو كان الإسلام والتهم عليهم . ويبلغ بلطفه ليغونيان الجهل إلى أن يقول إن المسلمين جهله لأنهم يعتقدون التزويه في الله تعالى (١) . والتزويه في علم العقائد الدينية هو أن نفي عن الله سبحانه وتعالى صفات هي للبشر كابلسم والأنيف واللحمة .

ومن الأمور التي تستحق التفكير بها قول مبشر اسمه نلسن (٢) يزعم فيه أن الإسلام مقلد ، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل (٣) . ويبلغ التجليل ذروته بمبشر اسمه المحرم جون تاكلي (٤) ؛ انه يقول عن المسلمين : يجب أن نستخدم كتابهم ( اي القرآن الكريم ) ، وهو امضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً . يجب أن نري هؤلاء الناس ان الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً (٥) .

أما المبشر الأميركي جسب فيقول : ان الإسلام مبني على الأحاديث أكثر مما هو مبني على القرآن . ولكننا اذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء ، وصار اشبه بصيرة طومسون (٦) .

وطومسون هذا رجل اميركي جاء إلى لبنان فقدمت له مرة صبيحة فحاول ان ينفيها من البذر . فلما نفى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء .

ويتعرض المبشرون عادة بعقلتهم هذه لتفسير القرآن الكريم ويكترون من الانتقاد والتهم . زعم فريدرريك بلس (٧) ان القرآن الكريم لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام وبين مريم ابنة عمران ، أخت موسى وهرون (٨) . ويقول بلس :

(1) Levonian 68 .

(2) W. S. Nelson .

(3) Islam and Missions 43 .

(4) Rev. John Takle .

(5) Islam and Missions 217 f .

(6) Jessup 297 f .

(7) Frederick Jones Bliss .

(8) Bliss ( R ) 174 .

خاطب القرآن مريم على لسان قومها بعد ان ولدت عيسى ، ولم يكن لها زوج ، بقوله : « يا اخت هرون ، ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيّا » (١) . ثم انه قال : كيف تكون مريم اخت موسى التي عاشت قبل المسيح بألف واربعمائة سنة هي امّ المسيح . ولكن بلس لم يعرف ان هذا من باب الكنائية في علم البلاغة ، ومؤدّاه : مريم التي تشبه (في العفة) ابنة عمران اخت هرون ، كما نقول نحن مثلاً : « يا أخا العرب » مدخلاً لرجل لا صلة له بالعرب أحياناً.

وكذلك اساء ادولف فيزمار (٢) ، وهو دكتور في الفلسفة ، فهم قوله تعالى يخاطب رسوله الكريم : « ألمات تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٣) . ولم يفهم المعنى الصحيح البسيط وأن الجملة استفهام انكاري لا استفهام عادي ؛ كأن يقول لإنسان : ألا تحب أن تكون من الناجحين !

### الإسلام والسيف

وبعد الاخطاء الدالة على جهل المبشرين ثاني سلسلة طويلة من التحامل والافراء . واشهر هذه التهم ان الاسلام قام بالسيف (٤) . قال نلسون (٥) : وانقض سيف الاسلام شعوب افريقيّة وأسيّة شعراً بعد شعب (٦) . ويزعم لطفي ليغونيان ان تاريخ الاسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح (٧) . ولا اريد ان استشهد بكل ما قيل في ذلك ، ولكنني احب ان اجلو النقطة التالية فقط .

قسم الاسلام الناس عرباً وغير عرب .اما العرب فلم يكن يقبل منهم الا الاسلام ، فمن ابي منهم قتل . وذلك واضح في تسع وعشرين آية من سورة براءة او التوبه (٨) . هذه الآيات تتعلق بمحركي العرب ، ذلك لأن الدين الذي نشأ في بلاد العرب وجب ان يعتقد جميع العرب .اما من ليسوا عرباً من اليهود والنصارى فان الاسلام يعرض عليهم ،

(١) القرآن الكريم . السورة ١٩ (مريم) : ٢٨ .

(2) Adolph H. Wismar, Ph. D.

(٢) القرآن الكريم . السورة ١٠ (يونس) : ٩٩ .

(4) Richter 2, and others.

(5) Rev. W. S. Nelson.

(6) Islam and Missions 43.

(7) Levonian 9.

(٨) القرآن الكريم ٩ : ١ - ٢٩ .

(t)

فإن قبلوه فذاك والا فهم احرار يعيشون مواطنين للمسلمين . فالاسلام اذن لم يعرض على البشر كلهم بالسيف ، وانما عرض عليهم فقط . اما العرب خاصة فلم يقبل منهم إلا الاسلام . ذلك كله معروف في مواضعه من القرآن الكريم .

وأما الذين يتعرضون لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بالافتراء فمبشرون كثيرون جداً ، بل كل المبشرين . فقد قال ف . ج . هاربر (١) : إن محمدًا كان في الحقيقة عابد أصنام ، ذلك لأن ادراكه لله في الواقع «كاريكاتور» (٢) . وسماته بعضهم «كذاب مكة» (٣) . ومنهم من زعم ان محمدًا لم يستطع فهم النصرانية ، ولذلك لم يكن في خياله منها الا صورة مشوهة بني عليها دينه الذي جاء به إلى العرب (٤) . اما المسلمين فيقولون عنهم هؤلاء المبشرون انهم لا يفهمون الاديان ولا يقدرونها قدرها (٥) . ثم ليس الاسلام فيما زعموا الا مزيج مشوه من الآراء والمدركات الخاطئة (٦) . وكذلك قال آخرون عنهم انهم لصوص وقتلة (٧) ومتآخرون ، وان التبشير سيعمل على تدميرهم (٨) .

وهناك مزعم ثالث ، هو ان الاسلام تنقصه الناحية الروحية ، وانه دين مادي . حتى اليهودية ليست عند هؤلاء ديناً مادياً (٩) كالاسلام . وكذلك يزعم هؤلاء ان الاسلام نظام شرعي (١٠) أكثر منه نظاماً احلاقياً روحياً . ان الواجبات الدينية والخلقية على ما يزعم هؤلاء فرضت على المسلمين فرضاً ، وكل ما يستطيع المسلمون ان يفعلوه هو ان يزدواج هذه الفروض كما فرضت عليهم (١١) . ويبدو جهل المبشرين في مزعم آخر ، وهو ان المسلم يتزوج اربع نساء كما يشاء ثم يطلقهن كما يهوى لسبب او لغير سبب (١٢) . ويتوسع بعضهم في هذه المزاعم فيقول جب مثلاً ان المسلمين قد حكموا على المرأة بأن تبقى جاهلة ، ثم انهم يصربونها على هذا الجهل : انهم افسدوها

(1) F. J. Harper.

(2) Methods of Mission Work among Moslems 25.

(3) Addison 178.

(4) Addison 18.

(5) Re-Thinking Missions 16.

(6) Garrison 66 f.

(7) Jessup 501 f.

(8) Milligen 171-173.

(9) Beowne 111, 113, 116.

(10) يقصد نقبي (شكل).

(11) Levonian 71, 73.

(12) Cash 98.

ثم اخذوا يضربونها لأنها فاسدة . وكذلك يزعم جسب نفسه ان القرآن يدعو الى ضرب المرأة . حتى المرأة الفاضلة تخشى مثل هذا العقاب (١) ، ذلك لأن الاسلام نظام ناقص والمرأة فيه مستعبدة (٢) .

ويتميز المبشر الاميركي هنري جسب بعزيز من الافتراءات والمخرافات ، فقد زعم ان الشيخ يوسف الاسير علم اولاده اغاني مسيحية باللغة العربية (٣) . والشيخ يوسف الاسير علم معروف في بيروت واولاده معاصرون لنا ، واحفاده لا يزالون يحيون ، بينما لم نعرف ذلك عن احد منهم .

وادعى كثيرون من المبشرين انهم نصروا جماعات من الناس ، كل هذا احتيالا على اموال الجمعيات والافراد الذين ينفقون على مثل هذه المشروعات . من هؤلاء مبشر انكليزي اسمه بلدوين ادعى انه نصر فريقاً من المسلمين ، فأرسلت الهيئة التي يعمل بلدوبن هذا تحت اشرافها رجالاً ليتحققوا من دعواه فلم يجدوا مسلماً واحداً صباً على يديه (٤) .

ويزعم رشر ان اكثر الدروز قد أصبحوا بروتستانتيين قليلاً . ولو لا ان الدولة العثمانية منعتهم بالقوة من إعلان بروتستانتيتهم لأن أصبحوا كلهم بروتستانتاً ظاهراً وباطناً (٥) . ثم ينسى رشر هذا الزعم فيذكر بعد بعض عشرة صفحة عن الدروز انفسهم انهم لا يفكرون في أن يصبحوا نصارى (٦) . ورشر نفسه يزعم هذا الزعم على التصريحية ايضاً . وقد كان جسب يؤمن بالمخرافات ويمزج ايمانه هذا بلاحظات بعيدة عن الشعور الانساني . ففي كانون الثاني عام ١٨٦٢ (رجب سنة ١٢٧٨ ) فاضت الاودية في مكة من مياه المطر وحدثت خسائر في الأبنية والتفوس . فربط جسب هذه الكارثة بفترة سنة ١٨٦٠ في لبنان ، ثم علق على ذلك بقوله ، بعد ان زعم ان لشريف مكة صلة بالفتنة : ان طوفان الكعبة قد جاء دليلاً على ان مكاناً مثيري الفتنة تقع احياناً على رؤوسهم (٨) .

(١) Jessup 28.

(٢) Miiligan 20-21.

(٣) Jessup 145 f.

(٤) Jes sup 547.

(٥) Richter 192 f.

(٦) ibid 2-4.

(٧) ibid 184. 195 f.

(٨) Jessup 241-2.

ويظهر ان رينيه بوتيه (١) اخذ هذه الفكرة من جسب لما قال : « وهكذا نجد منذ بدء عام ١٨٦٠ علامات واضحة للعداوات تظهر في سوريا ضد نصارى لبنان ، كما يخبرنا الأب لافيجيري أن مؤمرة كان قد حاكها الحزب الاسلامي المتعصب ، اما مراكزها فكان في مكة . ونحن نعلم – وقد لا يهمنا ان نعلم – اذا كان الكاردينال شارل ماريال لافيجيري (١٨٢٥ - ١٨٩٢) قد قال ذلك او ان رينيه بوتيه قد قاله على لسانه . ان الذين يعرفون تاريخ سوريا ولبنان ويعرفون تاريخ فتنة عام ١٨٦٠ يعلمون ان قول الكاردينال لافيجيري خطط وجهل عريض بتاريخ هذه البلاد ، او كذب صراح يراد منه الدس والكيد وتسويدي صفحات للامم والشعوب توصلًا باسم التبشير بالدين الى اغراض دنيوية سياسية . لقد بدأ لافيجيري حياته مبشرًا في شمالي افريقيا والسودان ، كلفه بذلك البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ - ١٨٧٨) نفسه (٢) . وبيوس التاسع قاوم الوحدة الايطالية .

وجاءت مرة بوارج امريكية وانكليزية الى مياه بيروت فكتب جسب يقول : ان غوغاء المسلمين الفشاريين المتعصبين قد خبأوا رؤوسهم حيناً من الزمن (٣) . وبينما كان بيوس رشر (٤) يكتب عن ثورة المهدى على الانكليز في السودان بلغت به الحماسة الى ان قال : « ... هذا التعصب الاسلامي الضيق الأفق بكل ما فيه من بعض للثقافة » (٥) .

على ان أغرب ما في تلك المراجم الباهلة مزعم المستشرق الافرنسي لويس ماسينيون . لقد انصرف ماسينيون في عهده الاخير عن العلم الى التبشير لأن التبشير وسيلة الى استعباد الذين يبدلون دينهم على يد المبشرين . زعم ماسينيون ان المسلمين يعتقدون في شأن عيسى بن مریم على ما جاء في القرآن . من أجل ذلك يرجو ان توجه الجهد الى جعلهم يعتقدون بعيسى ابن مریم نفسه ، ولكن باسمه المسيحي (٦) . ولقد غاب عن ماسينيون (وذلك مستغرب) ان نظر المسلمين ونظر المسيحيين الى عيسى بن مریم مختلفان ، ولا شأن لنا بذلك الآن . على اتنا نود ان نقول للمستشرق ماسينيون ان « العلماء » لا يوحنون بالاسماء وتشابه الالفاظ ، ولا هم ايضاً يسترون مكائدتهم الاستعمارية بالعلم .

(1) René Pottier, Le Cardinal Lavigerie, 38-39.

(2) ibid 110-111.

(3) Jessup 748.

(4) Julius Richter.

(5) Richter 366.

(6) L'islam et l'occident 164.

وان الذين يعرفون لويون ماسنيون ويعرفون كتبه وبحوثه لا يمكن ان يعتقدوا ان اموراً يسيرة في العلم والتاريخ والمجتمع مثل هذه تخفي عليه !

هذه هي الآراء التي ينشرها المبشرون على أقوامهم في اوروبية واميركية ، وهكذا كانوا يصورون الاسلام حتى يبرروا دوام التبشير بين المسلمين لتذوق لهم دراهم تدر عليهم من جماعات غافلة عن الحقائق او أنها لا تزال تعتقد ان للاعلان والافراء قيمة في القرن العشرين .

### طريق الاستعمار

ولا ريب في أن الباعث الحقيقي وال الاول في رأي القائمين على التبشير انما هو «القضاء على الأديان غير النصرانية» (١) توصلًا الى استبعاد اتباعها. ان المعركة بين المبشرين وبين الاديان غير النصرانية ليست معركة دين ، بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية . حتى ان البروتستانت مثلاً لا يكتفون بأن يظل المسيحي ارثوذكسيًا ، بل يحب ان يصبح مسيحيًا بروتستانتياً. ان هوى الكاثوليك مع فرنسة وهوى الارثوذكسي مع الروسية ، فإذا انتقل هذان الى البروتستانتية اصبح هواماً مع اميركية في الدرجة الأولى ومع انكلترة في الدرجة الثانية .

وفرنسة ايضاً كان تخشى قوة الاسلام ، لأن الاسلام القوي خطر يهدد استعمارها . قال الكاردينال لافيجيري (٢) : «وبينما كان الاسلام على وشك أن ينهار في اوروبية مع عرش السلاطين (من آل عثمان) كان لا يزال ناشطاً في تقدمه وفتحه على أبواب مملكتنا الافريقية» (٣) .

ويبدو بوضوح ان اشد الاديان مراساً في اباء الاستبعاد انما هو الاسلام ، ولذلك يتمنى المبشرون ان ينصروا المسلمين كلهم (٤) . ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبرهمينيin أيضًا ، فإن المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمين (٥) . ولقد استوى في هذه الرغبة جميع المبشرين ، على الرغم من اختلاف طوائفهم وتبادر الاقنعة التي يرفعونها على وجوههم . حتى المستر بروز (١) رئيس الجامعة الاميركية الجدد يقول : «ان

(1) Missionary Outlook 35 b.

(2) انظر ص ٤٤ .

(3) Pottier 113.

(4) Christian Workers, cf. 17.

(5) Christian Workers 7 f., 13; cf. Jung 67.

المبشرين يمكن ان يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر ، وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات ، إلا انهم قد احدثوا بينهم آثار نهضة ... » ثم يتابع المستر بروز قوله فيقول (٣) « ولقد برهن التعليم على انه اعن الوسائل التي استطاع المبشرون ان يلتجأوا اليها في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان » .

لقد كان خليقاً برجل يأتي ليتولى اعظم مؤسسة علمية في الشرق الادنى ان يفطن الى امرین ، احدهما ان النهضة المزعومة التي بعثها المبشرون ترجع في الحقيقة الى عوامل عامة اتفق ان سايرها المبشرون . ان النهضة التركية ونهضة اليابان ونهضة الروسية مثلاً لم تقم على ايدي المبشرين البروتستانت ، ولكن العالم كله متندفع منذ امد نحو تقدم مستمر ، ولا يمكن لأحد ان يقف في وجه هذا التقدم الطبيعي ، ولا ان تقدم أقطار ثم تظل أقطار اخرى لا تحس بهذا التقدم (٤) .

اما ثالی الامرین فهو ان الاضرار المقصودة التي احدثها التبشير في البلاد العربية تفوق كل نفع عارض يمكن ان يكون التبشير قد أتى به .

لقد كنا نود ان يأتي المستر بروز الى رئاسة الجامعة الامريكية بعقلية العالم ، بعقلية ارحب افقاً من تلك التي ينكشف عنها كتابه . على ان المستر بروز قد أدرك في اثناء رئاسته للجامعة الاميركية (١٩٤٨ - ١٩٥٤) كثيراً من أوجه الرقي والقومية عند العرب . ويعرف المبشرون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين الى صفوف النصرانية قد خاب (٥) . من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون ان يكون عملهم « الانساني » فاصلاً على زعزعة عقيدة المسلمين على الاقل (٦) . من أمثل هذه الحملة ينعد القارئ الى حقيقة بواعث التبشير : انه ليس الاصلاح والحياة الروحية . بل هو الافساد والتسلل الى السيطرة .

هذه المارة من الخيبة في التبشير ، وهذه التنمية على العالم الاسلامي . وهذا الافتاء على المسلمين تلمحه في كلام المبشرين أنفسهم . يتكلم المبشر رايد (٧) عن طرابلس

(1) توفي المستر بروز في ٩ كانون الاول عام ١٩٥٤ Stephan B. L. Penrose, Jr.

(2) Penrose 5.

(3) ibid 7.

(4) راجع الكلام علي ذلك في فصل : الاعمال الاجتماعية ...

(5) Re-Thinking Missions 194 and others.

(6) Islam and Missions 277.

(7) W. Reid.

الغرب كلاماً يمكن ان نعده معبراً عن طوية كل مبشر في بلاد الإسلام ، قال (١) : « ان عمل (المبشر) المسيحي بين هذا الشعب صعب جداً . وبعد عمل امتد خمسة عشر عاماً صع عني ان الطريقة الوحيدة لاكتساب هذا الشعب انما هي في التفوذ الشخصي اليه - تفوذ الرجال والنساء الذين امتلأوا بروح القدس (فجعلت لهم) قوة في حياتهم الشخصية وخلقهم الشخصي . وحتى يستطيع المبشر أن يستغل هذه القوة يتحتم عليه أولاً ان يقارب المسلمين مقاربة شديدة . وهنا تبرز الصعوبة ... ان المشكلة في العمل بين المسلمين ، إذن ، وفي شمالي إفريقيا خاصة ، انما هي في ايجاد الطريقة التي تساعده فعلاً على الاقرابة منهم .

« ثم ان ذلك الحاجز العظيم الذي يدعى عادة بالتعصب ، وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره ، قد بناه الاسلام حول اتباعه ليحميهم في داخله وليرتكب المبشر خارجه . انه جدار طالما ثبت ، مع الأسف ، ان تسقطه او اخترقه مستحيل . ان رجالاً من (المبشرين) قد عملوا ستين متواالية ، وفي مدينة واحدة ، ثم لم يستطيعوا ان يكتسبوا صديقاً او صديقين .

« من الصعب ان تحب مسلماً لأن المسلم ليس محباً الى النفس ، ولأنه هو عادة يشتمز من الذين يحاولون الاقرابة منه اذا نالوا ثقته » .

### إعداد المبشرين

يدرس الذين يريدون ان يعملوا في التبشير مناهج خاصة مبنية على تفهمهم روح الشرق . هنالك سياسة تهيمن على ذلك المنهاج ، هي تصوير الشرق بصورة من التأثير والسوء تحمل طالب التبشير على ان يندفع في مهمته اندفاعاً اعمى . ولقد اوجدت مدار من لهذه المهمة منذ زمان بعيد في رومية وباريس وفي طليطلة باسبانيا اضافت الى مناهجها تدريجاً عسكرياً للتبشير بالقوة (٢) .

ولم يكن من المستغرب ان تقوم الرهبات الاجنبية على اختلاف نزعاتها بالتبشير . ان فرقاً مختلفة من الرهبان قامت منذ أوائل القرن الثالث عشر بالتبشير ، ثم استمرت في عملها هذا بعد ذلك . ومنذ القرن الرابع عشر الى القرن الثامن عشر كان الرهبان الدومينikan والفرنسيسكان يعملون جاهدين في مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام

(1) Gairdner 263-160.

(2) Addison 57 f.

وكاثوليكية . ثم برزت في او اخر القرن السابع عشر فرق اخرى ، منها العازريون وال Kuboshion والاغسطنطيون . ومع ان هؤلاء قد عملوا في الاكثر بين العبيد والاسرى النصارى ، فانهم كانوا من حين الى حين يتعرضون للمسلمين .

على ان هنالك افراداً ليسوا رهاناً ، ولكنهم تعلموا في المعاهد الراهبانية وفي معاهد اليسوعيين خاصة . ان هؤلاء ايضاً يقومون بأعمال تبشيرية مختلفة (١) . هذا النوع من الرجال يعرفون باسم اليسوعيين ذوي الثياب القصيرة (٢) . حتى الراهبات اللواتي يُظن انهن نذرن انفسهن لخدمة المرضى وتعليم الجاهلين ومساعدة المساكين لسن سوى مبشرات . يقول اليسوعيون في كتابهم الذي أصدروه في بيرت عام ١٩٣١ :

« ان الاخوات لسن راهبات معلمات فقط ، ولكنهن ايضاً راهبات مبشرات . انهن في كل مكان يوجدن فيه يعملن الى جانب عملهن التعليمي اعمالاً تبشيرية » (٣) . « وهن لا يكتمن ذلك بل يعلنن انهن يعملن لضم الخراف الضالة أو المهملة الى حظيرة المسيح الملك » (٤) .

ولقد استخدم المبشرون جميع الطرق في سبيل التبشير واستغلوا جميع المناسبات : فصناعة التطبيب والتعليم والوعظ ونقل الكتب من لغة الى لغة ، كلها يجب ان توجه توجيهها يفيد التبشير (٥) . ان الطبيب كارنيليوس فانديك ارسل الى سوريا على انه طبيب مبشر (٦) .

والمبشرون مجتمعون على ان جميع الوسائل – مهما كانت – يجب ان تستغل في سبيل التبشير (٧) . حتى اعمال البر يجب ان تستغل استغلالاً بحثاً ، من ذلك قولهم : « كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير ، ويجب ان يبقيا كذلك . اما اعمال الاحسان فيجب ان تستعمل بحكمة كيلا تذهب في غير سبيلها . يجب ان تعطى الاموال اولاً للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجياً كلما اقترب اولئك من الدخول في الكنيسة ( اعتناق مذهبها ) ، فاذا دخلوها منع عنهم الاحسان مرة واحدة (٨) .

(1) Les Jesuites en Syrie 12 : 7 ss.

(2) Voir Larousse : Jesuites à robes courtes.

(3) Les Jesuites en Syrie 12 : 18, cf. 2:28.

(4) Les Jesuites en Syrie 11 : 28 s.

(5) Jessup 68 ; Richter 80.

(6) Richter 179.

(7) Cf. Jessup 29, 37 ; Bliss (B) 313.

(8) Re-Thinking Missons 67 f., cf. 70 f.

ومن وسائلهم انهم اذا دخل في خدمتهم رجل لا يتسمى الى مذهبهم حملوه على الدخول فيه . عمل شاب درزي في المطبعة الامير كاتية فصباً الى المذهب البروتستانتي . ثم عمل بعد ذلك في المطبعة الكاثوليكية فانتقل الى المذهب الكاثوليكي (١) . ولعل هذا الشاب ظل درزياً ولكنه كان حاجته الى العمل يتظاهر أمامهم بما يرويدونه منه .

وكان المبشرون يتخدون من زيارة المسجونين ومن العمل في المستشفيات وسيلة الى التبشير (٢) . في الحرب العالمية الأولى اخذت الدولة العثمانية عدداً من الراهبات للعمل في المستشفيات والمياتم ، فقال الكتاب المنوي اليسوعي عن هؤلاء : « وفي منصبهن الجديد بقيت الأخوات مبشرات يلقن التعليم المسيحي ويُعدّن للتناولة الأولى ، ويعلمون الصلوات على الرغم من التحذير والتهديد اللذين كان المقتشون الأتراء يوجّهونهما اليهن (٣) . وهكذا كان المبشرون والمبشرات يقدّمون الى الانسانية بوجه من فعل الخير والشهر على المتألين بينما هم ينفّذون من خلال هذه الآلام المبرحة الى طرق جديدة للتثبيـر . ومع انهم لم ينفعوا الا قليلاً ، فإنهم ادخلوا الى قوسـ الكثرين آلاماً جديدة كثيرة ووصـموا الضمير الانساني بالمناقـق .

وكانت قلة النـوق بالـبشرـين تبلغ إلى حد ان أحدهـم لم يكن يتأخر عن عرض بضاعـته في التـبـشـير بين أـهـلـ المـبـتـ ، والمـيـتـ لا يـزـالـ بين أـهـلـهـ . ذـهـبـ المـبـشـرانـ كـلـهـوـنـ (٤) وجـسـبـ يـعـزـيـانـ بـوـفـاةـ شـابـ درـزـيـ . فـعـماـ انـ اـسـتـقـرـ بـكـلـهـوـنـ المـقـامـ حتـىـ قالـ (٥) « ما رأـيـتـ جـسـداـ مـيـتاـ لـأـخـ لـيـ فـيـ الـأـنـسـانـيـةـ لـأـمـلـتـ اـشـمـزـازـاـ ، بلـ مـلـتـ بـغـصـاـ . اـجـلـ مـلـتـ بـيـغـضـ الخـطـبـيـةـ الـيـ أـتـ بـالـمـوـتـ إـلـىـ هـذـاـ عـالـمـ وـكـانـ سـبـبـ اـحـزـانـاـ وـاضـطـرـابـاـ وـآـلـامـاـ . فـلـمـ لـأـنـقـتـ الخـطـبـيـةـ إـذـنـ ثـمـ نـحـبـ ذـلـكـ الذـيـ لـمـ يـعـرـفـ الخـطـبـيـةـ ، وـلـكـنـهـ ذـاقـ المـوـتـ فـيـ سـيـلـ كـلـ اـنـسـانـ آـخـرـ؟ـ . يـقـصـدـ كـلـهـوـنـ اـنـ يـكـرـهـ المـيـتـ ، اـذـ كـانـ غـيرـ مـسـيـحـيـ ، اـذـ اـنـ يـمـوتـ وـهـوـ مـلـوـءـ بـالـخـطـبـيـةـ . اـمـاـ المـيـتـ مـسـيـحـيـ فـانـ مـسـيـحـ يـكـونـ قدـ حـمـلـ عـنـهـ خـطـايـاهـ لـمـ مـاتـ فـدـاءـ عـنـ الـبـشـرـ ، كـمـاـ يـقـولـ النـصـارـىـ .

نـحنـ لـأـنـلـمـ مـكـانـاـ يـبـنـوـ فـيـ الـنـوـقـ عـنـ مـثـلـ هـذـاـ عـلـمـ كـالـلـامـ . لـقـدـ جـهـلـ هـؤـلـاءـ كـلـهـمـ اـنـ لـمـ حـرـمةـ وـرـهـةـ . ثـمـ إـنـهـ طـعـنـواـ الـنـفـسـ الـأـنـسـانـيـ حـيـنـاـ ظـنـواـ اـنـهـ تـصـلـ إـلـىـ اللهـ

(1) Les Jesuites en Syrie 12 : 27.

(2) ibid 7 : 28, 11 : 24.

(3) ibid. 11 : 24.

(4) Rev. H. S. Calhoun.

(5) Jessup 101.

وهكذا تمكن اليسوعيون بمساعدة الافرنسيين ، او الجيش الافرنسي على الاصح ، ان يتقدوا اثنين وعشرين اسرة (او نحو مئتين شخصاً) الى المذهب اللاتيني المسيحي بعد أن جمعوهم في جنتية رسلان في الخامس عشر من آب (أغسطس) عام ١٩٣٠ .

ويعلق اليسوعيون على ذلك بقولهم وبلغتهم :

*Le premier pas était fait, il était décisif*

— لقد خططنا الخطوة الاولى ، ولقد كانت خطوة حاسمة ! (١) —

بمثل هذه الروح يعمل اليسوعيون في بلادنا . ولا غرو فلقد كانوا مسلحين دأماً بالرضاي الفرنسي لأن معاهدة فرساي قد نصت في مادتها الثامنة والثلاثين بعد الأربعين على جواز التبشير في سوريا .

وبعد شهرين من هذا الحادث ، في السادس من تشرين الاول عام ١٩٣٠ ، اسفر اليسوعيون عن وجههم تماماً وذهب الاب شاتور ، رئيس الجامعة اليسوعية يومذاك ، مع خمسة من المبشرين ليؤسسوا مركزين للتبشير في بلاد العلوين وفي قرق خان (٢) .

### تنافس المبشرين

لو كان التبشير دعوة خير لما تنازعوا فيه طوائف المبشرين ولما تنافست فرقهم ومنذاهاتهم . والدليل القائم على ذلك ان كل مذهب ديني ينشرون مع مذهبهم ، وهم يبشرون به ، هو سياسياً معيناً . ولقد كانت الدول لهم بمبشرتها لاعتقادها ان مبشرتها طلائع نفوذها ومقدمات لتبسيطها في الأرض .

لما اتسع نفوذ المبشرين الامريكيين في الامبراطورية العثمانية ، بين عام ١٨٤٠ و١٨٥٠ ، وكثير تدخلهم في شؤون البلاد تفيذآ لسياسة استعمارية ، عزمت تركية على اخراجهم من الامبراطورية كلها . ولكن وزير الخارجية الاميركية رفض أن يتخد مثل هذه الخطوة . ثم استطاعت الولايات المتحدة ان تحول انتباه الباب العالي الى امور اخرى (٣) ، اي ان الولايات المتحدة اثارت لتركية مشاكل كبيرة صرفتها عن امر المبشرين . وهكذا ظل المبشرون الامريكيون يتمتعون في الامبراطورية العثمانية بحقوق الرعايا الامريكيين كما تنص معاهدة « الامتيازات الأجنبية » التي تمنع الأجانب

(1) Les Jesuites en Syrie 10 : 23-9.

(2) ibid 10 : 7.

(3) Islam and Missions 159.

المرغوب في وجودهم في الامبراطورية العثمانية حقوقاً واسعة . ولكن المبشرين كانوا يتسلّحون بهذه المعاهدة ويأتون بأعمالهم التبشيرية والسياسية ، حتى أفقدت تركية نفسها من هذه المعاهدة الخاتمة عام ١٩١٤ ، إذ ألغتها بعد نشوء الحرب العالمية الأولى .

وأدرك المبشرون ان اختلافهم يضعف قواهم من ناحيتين : ان المنافسة بين الجمعيات التبشيرية يضطرها الى بذل جهود كبيرة ثم يجعل بعضها ينافس بعضآ ، وهكذا تُضعف حركة التبشير نفسها . كذلك يحيط اختلاف المبشرين فيما بينهم من مقامهم في عيون الشعوب فيقل تأثيرهم بقلة احترام الناس لهم . لذلك فرح المبشر جون موطن لما اجتمع في مؤتمر ادفبره (اسكتلندي) عام ١٩١٠ مندوبون عن مائة وسبعين وخمسين جمعية تبشيرية من جميع أقطار العالم ثم ألقوا بجاناً مشتركة لمتابعة اعمال التبشير المختلفة . ولكن هذه اللجان المشتركة لم يكتب لها نجاح كبير ، فقد حالت الحرب العالمية الأولى دون قيامها بالعمل الموحد . ثم انتهت الحرب العالمية الأولى ، ولكن القيادات الدينية في العالم المسيحي لم تنشأ أن تتنازل عن زعامتها الخاصة ، مما جعل جون موطن نفسه يقر بأن الجمعيات المسيحية غير موحدة توحيداً ظاهراً ولا فعلياً ، لا في البلاد غير المسيحية ولا في اميركا نفسها (١) . إن توحيد جهود المبشرين لم يتحقق لأن لكل دولة من وراء التبشير غaiات سياسية تختلف غaiات سائر الدول .

ولما حاول جون موطن ان يرسم صورة للشخصية التي يجب ان تتحدد تحت قيادتها جهود الامم النصرانية في ميدان التبشير أصر على نقطتين اساسيتين : اما او لا هما فهي أن تكون القيادة جامعة ، لأن العصر الذي نعيش فيه جعل العبريات تتخطى الحدود القومية . ثم أكد ، في المقام الثاني ، العنصر الاقتصادي في القيام بأعباء التبشير (٢) . فإذا نحن علمنا ان جون موطن كان قد عرض في كتابه للناحية الاقتصادية في فصل كامل سماه « اطلاق قوة المال (٣) » وذكر فيه – بالاستناد الى دائرة المعارف البريطانية – ان الولايات المتحدة هي اغنى الدول ، بل اغنى من عدد كبير من الدول الغنية مجتمعة ، لم نعد الصواب اذا قلنا انه كان يريد هذه الرعامة لأمنه الاميركي البروتستانتية . وهذا أمر لا تقره بطبيعة الحال فرنسة الكاثوليكية ولا انكلترة البروتستانتية نفسها . اضف الى ذلك كله الانانية والنظرية الاقليمية الضيقية والكره المتأصل بين المذاهب مما يجعل دون

(1) Five Decades 48 - 49, 60 - 61.

(2) ibid 119 - 133.

(3) ibid 62 - 82.

تأوياً روجياً (ص ٥٦).

وكذلك يرى هذا الكتاب ان جميع المبشرين من بلاد رأسمالية ، ولكن هذا يجب الا يمنعهم من تفهم المذاهب الاقتصادية الاجنبية كالاشراكية والشيعية . وعليهم ان يطعنوا الرأسمالية اذا كان ذلك يفتح لهم قلوب الخاضعين قهراً لها ، حتى انه ليس ثمة مانع يمنع مصادقة الشيوخين ايضاً (ص ٢٥٤-٢٥٢) ، وان كانت الشيعية عدوة للنصرانية .

من هنا نرى بوضوح ان المبشرين ينصحون لأنفسهم بالتلون في سبيل الوصول الى قلوب بعض الناس . هنالك كتاب اسمه « طرق العمل التبشيري بين المسلمين (١) » يقول : « لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتربون في الدرجة الاولى بأننا نحبهم فنكون قد تعلمنا ان نصل الى قلوبهم ... يجب على المبشر ان يحترم في الظاهر جميع العادات الشرقية والاسلامية حتى يستطيع ان يتوصل الى بث آرائه بين من يصغي اليها . وعليه مثلاً أن يتحاشى ان يقول عن المسيح إنه ابن الله (٢) حتى لا ينفر منه أولئك الذين لا يؤمنون هذا الایمان فيستطيع ان يقاربهم حينئذ بما يريد أن يدعوههم اليه » . واما المحترم تشارلس واطسون (٣) فيقول (٤) : « يجب ان يظلوا (أي المبشرون) براءاء كاحمام ، ولكن هذا لا يمنعهم ايضاً من ان يكونوا حكماء كالحيات » .

\* \* \*

وما يدل على قلة احتفال المبشرين بالمثل العليا الحقيقة وبالاحداث التي تساعد على تقدم المدينة خومدى اوسع واجمل موقفهم من اعلان الحرية العثمانية في تموز عام ١٩٠٨ . لقد كان اعلان الحرية العثمانية واعادة الدستور في الامبراطورية العثمانية كلها حدثاً عظيمًا في تاريخ تركية نفسها وفي تاريخ العرب ، وكذلك كان له تأثير كبير ايضاً في السياسة الدولية .

اما المبشرون فلم يروا في تلك المناسبة الفذة في تاريخ امبراطورية الامبراطورية العثمانية الا فرصة جديدة لنجاح حركة التبشير . وبعد ان يشير جسب الى هذه المناسبة العظيمة في الامبراطورية العثمانية ، يقول : « ان القضية التي تواجهنا بطبيعة الحال

(1) *Methods of Mission Werk among Moslems*, cf. p 31.

(2) *Methods of Mission Work*, p p. 45 ff., 51 f., 53.

(3) Rev. Charles R. Watson.

(4) *Islam and Missions* 192.

هي : ماذا يكون من أمر هذا الانقلاب العظيم على دين الامبراطورية (العثمانية) ؟  
ويجب جسب نفسه على هذا التساوٌ فيقول : إن هذا سيساعد على طبع الكتب  
البروتستانتية ، وسيصبح المرء (العثماني) حرّاً في ان يغير دينه (٢) .

وبينما كان المبشرون المؤتمرون في القاهرة في نيسان عام ١٩٠٦ يعتزفون ضمّناً  
بصعوبة التبشير ، وان التبشير كان الى ذلك الحين فردياً يتناول الفرد بعد الفرد ، وانهم  
يأملون ان يصبح التبشير اجتماعياً يتناول جماعات بقضها وقضيضها (٢) ، اذا بهم يقررون  
في مؤتمر بيروت غير الرسمي ، قبيل عام ١٩١١ ، ان يبدأوا تصييرآ بين المسلمين مباشراً  
يسير في سوريا وفلسطين خاصة بهدوء وبوسائل مختلفة . ولا يجد المبشرون حرجاً  
في ان يعلنوا ان نشر الدستور العثماني قد جعل التنصير المباشر اكثر إمكاناً وسهولة .  
من أجل ذلك قرروا ان يجددوا جهودهم وان يسيراوا بأعمالهم الى الامام (٣) .

واستغل المبشرون مناسبة ثانية لتوسيع اعمالهم . لقد استغلوا الانتداب الذي فرض  
على البلاد العربية بالقوة ، ثم احتموا بالدول المتقدمة وراحوا يخلقون المشاكل الدينية  
والقومية بين أبناء الوطن الواحد باتيائهم اعملاً تستفز الشعور وتزيد البغضاء في القلوب :  
تلك البغضاء التي لا تنفجر احياناً دينياً وان كانت تنفجر دائماً ، بلا ريب ، سياسياً  
واجتماعياً واقتصادياً وأديرياً .

### جنبية رسلان

ونظر اليسوعيون في منطقة الانتداب الافرنسي فاختاروا ان يسعوا جهودهم  
التبشيرية في بلاد العلوين بين النصيريـة ليفرضوا على المستضعفين منهم المذهب الكاثوليكي .  
فزعـوا أن نـفـراً من هـؤـلـاء قد جاءـوا إـلـى الرـاهـبـات الـيـسـوعـيـات في صـافـيتـا وـطـلـبـوا مـنـهـم  
ان يـقـبـلـهـم في المـذـهـب الـلـاتـيـني . وـيـقـولـون إـنـ الرـاهـبـات المـذـكـورـات اـتـصـلـنـ بـبـيـرـوـتـ  
فـأـسـرـعـ رـهـبـانـ يـسـوعـيـونـ منـ بـيـرـوـتـ إـلـى بـلـادـ العـلـوـيـنـ وـاستـكـبـنـ رـجـلـاًـ اـسـمـهـ مـحـمـدـ  
ثـامـرـ او زـعـمـوا ذـلـكـ اـسـمـاًـ لـرـجـلـ نـصـيـريـ كـتـابـاًـ ، ثـمـ اـرـسـلـوـاـ كـتـابـهـ إـلـى الـبـابـاـ ، وـفـيهـ  
يـقـولـ بـزـعـمـهـ انـ النـصـيـريـهـ مـنـ أـحـفـادـ الصـلـيـبيـيـنـ ، وـانـ التـعـلـيمـ الـدـينـيـ عـنـ الرـهـبـانـ جـعـلـهـمـ  
يـرـوـنـ انـ النـصـرـانـيـهـ خـيـرـ الـأـدـيـانـ .

(1) Jessup 790 f.

(2) Addison 148.

(3) Islam and Missions 39 f.

بكلمات تلقن او باشارات تمثيل . وبعد ذلك كله نسوا ان بين قلب كل انسان وبين الله طریقاً مفتوحاً يسلكه الانسان نفسه بلا قائد ولا وسيط .

ولما خابت هذه الاساليب كلها عمد المبشرون الى الرشوة بفسدون بها ضمائر الذين يستمياوونهم . حينما ظهر اليسوعيون للمرة الأولى في شرق الأردن رشوا نفراً من النصارى الارثوذكس للانضمام الى الكنيسة الرومانية (١) . على ان البروتستانت كانوا اشد ايجالاً في افساد الضمائر ، فقد اخذدوا سماحة يجلبون لهم الذين كانوا يرضون ان يبدلو دينهم ، وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهباً (٢) .

على ان إعداد المبشرين مختلف بين زمن وآخر . وكذلك طرق التبشير اختلفت من جيل الى جيل ، ومن قطر الى قطر . في بينما كان التبشير في القرن التاسع عشر خاصاً باشخاص اخذدوا التبشير عملاً لهم ثم حاولوا نشر النصرانية بجدال المسلمين ومحاولة تبيان فضل النصرانية على الاسلام وباصرار على الجانبي الغبي من حياة المسيح ، وجدنا زعماء التبشير في العالم البروتستانتي خاصة يرون ان هذا المظاهر الديني الصارخ يعرقل أعمال البشر (٣) . من أجل ذلك يرى المبشر الاميركي المشهور جون رالي موط في كتابه «خمسة عقود ونظرة الى المستقبل» ، الذي أصدره في عام ١٩٣٥ ، صواب الحركة التي بدأت في مطلع القرن العشرين ، وفي الولايات المتحدة خاصة ، تلك الحركة التي استغلت الطلاب والاساتذة وعوام الناس في التبشير (٤) . ان المبشر جون موط يعتقد أن المظاهر البريء في الطالب والاستاذ والعامي من الناس لا يصرف المسلم مثلاً عن سماع أقوال هؤلاء ، بينما الثوب الذي يظهر فيه المبشر يعمل على تنفير القلوب .

وكذلك جعل المبشرون ، في السنين الاخيرة ، يتذكرون الطرق الايجابية المباشرة في نشر آرائهم الى طرق اكثر التواء وخفاء . ويبدو ان هذه الطرق الملتوية الخفية لم تنجح ايضاً . يقول السر ريدر بولارد ، الذي كان وزيراً مفوضاً ثم سفيراً لبريطانيا في ايران من عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٦ ان مسلمين كثاراً يقدرون اعمال الجمعيات التبشيرية في التعليم والتطبيب ، ولكنهم يصمون آذانهم عن دعوتها الدينية (٥) .

(1) Richter 247.

(2) Jessup 35.

(3) Middle East Survey, cf 175-7.

(4) Mott, Five Decades, cf 1-4.

(5) Bullard 163.

وتلبيس المبشرون بجميع المظاهر ، حتى في ثوب المستكشفين الذين ظهروا أمام العالم علماءً أعلاماً . فقد كان دافيد ليفنستون (١٨١٣ - ١٨٧٣) رحالة بريطانياً اخترق اواسط افريقيـة من مرفأ سان بول دي لاوندا في انغولا البرتغالية شرقاً إلى كيليمان عند مصب نهر زامبيسي في مضيق الموزمبيك تجاه مدغشقر شمال خط العرض العشرين غرباً . على أن ليفنستون كان مبشرًا قبل أن يكون رحالة ، ولم تكن رحلته المشهورـ في تاريخ الاستكشافـات البحـرـافية الا تمـهـيـداً للبعثـات التـبـيـرـية . قال رولاند اوـلـيفـرـ في كتابـه « العـاملـ التـبـيـرـيـ فيـ شـرقـ اـفـرـيقـيـةـ » (١) :

« ... ولقد أعد (ليفنستون) نفسه منذ سنواته الأولى ، حينـما كان يـعملـ فيـ جـمـعـيـةـ التـبـيـرـ اللـندـنـيـةـ ، لـلاـضـطـلـاعـ بـمـشاـكـلـ التـبـيـرـ الـخـاصـةـ بـأـفـرـيقـيـةـ الـإـسـتوـاـئـيـةـ وـبـالـعـملـ بـيـنـ شـعـوبـ فـطـرـيـةـ فـيـ بـلـادـ لمـ تـكـنـ قـدـ سـكـنـهاـ الـأـوـرـوـبـيـوـنـ .. وـفـيـ عـامـ ١٨٥٦ـ كـانـ لـيفـنـسـتـوـنـ لـاـ يـزـالـ يـفـكـرـ ، بـطـيـعـةـ الـحـالـ ، فـيـ التـجـارـةـ اـكـثـرـ مـنـ الـاستـعـمـارـ . وـبـمـاـ اـنـهـ كـانـ أـوـلـاـ ، وـقـبـلـ كـلـ شـيـءـ ، مـبـشـرـاـ مـسـيـحـيـاـ ، فـلـقـدـ اـخـتـارـ ، كـعـضـوـ فـيـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ (ـالـتـبـيـرـيـةـ) ، اـنـ يـبـحـثـ عـنـ نـهـرـ تـسـطـعـ السـفـنـ اـنـ تـمـخـرـ فـيـ اـلـدـلـاـدـ ... . لـقـدـ أـرـادـ لـيفـنـسـتـوـنـ اـنـ يـسـتـكـشـفـ طـرـقـاـ فـيـ اـفـرـيقـيـةـ الـمـبـشـرـيـنـ لـاـ لـمـدـنـيـةـ .

### الغاية تبرر الواسطة عندهم

كلـ هـذـهـ الـوـسـائـلـ لـمـ تـجـدـ نـفـعاـ كـبـيرـاـ ظـاهـراـ ، فـظـهـرـ فـيـ عـامـ ١٩٣٢ـ كـتابـ اـسـمـ «ـ التـفـكـيرـ الـجـدـيدـ فـيـ اـمـرـ الـأـرـسـالـيـاتـ » (٢) ، أـصـدـرـتـهـ بـلـحـنـةـ الـمـبـشـرـيـنـ . لـقـدـ رـأـىـ هـوـلـاءـ اـنـ التـبـيـرـ يـجـبـ اـنـ يـسـتـمـرـ ، وـلـكـنـ وـسـائـلـهـ يـجـبـ اـنـ تـبـدـلـ (ـصـ ٤٠-٤١ـ) . ذلكـ اـنـهـمـ رـأـواـ اـنـ الـعـالـمـ يـتـبـدـلـ فـأـحـبـواـ اـنـ تـبـدـلـ خـطـطـهـمـ حـتـىـ تـوـاقـقـ الـاحـوالـ الـجـدـيدـةـ (٣)ـ ، وـالـمـبـشـرـوـنـ يـفـرـضـوـنـ عـلـىـ اـنـفـسـهـمـ اـنـ يـكـوـنـواـ مـسـتـعـدـيـنـ لـاـنـ يـقـبـلـواـ بـأـمـرـ تـحـالـفـ الـعـقـيدةـ الـمـسـيـحـيـةـ (٤)ـ . مـنـ ذـلـكـ مـثـلـاـ اـنـ الـمـسـيـحـيـةـ تـعـتـقـدـ اـنـ اللهـ وـاحـدـ ، وـلـكـنـهاـ تـسـطـعـ اـنـ تـسـامـحـ مـعـ اـصـحـابـ الـعـقـائـدـ الـتـيـ تـعـدـ اللهـ فـتـقـولـ تـقـرـبـاـ يـهـمـ بـاـنـ اللهـ يـتـشـكـلـ فـيـ مـظـاهـرـ مـخـتـلـفـةـ (ـ رـاجـعـ صـ ٥٣ـ)ـ . وـهـذـاـ الـكـتـابـ يـجـزـ لـلـمـبـشـرـيـنـ – كـبـلـاـ يـنـفـرـوـاـ مـنـهـمـ اـبـنـاءـ الـدـيـانـاتـ الـمـخـالـفـةـ لـلـنـصـرـانـيـةـ – اـنـ يـتـأـلوـاـ التـعبـيرـ الـمـسـيـحـيـ «ـ المـسـيـحـ اـبـنـ اللهـ »ـ .

(1) *Missionary Factor in East Africa*, 1, 9, 11.

(2) *Re-Thinking Missions*.

(3) *Re-Thinking Missions*, p xi ; *Le Jesuites en Syrie* 10 : 41 ss.

(4) *Levonian*, cf. 13, pp. 129-136.

تحقيق التعاون على وجه ناجح (١). وهذا من حسن حظ المسلمين وحظ سائر البشر.

### المبرور به بخالقه على النظام البحريكي

ولم يكتف المبشرون منذ اول أمرهم بأن يقيموا حيث شاءوا في الامبراطورية العثمانية ، بل اتخذوا من ضعف الدولة العثمانية سبيلاً الى التخلص من دفع الضرائب لأنهم اجانب !

ويبدو لنا بكل وضوح أن الامتيازات التي أصبح الأجانب يتمتعون بها في الامبراطورية العثمانية كانت تزيد كلما زاد ضعف تلك الامبراطورية . فالامريكيون مثلاً لم يكونوا قبل عام ١٨٦٥ مُعفّينَ من الضرائب (٢) . ويبدو ان الرهبان اليسوعيين خاصة كانوا يتمتعون بالاعفاء من الضرائب قبل المبشرين الامريكيين (٣) . وأخيراً أصبحت الامبراطورية العثمانية من الصعب بحيث سمحت لجميع الاجانب بأن يتمتعوا في امبراطوريتها بامتيازات واسعة فلا يدفعون ضرائب على ما يستوردون من الخارج اذا كان حاجاتهم الخاصة . ولكن تركية عاودتها في آخر الأمر جرأتها وألغت الاعفاء البحريكي لأنها عرفت ان رجال الدين الاجانب الذين جاءوا لاعمال البر والاحسان بين ظهرانينا قد جعلوا يستوردون البضائع المختلفة ثم يبيعونها للتجار الوطنيين ، او يبيعونها لحسابهم الخاص ولكن بواسطة التجار الوطنيين (٤) .

ولقد كانت الدول الاجنبية تبسط الحماية على مبشرتها في بلاد الشرق لأنها تعدّهم حملة لتجارتها وآرائها ولثقافتها الى تلك البلاد ، بل لقد كان ثمة ما هو أعظم من هذا عندها : لقد كان المبشرون يعملون – بطرق مختلفة كالتعليم مثلاً – على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التبسط الاجنبي (٥) .

في الرابع من نيسان عام ١٩٢٤ عقد اتفاق بين الولايات المتحدة وفرنسا في باريس ، ولكن لم يعلن الا في الثالث عشر من آب ، جاء في المادة العاشرة منه :

« ان اشراف الدولة المتبدلة على الارساليات الدينية في سوريا ولبنان يجب ان

(1) Cooperation and the World Mission 45.

(2) Jessup 293, 572, 470.

(3) Jessup 534 etc. etc.

(4) Jessup 293.

(5) Re-Thinking Missions 11, 14, 15.

يقتصر على حفظ الأمن وتسيير الحكم<sup>(١)</sup>. ثم ان نشاط هذه الارساليات الدينية يجب الا يُعرض سببه ، كما ان رجال هذه الارساليات يجب الا يخضعوا لتدبير يقيدهم بسبب جنسيتهم<sup>(٢)</sup> ، ما دام نشاطهم قاصراً على الحقل الديني ... » .

هذه المادة تدل ضمناً على القيام بالتبشير ، لأن التبشير هو المقصود بالتركيب « نشاط هذه الارساليات الدينية » ، مما يلاحظ من اماكن مختلفة ، سرعاها في الفصول التالية . وليس المقصود منها « ممارسة العبادات » : ان رعايا الدول الاجنبية كلها تمارس عبادتها في لبنان وفي غير لبنان من غير ان تكون قد عقدت معاهدة مع الدولة الفرنسية المنتدية .

على ان فرنسة المنتدية على سورية ولبنان قد استغلت كل فرصة لتنقل امتيازات الارساليات المختلفة الى الارساليات الفرنسية وحدها . ففي تشرين الثاني من عام ١٩٢٥ نقلت الحكومة الفرنسية حق الاشراف على المؤسسات التبشيرية ، التي كانت لللامان قبل الحرب العالمية الاولى في بيروت خاصة ، الى المؤسسات التبشيرية والتعليمية الفرنسية ثم جعلتها تتمتع باشراف الحكومة الفرنسية نفسها واشراف المفوض السامي في سورية<sup>(٣)</sup> .

هذه لمحه عامة في بواتح التبشير وملابساته وغاياته الظاهرة والباطنة نمر بها مسرعين . وسير القارئ الكريم اووجه التبشير مفصلاً في الأبواب التالية .

ونحن نحب من القارئ ان يتبيّن ان حب الخير والتعليم والتطهير وما اليها هي وسائل للتبشير . ثم ان التبشير الديني نفسه ستار للتبشير التجاري والسياسي وأساساً متيناً للاستعمار . ولنذكر دائماً ان اكثـر الفتن الداخلية في الشرق ، من دينية وسياسية واجتماعية ، اثـما قـام بها المـبشـرون والـذـين استأجـرـهم المـبشـرون ، عـلـى ما نـراـهـ في الصـفحـاتـ التـالـيةـ كـلـهـاـ .

(١) في الاصل : Good Government

(٢) المقصود : يجب الا يحرم الامريكيون من امتيازات تستعـنـ بهاـ الـارـسـالـيـاتـ الـدـينـيـةـ .

(3) Beauquis 3 - 5.

ان نفراً منهم انشأوا مستوصفاً في بلدة الناصر في السودان ، وكانوا لا يعالجون المريض ابداً الا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح (١) ، وان كان الكاتب قد وضع هذا المعنى في تركيب بلاغي مختلف عن هذا الذي قلناه نحن في الفظ فقط . ومثل هذا كان فعلهم في أماكن مختلفة ، ففي بلدة الناصر هذه مثلاً كان التنصير والتطيب يسيران جنباً الى جنب كما يقول المؤلف نفسه (٢) . وفي الجبعة كانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوه المسيح أن يشفئهم (٣) . ومن الحال التي استعملها المبشرون في وادي النيل انهم استخدمو ثلاثة مراكب وجعلوها مستوصفات فقلالة على النيل . وكانوا يعلون عن مجيء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل ، فيأتي الناس من كل صوب يحملون مرضاهم ، ويستطر الجميع قدوم الطبيب . في هذه الأثناء يقوم فيهم من يبشر (٤) فرحاً بالجحوع ، من غير أن يتحرك ضميره لهذه الآلام التي يتحملها المرضى في وضع الشمس ومغضض الانتظار عمداً وخداعاً .

ومثل هذا كانوا يفعلون في بلدة الشيخ عثمان في اليمن . كان الناس يأتون من مكان بعيد يحملون مرضاهم ، وكان أولئك الاطباء ، الذين لم يضع الله في قلوبهم شيئاً من معانى الإنسانية ، لا يبدأون بعلاج المرضى الا بعد ان يكرزوا عليهم (٥) . وحملت ام مرأة طفلها المريض وجاءت به الى مستوصف الناصر بالسودان ، ولكن الطفل مات في أثناء الطريق الطويلة ، فلم يُعزِّزَ الطبيب هذه الأم الشكلي بل جلس يكرز عليها (٦) .

وكان المبشرون يعلون ذلك ولا يكتسونه ، فقد قال رشر : في هذه المناسبات من التطيب في مستوصف او مستشفى يمكن للطبيب ان يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ومن شخص غير الطبيب لامتلاؤا غيظاً وغضباً (٧) . اما حيث تمزج الصفاقة بالتدجيل ويمتزج الجهل بموت الضمير فكلام ليبرا هاريس . قالت ليبرا هاريس تتصح الطبيب الذاهب بمهمة تبشيرية :

« يجب ان تنتهز الفرص لتصل الى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل . اياك أن تضيع التطيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الأطلاق .

(1) Milligan 158

(2) Milligan 101

(3) Milligan 32

(4) Milligan 142

(5) Gairner 278 f.

(6) Milligan cf. 158.

(7) Richter 252; cf. Methods of Missions 54.

يكون كل من دخل المستشفى او اتي الى المستوصف للمعالجة قد تلقى من طبيبه المبشر تلك الكلرازة (١) التي توجهه نحو المسيح (٢).

من أجل ذلك عُيِّن المبشرون ، اول ما عُنوا ، بالتطيب على انه واسطة الى غاية . ان اليسوعيين مثلاً قد أسسوا اكثراً اعمالهم التبشيرية في سوريا الى جانب مراكز التطيب . بل ان مراكز التبشير قد بدأت عندهم مراكز للتطيب في اول الأمر . وفي هذه المراكز وجهوا عنائهم الاولى الى كبار الموظفين والى الاعيان . وكانوا يستغلونهم من هذه الطريق لصالح تبشيرية بخت . ومع الأيام أخذت عنامة اليسوعيين بالتطيب تقل وقيامهم بالتبشير يزيد حتى حل التبشير المخصوص محل التطيب (٤) الذي كان رعاء الناس .

### كبار الاباهيم مبشرورون

ومنذ عام ١٨٧٥ م وجهت الجماعات التبشيرية اهتمامها الى سوريا وانشأت مراكز طبية في غزة ونابلس وغيرهما من المدن ، في سوريا وفلسطين . وكذلك كان لهم اطباء دوّارون يزورون القرى ليلاحقوا الناقمين الراجعين الى قراهم فيكرزوا فيهم ، ولكنهم لم ينجحوا (٤) . وكذلك يجب الا نعجب اذا علمنا ان اكثراً الأطباء البروتستانت الذين نعرف اسماءهم ما جاءوا الى بلاد العرب الا حباً بالتبشير لا بالتطيب . ثم انّ جلهم ، إن لم نقل كلهم ، قد اوقعوا في البلاد اضراراً تفوق الخدمات الطبية التي أسدوها اضعافاً مضاعفة . إن آسا دودج وفورست وكارنيليوس فانديك وجورج بوست وشارلس كلھون وماري أدي والدكتور طومسون (٥) كلهم كانوا اطباء في الظاهر . اما في الباطن فكان ضررهم على البلاد يزيد او ينقص بحسب الاستعداد الشخصي لكل واحد منهم وبحسب الفرض الذي ستحت لهم .

### اعزافهم بخراج المرضى

واما أنت أردت ان تعرف مبلغ اهتمام هؤلاء الاطباء بالتبشير لا بالتطيب فاعلم

(١) الكلرازة تغيير مسيحي معناه القاء التصريح على الآتين الى الكنيسة ، كرز او خرز (بالسريانية) : وعظ.

(2) Harrison 141.

(3) Les Jesuite en Syrie 12 : 12 f.

اما الان فاليسوعيين قد عادوا فأنشأوا مركزاً كبيراً للتطيب في البقاع .

(4) Bliss(R) 316 f.: Jessup 802,804

(5) cf. Jeesup 37, 108, 804.

## الفصل الثاني

### التطبيب حيلة للتبيه

حينما يتخرج الطبيب في كليته يقسم ، بعد أن يتسلم الشهادة ، بيميناً تسمى يمين أبقراط ، وتعرف في الكتب العربية باسم وصية أبقراط . وصورة هذا العهد هكذا (١) : «أني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالت الشفاء وكل علاج ، وأقسم بأسقليبيوس (٢) ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وشهادهم جميعاً على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط ... واقتصر في جميع التدابير ، بقدر طاقتى ، منفعة المرضى . وأما لأشياء التي تضر بهم وتدنى منهم بالحور عليهم فامنع منها بحسب رأىي . ولا أعطى — اذا طلب مني — دواء قاتلاً ولا أشير ايضاً بمثل هذه المشورة . وكذلك ايضاً لا أرى ان ادنى من النساء فرزجة (٣) تسقط الجنين . واحفظ نفسى في تدبيري وصناعتى على الزكاة والطهارة ... وكل المنازل التي ادخلها انما أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وانا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادى مقصود إليه في سائر الاشياء ... وأما الاشياء التي اعانيها في أوقات علاج المرضى او أسمعها ، او في غير اوقات علاجهم ، في تصرف الناس من الاشياء التي لا ينفع بها خارجاً فامسك عنها وأرى ان مثالها لا ينفع به ... » .

هذه اليمين تتكتشف عن نفس نبيلة انسانية ، ذلك لأن المريض المتألم يضحي اشياء كثيرة في ملكه حتى يتخلص من آلامه . واذا رأى أحد قريراً له او ابناً على الأصح مريضاً زاد رضاه بالتضحيه وقلت قيمة كل شيء في عينيه في سبيل شفاء ابنه او امه او ايه او زوجه

(١) طبقات الاطباء ١ : ٢٥ .

(٢) اسقليبيوس اول من تكلم في الطب من اليونانيين كما ذكر مؤرخو الطب (طبقات الاطباء ١٤ : ١٤) .

(٣) كذا بالأصل .

ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطهير فقط لا التبشير .  
فلا نسمع منه » (١) . ولقد تنبه دانيال بلس ، الرئيس الاول للجامعة الاميركية  
في بيروت ، الى كل هذا والى غيره ايضاً فأشار الى الأطباء الدجالين الذين يتعرضون  
للمداواة الناس ، فاذا جاءهم المريض انصرف من عندهم بنسخة حسنة الطبع من الانجيل  
ويوصفه خاطئة . ويعلق دانيال بلس نفسه على هذا الحديث بقوله : وبعد أيام يكتشف  
المريض ان انجيل الطيب كدوائه (٢) . وهنالك حوادث وأقوال مشابهة لهذه التي  
عددناها ، أو هي تحالفها قليلاً ، لا غيل الى تعدادها لأنها تحمل على الملل . ولكن  
لا بأس من ان تنبه عليها تنبئها (٣) .

### جرهم وكرهم للعلم

ولكن لم تكن جميع اخطاء الاطباء المبشرین في الطب جهلاً ، بل كان بعضها عناداً وتعصباً .  
ذكر الشيخ مصطفی الغلائیني في خطاب القاء في ذكری مولد الرسول في ١٢  
ربيع الأول ١٣٢٨ (٢٤ آذار ١٩١٠) شيئاً من هذا قال ( وإن لم يقصد هو به ما  
فريد به نحن ) :  
« وأقرب مثال على هذا امر جرى في بيروت ، وذلك ان الدكتور وربات الامير كاني  
الفيلسوف العالم الطيب كان ينكر عدوی الجذام ، مع أن الرسول صلی الله عليه وسلم  
قال : فرّ من المجنوم فرارك من الأسد ». ثم تبين له صحة الحديث وتحقق عدوی  
هذا المرض فصرح بأنه معد ... » (٤) .

· بقي هنالك أشياء قليلة يجب أن تقال مفصلة . يقول بعضهم : ان مكان التنصير  
انما هو في مستشفيات الارساليات التبشيرية . ثم يذكر ان المستشفيات قد استغلت  
لهذه الغاية بصرامة . وهنالك اليوم عزم للاعتماد على الأعمال الطيبة للوصول الى الآذان

(1) *Methods of Missions* 105

(2) *Re - Thinking Missions* 203

(3) Gairdner 278, 292; Richter 164, 191 f., 201 - 209 : Milligan 32 ; Islam and Missions 167; *Methods of Missions* 103; Cash 138 f.; Abdison 159, 168.

(4) مجلة النراس (بيروت) المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الخارجين (١) في المستشفيات ان نأتي بهم الى المعرفة المنقذة ، معرفة ربنا يسوع المسيح ، وان ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية ». ويرى الكاتب ان للتبيه بين هؤلاء المرضى طريقين . وهو يفضل ان يزور الطبيب المبشر المريض (للمسلم) حتى يكون هذا المريض واسطة لجمع عدد غفير من المسلمين عنده في انتظار زيارة الطبيب . وحيثند تكون الفرصة سانحة حتى يبشر هذا الطبيب بين اكبر عدد ممكن من المسلمين في القرى الكثيرة في طول مصر وعرضها .

وفي عام ١٩٢٤ أقام المبشرون مؤتمراً عاماً وعقدوا جلساته في القدس واستانبول وحلوان (مصر) وبيرمانا (لبنان) وبغداد . وقد اهتم المؤتمرون ، وخصوصاً في جلسة القدس ، بالتطهيب على انه وسيلة الى التبيه (٢) وفصلوا طرق ذلك . اما مؤتمر بيرمانا (لبنان) فلم يتعرض مفصلاً للتطهيب ولكنه اكد اهميته (٣) .

واحب ان اذكر هنا اسماء عدد من الذين حضروا جلسات بيرمانا حتى نعرف اولئك الاشخاص الذين يعيشون عيشتين : عيشة حيادية بريطانية يدعون فيها الوطنية وتأليف القلوب ثم عيشة تبشيرية . من هؤلاء القدس مفید عبدالكريم (بيروت) ، القدس خليل عواد (اللاذقية) ، القدس بشارة بارودي (سوق الغرب) ، القدس ستيوارت كروفورد (الجامعة الامريكية في بيروت) ، بيارد ضودج (الجامعة الامريكية في بيروت) ، امرأة جبر ضومط (بيروت) ، جليل ايراني (القدس) ، داود كاتبة (بيرود) . الياس مرمرة (نابلس) ، الدكتور نجيب سعد (بيروت) ، نجيب شمعون (بيرمانا) ، المستشرق مارغوليوث (لندن) (٤) .

### أهمية المستوصفات والمستشفيات

اما اذا كان للاطباء المبشرين مستوصف او مستشفى ، فان مهمتهم الثانية ، او الاولى على الاصح ، تكون أسهل . حيثند يستطيع الطبيب ان يجد في غرفة الاستشارة او في العراء فرصةً مناسبة ليثير بذور التبيه في قلوب المرضى (٥) . في هذه الحال

(١) المرضى الذين يأتون الى المستشفى للمداواة من غير ان يناموا فيه .

(2) Christian Workers 32 - 4.

(3) ibid. 121.

(4) ibid. 123. f.

(4) Richter 552.

## استغلال آلام البشر

ولقد أدرك المبشرون هذا الميل في البشر فخرجوه عن كل نبل في الطبيعة الإنسانية وسخروا الطبع في سبيل غايات ، حسيك داملاً على نوعها قولهم هم : حيث تجد بشراً تجد آلاماً ، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة الى الطبيب (١) ، وحيث تكون الحاجة الى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبيشير . وهكذا اخذ المبشرون الطبع ستاراً يقتربون تجاهه من المرضى .

وقد كان اول من غير سنة ابقراط الجميلة الامريكيون حينما بدأوا ينشئون عيادة طبية في سيواس (بركية) عام ١٨٥٩ م (٢) . وهكذا نظر الامريكيون منذ ذلك الحين الى الطبع على انه معين على التنصير . ومنذ ذلك الحين اعتبر الامريكيون الطبع «مشروعًا مسيحيًا» (٣) . وعلى هذا قال الطبيب بول هاريسون (٤) في كتابه «الطبيب في بلاد العرب» (ص ٢٧٧) :

«ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى ميقطة (عمان) بأسرها . لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى ! »  
ولا ريب في أن الطبيب يستطيع ان يصل الى جميع طبقات الناس حتى اوائل الذين لا يخالطون غيرهم . ولذلك قال المبشرون ان بامكان الطبيب المبشر ان يصل بتبيشيره الى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم (٥) . ثم انهم فرضوا ان يكون الطبيب المبشر «نسخة حية من الانجيل» . ان بامكانه ان يغير الذين حوله ويجعل منهم نصارى حقيقين او ان يترك في نفوسهم أثراً عميقاً (٦) على الأقل .

والمبشرون يصرحون بذلك . كتب س.ا.موريسون (٧) في مجلة العالم الاسلامي التبشيرية يقول :

«نحن متفقون بلا ريب على ان الغاية الاساسية من اعمال التنصير بين المرضى

(1) Milligan 133.

(2) Addison 92.

(3) Re - Thinking Missions 991.

(4) Paul W. Harrison, ND., Doctor in Arabia.

(5) cf. 253 f.

(6) Harrison 276.

(7) S A Morrison.

(8) I W, April 1920 pp 129 ff.

والحصول على منتصرين (١) . ويرى هذا القائل نفسه ان المستشفيات يجب ان تسخر للتبيه على ان يصل المبشرون الى الاشخاص المحترمين من ذوي القائدة (٢) الذين يمكن ان يؤثروا في غيرهم من أبناء ملتهم . والتبيه من طريق التطبيب كان عندهم عاملاً مهماً منذ زمن طويل ، حتى ان هناك كتاباً في هذا الموضوع منها مثلاً كتاب « ارسالات (التبيه ) الطبية » من تأليف جون لو ، وقد صدر عام ١٨٩٦ (٣) .

### العنصر النائي في التبيه

ولم ينس المبشرون مقام المرأة في الأسرة فوجها اهتمامهم الى التأثير عليها وجعلوا يبشرون في مستشفيات النساء وفي المستوى صفات . وكذلك أرسلوا الطبيبات المبشرات الى البيوت والقرى للاتصال مباشرة بالنساء واستخدام نفوذ المرأة في الوصول الى اهدافهم التي يزعمون أنها نبيلة ، ولكنها لا تنكشف دائماً الا عن سعي لبسط نفوذ سياسي استعماري .

ولقد استغل المبشرون كل شيء في سبيل التنصير ( او محاولة التنصير ) حتى المرضات . يرى المبشرون (٤) ان المرضة لا تعمل على تخفيف الألم عن المرضى فقط بل تحمل اليهم ايضاً رسالة المسيح ، ولذلك حرص المبشرون على انشاء مدارس للتمريض في ايران خاصة .

\*

يلاحظ القارئ ان فصل التبيه والتطبيب هذا قصير ، وسبب ذلك هو اننا لم نحب ان نذكر الآراء والحوادث المشابهة . فحسب القارئ اذن ان يرى هذه النماذج ثم يعلم ان ثمة أمثلة كثيرة من جنسها .

---

(1) Re - Thinkiug Missions 200.

(2) ibid 199 - 201 .

(3) John Lowe, Medical Missions, New yorw 1896.

(4) cf. MW, Oct. 1936, p 283.

## الفصل الثالث

### التعليم ميدان فسیح للتبشير

#### (١) التعليم عموماً

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ فِي النَّفُوسِ لَعُظِّمَاً .  
وَلَوْ عَظِّمُوهُ فِي الصُّانُوتِ لَعُظِّمَاً .  
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فِهَانَ ، وَدَنَسُوا مُحِيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهِمَا .

كانت العصور الوسطى في التاريخ الانساني تدعى العصور المظلمة لأنها كانت عصوراً خبأ فيها نور العلم . فلما طلع العلم بنوره على اوروبة من الشرق بدأت غياب تلك الظلمات تنجذب عن اوروبة شيئاً فشيئاً حتى ازدهرت المدينة فيها وعمتها الحضارة . فأوروبة المتحضرة بنت العلم وحده ولست بنت الدين . لقد كانت الروح الدينية في العصور الوسطى على أشدّها في اوروبة وكانت اوروبة لا حضارة لها . فلما فضلت اوروبة العلم اصبحت قبلة الحضارة في العصور الحديثة .

«كل مولود يولد على النطرة (١)» ، ولكنه يولد وفيه استعداد طبيعي يتوجه به نحو الخير او الشر ، ونحو صناعة دون اخرى . ولا ريب في اننا اذا استثنينا بعض عوامل الوراثة الطبيعية وجدنا ان الموجه الحقيقي لكل فرد انما هو البيئة الأولى التي احتضنته صغيراً . على ان عوامل البيئة تظل تعمل في الافراد والجماعات ، ولكن تأثيرها يقل كلما تقدم الانسان في السن .

ولقد ادرك المبشرون هذه الخاصة في البشر ، هذه الخاصة التي يجب ان تستغل في سبيل الانسانية وفي سبيل جلاء شخصية الفرد وبناء شخصية المجموع . ولكن المبشرين ضربوا بهذا كله عرض الحائط واستخدمو العلم والتعليم في سبيل غايات

(١) حديث شريف .

صغريرة وشغلوا أنفسهم بتبدل عقائد الأفراد الدينية باذلين جهوداً كباراً في سبيل منافسة غير نبيلة : عداوة على تجاذب الأشخاص بين اليسوعيين والبروتستانت ، ومكائد بين فرق البروتستانت أنفسهم ، ثم رباء لا حد له في تزيين الآراء وتسويد صفحات التاريخ . ونحن هنا دايرون بذلك حول نقطتين : حول استغلال المبشرين للعلم بطرق لا تنكشف الا عن ضيق في الأفق ، الا ان هذا قليل الأهمية لأن الإنسان لا يلبث ان يرى هذا الأفق الضيق فيجازي به اصحابه . وأما النقطة الثانية فهي حرص المبشرين على افساد النبل الانساني وجعل العلم ، العلم الذي هو نعمة في سبيل تحرر الانسانية ورقيها ، وسيلة الى استبعاد الأفراد والأمم ثم سوّقهم بسيف الاستعمار الى الاستكانة امام سلطان السياسة المادي . لقد سخر المبشرون باسم الله في سبيل ترويج بضائع أممهم ونشر النساد الاجتماعي في العالم ، ولا ريب في ان بعضهم قام بما قام به غير عارف بما سيترتب على عمله من العواقب . ولكن العاقبة على كل حال لم تكن حميقة .

### ليس للتعليم هدفهم غاية سوى التبشير

قال نفر من المبشرين :

« ان اهداف المدارس والكلليات التي تشرف عليها الارساليات في جميع البلاد كانت دائماً متشابهة . ان المدارس والكلليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى واسطة لتمرير قسس للكنيسة ... حتى أن الموضوعات العلمانية التي تعلم ، من كتب غربية وعلى يد مدرسين غربيين ، تحمل معها الآراء النصرانية (١) . وعلى هذا (الأساس) كتب المبشر هنري هريس جسب الى المحترم وـ ستوارت دودج في الخامس من كانون الأول عام ١٨٧٠ : « لننتبه الى الله في سبيل تعميد نقوس أولئك الشبان الذين يترددون على الكلليات » (٢) . ويرى هنري جسب نفسه : « ان التعليم في (مدارس) الارساليات المسيحية إنما هو واسطة الى غاية فقط . هذه الغاية هي قيادة الناس الى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا افراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية . ولكن حينما يختلط التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخبير الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي ... فاننا لا نتردد حينئذ في أن نقول ان رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي الى مدى علماني محض ،

(1) Re - Thinwing Missions 118.

(2) Jessup 378.

الى مدى علمي ديني . مثل هذا العمل يمكن ان تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج وهارفرد وشيفيلد ، لا الجماعيات التبشيرية التي تسعى الى اهداف روحية فحسب » (١) . وكان جسب قد قال قبل ذلك : ان المدارس شرط اساسي لنجاح التبشير ، وهي بعد هذا واسطة لا غاية في نفسها . لقد كانت المدارس تسمى بالإضافة الى التبشير « دق الاسفين » وكانت على الحقيقة كذلك في ادخال الانجليز الى مناطق كثيرة ، لم يكن بالامكان ان يصل اليها الانجليز او المبشرون من طريق آخر » (٢) . ويرى بعضهم ان المدارس قوة بحل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي اكثر من كل قوة اخرى (٣) . ثم ان هذا التأثير يستمر حتى يشمل اولئك الذين سيفصلون يوماً ما قادة في اوطانهم (٤) . ورأى المبشرين في ذلك لم يتغير قط ، حتى المستر بروز الذي جاء في عام ١٩٤٨ ليتسلم زمام الرئاسة في جامعة بيروت الامريكية كان أيضاً خاصماً بهذه الفكرة ، انه يقول (٥) : لقد أدى البرهان الى ان التعليم أمن وسيلة استغلال المبشرون الامريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان ... ومن أجل ذلك تقرر ان يختار رئيس الكلية البروتستانتية الانجليزية (الجامعة الامريكية اليوم) من مبشرى الارسالية السورية » .

وفي الوقت الذي كان الدكتور بروز يعد مواد كتابه التبشيري ، انعقد في القدس (في نيسان ١٩٣٥) مؤتمر تحت اشراف فرع فلسطين من جنة التعليم للمجلس التبشيري المتحد . ولم يضع المؤتمر تقريراً على عادة المؤتمرات الاخرى ، بل عهد الى احد اعضائه هـ. دانبي ليضع كتاباً توجيهياً يتضمن ما وصل اليه المؤتمرون من الملاحظات والآراء (٦) . يقول دانبي في كتابه (ص ١) : كان التعليم ... وسيلة قيمة الى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية (في نفوس الطلاب) » .

والمؤلف يفرق بين المدارس المسيحية والمدارس التبشيرية . ان المدارس التبشيرية تحاول أن تنقل الطلاب من مذاهب مختلفة الى مذهبها هي . أما المدارس « المسيحية » فانها تحاول ان تهدي للطالب ، من اي مذهب كان ، جواً مسيحياً وتحمله فيه على ممارسة

(١) Jessup 592, 567.

(٢) Jessup 562p 592.

(٣) Anna A. Milligan, Milligan 108.

(٤) Milligan 124 - 5.

(٥) Penrose 7, 10.

(٦) جميع ارقام الصفحات المحسوبة بين الاقالمة في من المقامط الفالية تعود الى :

H. Danby, Why « Christian » Schools ? or what can « Christian » Schools contribute ? with particular reference to Palestine.Jerusalem 1936.

النقوي المسيحية وسلوك المسيحي (٨٨ وما بعدها ، ٩٩) ، وخصوصاً ما دام طفلاً . وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة (ص ٣٠) .

وقبل داني وبروز ذكر المبشر المشهور جون موط نفسه كلاماً أكثر وضوحاً ، وفي ما يتعلّق بالتعليم بين الصغار خاصة ، قال (١) :

« يجب ان نؤكد في جميع ميادين (التبيير) جانب العمل بين الصغار وللصغار . وبينما يبذلو مثل هذا العمل وكأنه غيرية ، ترانا مقتعنين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية . ان الأثر المفسد في الاسلام يبدأ باكراً جداً . من أجل ذلك يجب ان يحمل الأطفال الصغار الى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية . ان اختبار الارساليات في الجزائر ، فيما يتعلق بهذا الأمر ، وكما ظهر من بحوث مؤتمر شمالي افريقيا ، اختبار جديد ومقنع ... وهكذا نجد ان وجود التعليم في يد المسيحيين لا يزال وسيلة من احسن الوسائل للوصول الى المسلمين » .

### كيف فتحت هذه المدارس آفاقها

والمؤلف لا يطلب من المعلم ان يكون مسيحياً فحسب ، بل يجب أن يكون مسيحياً من كل قلبه وأن يطبق الحياة المسيحية على المباديء الاجتماعية والسياسية والدولية (ص ٣٠ - ٣١) . ولهذا كان المعلم الاجنبي أفضل من المعلم الوطني ، وخصوصاً اذا كان المعلم الوطني مسلماً . يقول المؤلف داني :

« ثم يتسع الشك على كل حال حينما نأتي الى استخدام معلم غير مسيحي لعلم موضوعات لا نجد لنتعليمها معلماً مسيحياً . أجل ، ان البراعة في التعليم لا صلة لها بدين المعلم . وما لا ريب فيه ان معلماً مسلماً ذا خبرة بهته وذا كفاية يمكن أن يكون له من الجاذب الشخصي وقوة الخلق والشعور بالواجب ما يجعل منه معلماً يبعث الحياة في طلابه او مربياً صالحاً . ثم هو يمكن ان يؤثّر في طلابه اكثر من المعلم المسيحي المجرد من الصفات التي يتتصف بها ذلك المعلم المسلم . ولكن اذا كانت الغاية من التعليم في المدارس المسيحية (كما يجب أن تكون) انما هي تزويد الطلاب باستشراف مسيحي للحياة ، وتمرين لهم على ممارسة المباديء المسيحية وتقريبهم من اختبار شخصي

للإيمان المسيحي ، فكيف يمكن للمسلم الأمين أن يعاوننا على بلوغ هذه الغاية ؟ ثم إذا كان هو يعتقد بهذه الغاية ( لأنه ضعيف الشخصية خنوع ) ولكنه لا يخاطر خطورة يصبح بها مسيحياً ، أفالا يكون له حياله تأثير سلبي فيستتبون من سلوكه أن الدين ليس موضوعاً ذا أهمية حاسمة ؟ ( ص ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ) .

فلالمدارس المسيحية اذن رسالة تؤديها . ولرسالتها هذه غاية قصوى ، هي أن تجعل الشعوب كلها في المستقبل تابعة للكنيسة ( ص ١٠١ ، راجع ص ١٤ وما بعدها إلى ١٨ ) .

من أجل ذلك كله ترفض هذه المدارس – وفي فلسطين خاصة – أن تقيد بالمنهج الرسمي للبلاد (١) : إن " تقيد هذه المدارس بالمناهج الرسمية يفقدها صفتها التبشيرية المسيحية و يجعلها مدرسة في عداد المدارس الوطنية فتبطل الغاية من وجودها ( راجع ص ٦ - ١٠ ) .

وهكذا نرى ان عقلية الاجانب ، الذين يأتون إلى بلادنا باسم العلم ونشر العلم ، لم تتغير قط في القرن الذي انقضى على بده مجิئهم إلى هذه البلاد ، منذ أيام دانيال بلس إلى أيام ستيفن بروز : كلهم مبشرون في الدرجة الأولى ، وناشرون للعلم بالعرض فقط . وما يقال عن الجامعة الاميركية يقال عن الجامعة اليسوعية وعن كل ارسالية أجنبية . وبما ان التبشير رأساً لم يجعل أحداً من المسلمين يصباً إلى النصرانية ، فقد اتفق المبشرون على ان يقتربوا من المسلمين بطريقة غير مباشرة . والكل متتفقون على ان التعليم أفضل هذه الطرق غير المباشرة (٢) . من أجل ذلك يجب الا نستغرب إذا كانت أكثر مدارس البنين والبنات – والمدارس الاميركية خاصة – لا تزال مرتبطة بالرساليات (٣) . ومع أن الرسائلات التبشيرية تحاول التفوذ إلى الطوائف المسيحية المتعددة في الشرق ، كأن يكتسب البروتستانت مثلاً نفراً من الآرثوذكس ، فإن المقصود الاول بالتبشير من طريق التعليم هم المسلمون ، وخصوصاً بعد أن تبدلت الأحوال والعقليات بعد الحرب العالمية الأولى . وهكذا كان « تاريخ الاعمال التبشيرية في البلاد الإسلامية ، إلى حد كبير ، تاريخاً للتعليم الاجنبي » (٤) .

(١) ان مدارس الرسائلات في لبنان تحاول كلها الا تقيد بالمنهج الرسمي في التعليم ونطالب بحمل التعليم حرراً .

(٢) MW, July, 36, pp 224 ff.

(٣) MW, Oct. 1931. p 389.

(٤) cf Milligan 20; Christian Workers 21. III ; Gairdner 277 f.

لهذه الأسباب يعمل المبشرون على استغلال الجهل بين الشعوب والامم لينفذوا الى غايائهم . كتب بنيامين ماراي مقالاً في مجلة العالم الاسلامي موضوعه : «شمالي نيجيرية ميدان للتبرير» (١)، استعرض فيه حالة تلك البلاد وما هي عليه من التأثر العلمي على الأنصار ، إذ ان الذي يحسنون القراءة والكتابة ، او شيئاً من الكتابة فقط ، لا يتجاوز اثنين ونصف بالمائة ، ثم قال (ص ١٨١) : «وهذا يتبع فرصة عظيمة للتعليم التبشيري المسيحي ».

### وسائل التبشير في اثناء التعليم

لما بدأ المبشرون عام ١٨٣٤ يفتحون المدارس في بلادنا كان معظمهم يقصر التعليم على التوراة والانجيل فقط لا يريد أن يبعدهما ، اذ ان غاية المبشرين الحقيقة كانت إعداد شبان للتعليم في مدارسهم او للعمل في مكاتبهم (٢) توسيعاً لحركة التبشير . على ان بعضهم كان يود ان يعلم الطلاب شيئاً آخر سوى التوراة والانجيل (٣) . ولكن المبشرين كلهم اجمعوا على ان التعليم الديني شيء أساسي في سبيل غایتهم ، واقترحوا فوق ذلك ان يوحد المبشرون مشروعهم المسيحي في التعليم (٤) .

في ذلك الحين كان العلم قليل الانتشار في بلادنا . يقول هنري جسب : اتنا اذا استثنينا القرآن وكتب الدين (الكتفسير والحديث والفقه) بين المسلمين ، ثم كتب اللاهوت (الفقه المسيحي) بين النصارى ، لم يكن ثمت في البلاد العربية كتب (٥) . على ان في هذا مبالغة . لقد كان ثمت كتب لغة وكتب أدب ودواوين شعر كثيرة . ولكن هذه الكتب كلها كانت على كل حال قليلة الانتشار بين عامة الشعب . ويشهد جسب انه كان في ذلك العصر كثيرون من المسلمين يقرأون (ويكتبون ايضاً) ، أما بين النصارى فكان الذين يستطيعون القراءة والكتابة نفراً قليلاً . من أجل ذلك كله فكر المبشرون كلهم بأن يتخدوا من التعليم وسيلة وستاراً الى التبشير . ولقد رتبوا ذلك على المنهج التالي :

- 
- (1) Northern Nigeria as a Mission Field, by Benjamin J. Marais, « The Moslem World », April 1935 pp. 173 ff.  
(2) Richter 161 .  
(3) cf. Re-Thinking Missions 162: Richter 191.  
(4) Re-Thinking Missions 164, 263; Bliss (R) 334: Jessup 193 ff. etc.  
(5) Jessup 27.

## «إله المبشر أتروول هو المدرسة»!

١- يجب أن يكون ثمة مدارس حتى يستطيع المبشر أن يتصل بالناس ويدعوهم إلى مذهبه الديني . ولذلك قال اليسوعيون : إن المبشر الأول هو المدرسة (١) .

٢- لما أراد المبشرون ان يجعلوا التعليم قاصراً على التبشير فقط ، من غير ان يطلعوا على سر ذلك أحداً ، اشترطوا أن يكون المعلم في هذه المدارس أجنياً غير وطني . أما اذا دعت الحاجة الى معلم وطني فليكن مسيحيًا في الدرجة الاولى (٢) ، ولكن يجب أن يكون متمنياً على التبشير (٣) . ونحن اذا راجعنا أسماء الأساتذة الذين يعملون في مؤسسة كالجامعة الأمريكية مثلاً رأينا ان جميع الذين تعهدوا هذه المؤسسة من قبل ، او عملوا فيها ، كانوا مبشرين . ولا يزال الى اليوم فيها نفر مبشرون في الدرجة الاولى . وبالامس القريب في عام ١٩٤٥ او ١٩٤٦ وجه استاذ ، من الأساتذة الذين لا يمكن ان تظن انهم مبشرون ، كل عناته الى طالب وأدخله في المسيحية . ثم ان الجامعة أرسلت هذا الطالب الى أحد الأدباء في بلجيكا . وان احدنا ليعجب أن تكون الجامعة الأمريكية إلى اليوم ايضاً مسرحاً للتبشير . (٤) .

ولا تزال جميع المدارس الاجنبية تسرى على سياسة الاستغناء عن المعلم المسلم ما امكن ، حتى الكلية العلمانية . أما مدارس اليسوعية والفرير فلا يمكن أن يعلم فيها مسلم ابداً ، وأما الكلية العلمانية في بيروت ففيها مدرس واحد مسلم ، على ما نذكر . وأما الجامعة الأمريكية في بيروت فكانت قد مالت منذ عام ١٩٢٥ إلى أن يكون فيها عدد من المدرسين المسلمين اختارتهم من أبناء الاسر المعروفة في بيروت والقدس ونابلس وحلب وحماء ودمشق ، وكانت ترسلهم قبيل بدء كل عام مدرسي الى المدن الداخلية ليشجعوا أبناءها على الدخول في الجامعة ، ثم انها اضربت عن ذلك ايضاً .

ولا حاجة بنا الى القول بأن هؤلاء المدرسين لم يكونوا يعاملون ، من حيث الراتب والرتبة ، كالمدرسين الامريكيين ولا كالمدرسين الوطنيين من غير المسلمين ايضاً ، مع العلم بأن حال بعض المدرسين الوطنيين من غير المسلمين لم تكن حالاً تدعوا الى الغبطة . ولقد لقي بعض هؤلاء المدرسين المسلمين من الجامعة الأمريكية عنتاً شديداً .

(١) cf. *Les Jesuites en Syrie* 10 : 97.

(٢) Jessup 304, 518, 519.

(٣) Jessup 593; Bilss (R) 334.

(٤) وقد عاد هذا الطالب في ابريل ١٩٤٩ بعد ان درس هناك ما قيل له ان يدرسه .

اضف الى ذلك كله ان هذا تشويه للحقائق وكذب على التاريخ ، وان الأمم التي ت يريد ان تحيا حياة نبيلة عظيمة صحيحة يجب أن تكون ارفع من تنحدر الى ذلك . وقد تكون المصيبة هيئه لو ان صاحب هذا القول رجل من عرض الناس ، ولكنه رجل كاهن قانوني مثقف يمثل أحسن طبقات قومه . ثم ان البابا نفسه قد استحسن كتابه : قد استحسن اتجاهه واستحسن تفاصيل ما فيه من حوادث وأحكام واستحسن اسلوبه .

### واجب الحكومات الوطنية

وبعد ، فان من أول واجبات الحكومات الوطنية ان تزيل اسباب التناحر والشقاق بازالة هذا النوع من الكتب من بين ايدي طلاب اليوم ورجال الغد كي توجد في كل قطر وفي كل زمن وطننا موحداً سليماً من الأحقاد والمخاطر ؟

وهذا كتاب آخر يدرس مثلاً في الصف الرابع من المدرسة الابتدائية في بيروت ، ويدرس بلا ريب في مدارس اخرى كثيرة في لبنان ، وفي غير لبنان ( وهو مطبوع في لبنان ) والاسم الكامل لهذا الكتاب هو هذا :

تاريخ محاضرات ج . ايزاك . حررها أ . ألبا

للشرق الأدنى ، اطلبة الصف الخامس ( العصور الوسطى )

طبعته مطابع الآداب الفرنسية في بيروت (١)

جاء في هذا الكتاب :

ص ٣١ - واتفق محمد في أثناء رحلاته ان يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى . ولما أشرف على الأربعين أخذت تراءى له رؤى اقنعته بأن الله اختاره رسولاً .

ص ٣٢ - والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها . بينما كان هو يتكلم ، وقد أمر محمد أتباعه ان يحملوا العالم كله على الاسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة .

ص ٣٦ - وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون به يدونون كلماته على عجل .

ص ١٢٦ - ودخلت فلسطين في سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد .

(1) Histoire, cours J. Isaac, rédigée par A. Alba pour le Proche - Orient. Classe de 5ème. Moyen Age ( Les Lettres Françaises, Beyrouth ).

وهنالك أيضاً كتاب آخر يستحق اهتمامنا . اسمه تاريخ فرنسي (١) ، تأليف هـ غيمان وف. لو سير (لصفوف الشهادة الابتدائية) .  
هذا الكتاب يدرس في مدرسة القديس يوسف للبنات في بيروت وفي مدارس هذه الارسالية في غير بيروت بلا ريب (٢) وقد جاء فيه مما نحن بصدده :  
ص ٨١ - ٨٠ : ان محمدآ ، مؤسس دين المسلمين ، قد أمر اتباعه ان يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدینه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنين وبين النصارى . إن هؤلاء العرب قد فرضوا دینهم بالقوة وقالوا للناس : « أسلموا أو تموتوا » ، بينما اتبع المسيح رجعوا النفوس ببرهم واحسانهم .  
ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ اذن لكننا نحناليوم مسلمين كالجزائريين والراشبيين .

\*

بمثل هذا الحقد يكتب المبشرون الكتب . ويضعونها في المدارس لابنائنا ثم يزعمون انهم جاءوا للتعليم والتهدیب . لقد صدق العرب : ان فاقد الشيء لا يعطيه . ألم يمثل هذا يسعى سعاة الأمم بأن يقرروا السلام في العالم والاطمئنان بين الشعوب والأمم ؟ ان الاطمئنان والسلام لن يسودا ما دام هؤلاء المبشرون يزرون عن ارض العالم احقاداً وبغضنا .  
٤ - ويلحق بكتب التدريس التي عني بها المبشرون والتي تتضمن تهجيماً على العرب والإسلام كتب الخلافات ، وهي كتب تتضمن ردوداً على الإسلام واعتراضات على عقائده وتاريخه (٣) . هذه الكتب لا تختلف كثيراً عن النموذج الذي رأيناها قبل بضعة أسطر ، ولكن يقصد بها طبقات القراء من الناس لا الذين لا يزاولون على مقاعد الدراسة فقط .

٥ - ومن سياسة المبشرين اقامة الاجتماعات التي تلقى فيها الخطب وتقام فيها المنازرات والمجادلات (٤) .

(1) Histoire de France, du Cours moyen au certificat d'études, par H. Guillemais et F. Le Ster, Paris (Les éditions des écoles), 11, rue de Sèvres.

(2) قد تكون ادارة مدرسة القديس يوسف قد بذلت الآن هذا الكتاب يكتاب آخر احسن منه انجاعاً او اسوأ . ولكن حينما كنا نضع كتابينا هذا ؛ كان الكتاب المذكور يدرس هنالك .

(3) cf. Gairdner 285, 288.

(4) Gairdner 285, 288; cf. Re - Thinking Missions 163 - 264; cf. Methods of Mission 65 f.

٦ - ومن سياستهم أيضاً بناء كنيسة الى جانب كل مدرسة (١) . ولا ضرر مخصوص من ذلك .

٧ - ويرى المبشرون أن يتظاهروا بدرس مشاكل الشباب المختلفة وبذلك ينفلون الى نفوس الشباب من أهون الطرق لاجتذابهم الى أديانهم ومذاهبهم . واذا لم يستطع المبشرون ذلك فما عليهم الا ان يوجهوا الشباب توجيهاً مسيحياً (٢) : فالمبشرون اذا ، اذا عملوا في التعليم ، فانهم لا يقصدون بذلك وجه العلم . انهم يحاولون ان يستغلوا العلم في سبيل شيء آخر .

### شاطئ المبشر من طربون التعليم

لقد أساء المبشرون الى اشرف مباديء الانسانية ، الى العلم ، لما اخذوا منه وسيلة الى التبشير . ان الاب الذي يؤمن على ابنه مدرسة ما من المدارس يقدم اثمن ما لديه وهو يعتقد انه وضع ابنه - وهو لا يزال ساذجاً بريئاً - بين يدي انبيل الناس ، بين يدي المعلمين . ولكن المعلم المبشر مخلوق قد نفرت من قلبه أجمل معاني الانسانية ، فقد نفرت من قلبه الأمانة والاستقامة والصدق . نحن نفهم ان يتعرض المبشر لرجل ناضج ويحاول ان يستميله بضرور الاستسلامات ، كما يتعرض الشيوعي او الجمهوري او الملكي او الاشتراكي الى الناس ليقنعوا بصواب مذهبة . اما ان يتخذ رجل اشرف ثوب أسبغه الله على الانسانية ليخادع به الاطفال ومن فوقهم قليلاً ، فهذا عندنا وعند الناس كلهم متنه الكفران للأمانة التي علقت في رقب البشر . ألم يقل شاعرنا شوقي :

قم للمعلم وقه التجيلا ، كاد المعلم ان يكون رسولا !  
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ انساناً وعقلها ؟

هذا الذي ظنه شوقي ، وظنه الناس كلهم ، أشرف الناس قد جاء الى بلادنا يلبس ثوب التقى ويتظاهر بعنوان الانسانية بينما تنطوي نفسه على اعظم قسط من الرياء يستغلها في أشرف مكان على هذه الأرض ، في المدرسة . واذا نحن علمنا ان الاسلام قد قال على لسان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « علم ساعة خير من عبادة سبعين سنة » ، ادركنا مقدار ما في نفوس المبشرين ، الذين يتخذون العلم وسيلة الى غاية ضيقه ومستوره ،

(1) Jessup 591 ,

(2) Re - Thinking Missions 163 f., 264.

من النفاق والرياء والخناقة على الانسان والروح الانسانية .

على ان المبشرين استغلوا العلم النبيل ستاراً لغaiات هي بدورها ستار لغaiات اخرى ، لقد ظاهروا بالعلم وظاهروا بالاحسان الى الناس وظاهروا بالدين ، ولكنهم في الحقيقة يريدون - هم ومن استخدمهم - ان يصلوا من طريق هذا النشاط البريء في ظاهره الى استبعاد الشرق واستغلاله سياسياً واقتصادياً .

في عام ١٢٩٤ للميلاد ظفر رامون لل (١) بمقابلة من البابا سلسرين الخامس وقدم له كتابين فيهما خطة للتبيشير بين المسلمين في الاكثر . وكانت خطة رامون لل ذات شقين ، اوهما ان تتخذ الكنيسة العلم والمدارس وسيلة للتبيشير ، وثانيةما ان ينصر المسلمين بالقوة اذا لم تنجح فيهم الجهد السلمية (٢) .

ومع ان البابا سلسرين هذا لم يصفع تمام الاصناف الى رامون لل (٣) . فان التبيشير مشروع بابوي متميز حتى من النصرانية نفسها (٤) . ان غريغوريوس السادس عشر الذي أصبح بابا عام ١٨٣١ قد شجع اليسوعيين على المجيء الى سوريا وامرهم بالعمل فيها (٥) . وكذلك أعطى البابا ليون الثالث عشر اليسوعيين في سوريا عام ١٨٨١ حق منح الشهادات بأنواعها . وهكذا أصبحت جامعة القديس يوسف جامعة باباوية (٦) . اما بيوس الحادي عشر الذي جاء الى عرش رومية عام ١٩٢٢ فقد كان يسمى ببابا التبيشير (٧) . وهكذا نرى ان التبيشير من طريق التعليم مشروع باباوي في أساسه وتطوره . وللتعليم عند المبشرين غاية واحدة ، هي تنصير التلاميذ الذين يحضرون الى المدارس . في الكلية الانكليزية في القدس طلاب مسلمون ونصارى ويهود . وكانت سياسة المدرسة ان تبشر فيهم كلهم (٨) . الا ان المقصود بالتبيشير هو المجموع الاسلامي . ذلك لأن تاريخ الاعمال التبشيرية في بلاد الاسلام كان الى حد كبير تاريخاً للتعليم التبشيري (٩) . ولقد استغل المبشرون التعليم لأن للتعليم اثراً فعالاً ، بل هو اقوى وسائل التبشير . وعلى هذا الاساس بدأ المبشرون بإنشاء مدارسهم . حتى انهم انشأوا اول مدرسة

(1) Ramon Lull.

(2) Addison 45.

(3) Addison 46,

(4) cf. Jung 10.

(5) Les Jesuites en Syrie 1: 8, 9.

(6) ibid. 1:10, 11.

(7) Page de Mission, cf. Les Jesuites en Syrie 1 : 7.

(8) Cash 149.

(9) Christian Workers 20

للبنات في الامبراطورية العثمانية عام ١٨٣٠ في بيروت (١). والمبشرون يرون ايضاً ان الوسيلة التي تأتي بتحسين الشمار في تنصير المسلمين انما هي تعليم اولادهم الصغار (٢). من أجل ذلك لم يستغرب ان يدعوا المبشرون الى انشاء مدارس كثيرة في البلاد الاسلامية ، فانهم بهذه الطريقة يخرجون التلاميذ المسلمين من عناية المدارس المسلمة . ففي مصر مثلاً ترى المبشرين يكترون من مدارسهم ليتنزعوا المسلمين والاقباط على السواء من مدارس الحكومة فيخرجون التلاميذ من نطاق التعليم الاسلامي الى مدى التعليم المسيحي (٣) . وهكذا رأينا البروتستانت خاصة ينشرون مدارسهم في جميع أنحاء الشرق الادنى (٤) . ويفتخرون جسب بأن مجموع عدد التلاميذ في المدارس — الامريكية البروتستانتية كان في عام ١٨٩١ يبلغ ٧١١٧ ، فاذا اضيف اليهم عدد الطلاب فيسائر المدارس البروتستانتية كان ثمت خمسة عشر الف طفل في قبضة التعليم الانجليز (٥) . وبعد ثمانى عشرة سنة ، أي عام ١٩٠٩ ، كان للامريكان وحدهم مائة واربع وسبعون مدرسة في سوريا وحدها متوزرة في المدن والقرى (٦) . والمبشرون يحرصون على أن تكون المدارس هذه أجنبية لأنها هي التي تجعل المسلمين اقرب الى التوراة (٧) .

ولكي يكون التبشير كاملاً يرى المبشرون ان يتولوا هم التعليم في جميع انواعه ودرجاته (٨) . فرياض الأطفال مثلاً مهمة جداً لان التعليم الديني في هذه المدارس يجعلها باباً مفتوحاً للتبرير والتاثير في عقول الاطفال الغضة . ثم ان الذين يشرفون على رياض الأطفال يكتونون اكثر اتصالاً بأهل الطلاب من الذين يشرفون على المدارس العالية (٩) . وكذلك التعليم الابتدائي وسيلة ثمينة للتبرير لأنه يمكن المبشرين من ان يثبتوا اقدامهم في القرى (١٠) تحت ستار التعليم الابتدائي الذي تحتاج اليه القرى في النزارة الاولى . وللمدارس الابتدائية فضل على الكليات لأنها تمكن المبشر من ان يصل الى العقول وهي لا تزال تتأثر بما يلقى اليها . ثم ان المدارس الابتدائية كرياض

(1) Bliss (R) 327.

(2) Christian Workers 5.

(3) Methods of Mission 64.

(4) Richter 221.

(5) Jessup 593.

(6) Jessup 805 - 808.

(7) Islam and Missions 385.

(8) Christian Workers 22, 23, 58 f.

(9) Re - Thinking Missions 274 f.

(10) Addison 123.

الأطفال تساعده على أن يتصل المبشرون بأهل الطلاب (١). وأكثر ما وصل إليه المبشرون البروتستانت إنما كان عن طريق المدارس الابتدائية (٢).

اما اليسوعيون خاصة فيجعلون الصنوف الدنيا في عهدة الراهبات ، لأن الطلاب « الصغار » (٣) هم فسائل (شتل) تغرس فيما بعد في الكليات ، فيجب ان تكون هذه الفسائل مطبوعة طبعاً خاصاً (٤).

### التبشير وفارة البلاد في المستقبل

والتعليم العالي عند المبشرين لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم ، ذلك لأنه يساعدهم على الوصول إلى الطبقات المثقفة ، بل لعله اهم منها كلها . ولقد أدرك المبشرون منذ زمن ان التبشير قد خاب لأن الأفراد الذين لفتهم المبشرون عن الاسلام الى النصرانية كانوا قليلين ، ولم يكن لهم الآخر المتضرر . فلما اعتقادوا ان لا قدرة لهم على جعل المسلم نصراً احبوا ان يجعلوا الآراء المسيحية تتسلل الى المسلمين والى المثقفين منهم خاصة . ثم لئنهم اعتقادوا ان هذه الآراء تتسلل بعدها من تلقاء نفسها الى المجتمع الاسلامي . هذه هي الفكرة التي اقتنت المبشرين بضرورة انشاء المعاهد العالية في البلاد الاسلامية (٥).

وكذلك كان للمبشرين غاية اخرى من التعليم العالي ، هي ان يؤثروا في قادة الرأي في البلاد ، وفي الجيل الناشيء في الشرق الاذني خاصة ، ذلك التأثير الذي لا يمكن ان يتحقق اذا لم يكن ثمة تعلم عال (٦). وعا هذا الأساس اوجد المبشرون البروتستانت كلية في بيروت عام ١٨٦٢ وجعلوها على رأسها المحترم دانيال بلس (٧) . هذه الكلية أصبحت فيما بعد : الكلية السورية الانجليزية ، ثم هي اليوم الجامعة الاميركية في بيروت .

ومن رأي المبشرين ان تؤسس الكليات في المراكز الاسلامية ، ولذلك لم يكتفوا بيروت بل ارادوا أن يكون ثمة كلية في القاهرة نفسها الى جانب الجامع الا زهر (٨).

(1) Re - Thinking Missions 118.

(2) Bliss (R) 517.

(٣) في الاصل Minimes اي الصغار .

(4) Les Jesuites en Syrie 5 : 14 .

(5) Re-Thinking 164.

(6) Milligan 124-5.

(7) Rev. Danial Bliss. cf Jossup 241

(8) Milligan 123 f.

وهيـذا اصـبح للمـبشرـين الـأمـريـكيـين الـكـلـيـة الـأمـريـكيـة فـي الـقـاهـرـة ، بـعـد كـلـيـة روـبرـت فـي استـانـبـول ايـضاً . وـلم يـكـن رـأـي المـبشرـين الفـرنـسيـين مـخـالـفاً لـذـلـك فـأـشـأـوا كـلـيـة هـم فـي مدـيـنة لاـهـور (١) ، وـهـي مدـيـنة مـن المـدن الـاسـلامـيـة الـكـبـرى فـي الهند ( وـعـاصـمة مقـاطـعة التـجـاب فـي باـكـسـتـان الـيـوـم ) .

### نشـاطـ المـبشرـين فـي اـتـسـاء الـدـارـس

لـما نـزـلـ المـبشرـون الـأمـريـكيـون مـن الـبـروـتـسـ坦ـت فـي سورـيـة حـوـالي ١٨٢٠ كـانـتـ الفـكـرة الـتـي تـراـوـدـهـم مـنـذـ ذـلـكـ الحـين أـنـ يـبـشـرـوا مـن طـرـيقـ التـعـلـيم ، وـاـنـذـكـ لـاـ نـسـتـغـرـبـ اـذـ رـأـيـاـهـمـ يـتـشـرـشـرونـ فـي كـفـرـشـيـما ( قـرـبـ بـيـرـوـت ) وـفـي بـحـمـلـونـ بـجـبـلـ لـبـنـانـ ثـمـ فـي طـرـابـلسـ وـحـمـصـ وـغـيـرـهـا . الاـ انـ بـوـرـةـ نـشـاطـهـمـ التـعـلـيمـيـ التـبـشـيرـيـ كـانـتـ فـي بلـدـةـ عـيـهـ الدـرـزـيـةـ فـي جـبـلـ لـبـنـانـ ، حـيـثـ اـنـشـأـوا مـدـرـسـةـ لـتـخـرـيـجـ الـعـلـمـيـنـ وـالـوـاعـظـيـنـ ( المـبشرـينـ ) عـامـ ١٨٤٣ وـجـعـلـوـهـاـ بـرـئـاسـةـ الـدـكـتـورـ كـارـنـيلـيوـسـ فـانـ دـيكـ (٢) . وـفـي كـانـونـ الثـانـيـ مـنـ عـامـ ١٨٥٩ اـسـسـ الـبـروـتـسـ坦ـتـ الـأمـريـكيـونـ فـي عـيـهـ اـيـضاًـ مـدـرـسـةـ لـلـبـنـاتـ (٣) . وـمـثـلـ الـبـروـتـسـ坦ـتـ فـعـلـ الـيـسـوعـيـونـ : لـقـدـ اـنـشـأـ الـيـسـوعـيـونـ مـدـرـسـهـمـ الـأـوـلـىـ فـي غـيـرـ ( فـي كـسـرـوـانـ - جـبـلـ لـبـنـانـ ) ، وـلـكـنـهـمـ فـيـدـاـ بـعـدـ نـقـلـوـهـمـ إـلـىـ بـيـرـوـتـ (٤) كـمـاـ فـعـلـ الـأمـريـكيـونـ مـنـ قـبـلـ . وـسـرـىـ تـفـضـيلـ ذـلـكـ كـلـهـ (٥) .

وـمـعـ كـثـرـةـ الـمـنـافـسـةـ بـيـنـ فـرـقـ المـبـشـرـينـ الـمـخـلـفـةـ فـيـ التـعـلـيمـ وـفـيـ غـيـرـ التـعـلـيمـ فـانـ هـذـهـ الـفـرـقـ اـنـفـقـتـ كـلـهـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ . فـفـيـ عـامـ ١٩١٢ـ كـانـ فـيـ سورـيـةـ كـلـهـ ثـمـانـ وـثـلـاثـونـ مـؤـسـسـةـ تـبـشـيرـيـةـ مـاـ بـيـنـ انـكـلـيـزـيـةـ وـاسـكـوـتـلـانـدـيـةـ وـايـرـلـانـدـيـةـ وـالـمـانـيـةـ وـسـوـيـدـيـةـ وـدـنـمـارـكـيـةـ وـاـمـرـيـكـيـةـ طـبـعـاًـ ، لـهـاـ مـدـارـسـ كـثـيـرـةـ . وـقـدـ كـانـتـ هـذـهـ الـمـؤـسـسـاتـ ، مـعـ تـضـارـبـ سـيـاسـاتـهـاـ وـمـعـ كـلـ ماـ بـيـنـهـاـ مـنـ التـنـافـسـ ، مـتـفـقـةـ عـلـىـ وـضـعـ التـورـةـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ بـيـنـ اـيـديـ الـطـلـابـ عـلـىـ اـنـهـ كـتـابـ تـدـرـيـسـ اـسـاسـيـ (٦) . وـلـقـدـ اـنـفـقـتـ الـمـؤـمـرـاتـ الـمـحلـيـةـ الـتـيـ عـقـدـتـ عـامـ ١٩٢٤ـ فـيـ الـقـدـسـ وـبـرـمانـاـ ( لـبـنـانـ ) وـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ ( الـجـزـائـرـ ) وـحلـوانـ ( مـصـرـ ) وـفـيـ بـغـدـادـ

(1) Gairdner 245.

(2) Cornelius Van Dyck, cf. Bliss 105 ff.

(3) ibid 123.

(4) Les Jesuites en Syrie 5 : 8.

(5) راجـعـ النـصـلـ التـالـيـ .

(6) Bliss (R) 328. cf. 329..

على التعاون بين المبشرين كلهم للوصول الى أهدافهم في العالم الاسلامي (١) . والتبشير من طريق التعليم مقصود به المسلمين خاصة (٢) .

ولقد استطاع المبشرون ان يعيشوا كثيراً من العداوة بين الطلاب حينما اتبعوا سياسة تقضي باستخدام الطلاب النصارى في مدارسهم وسطاء الى التبشير بين الطلاب المسلمين ، كما حدث في مصر (٣) .

### أبناء المسلمين على دخول الكنيسة في مدارس المبشرين

ان المدارس الأجنبية كانت تجبر جميع طلابها على دخول كنيسة المدرسة مرة كل يوم . ولا تزال مدارس الارساليات الفرنسية تفعل ذلك الى يومنا هذا او أنها ظلت تفعل ذلك الى زمن قريب على الأقل .

وكذلك كانت الكلية السورية الانجليزية (الجامعة الاميركية اليوم) تفعل ذلك فتجبر جميع طلابها على دخول الكنيسة وعلى حضور درس التوراة . فلما أعلنت الحرية عام ١٩٠٨ اقسم عدد من الطلاب الا يحضوروا دروس الدين المسيحي والا يدخلوا الكنيسة . وعجزت الكلية عن أن تطردهم لأن عددهم كان مائة وستين تلميذاً . فاضطررت الى ان تعفيهم من حضور دروس التوراة ومن دخول الكنيسة معاً .

في ذلك الحين كان هوارد بلس ، مدير الكلية ، غائباً . فلما عاد عدمالى تسوية مبنية على ان الطلاب غير النصارى مُعفون من دخول الكنيسة ، ولكنهم غير معفون من حضور دروس التوراة . وهذا هو الذي ابقى في رأي المبشرين على الشخصية الدينية للكلية (٤) . وفي سنة ١٩١٢ كان على جميع الطلاب ان يحضرروا قداس الوعظ يوم الأحد . وكان ثُمت اجتماعات دينية يتوجب حضورها على بعض طبقات الطلاب (٥) .

وحتى عام ١٩٢٢ كانت الجامعة الاميركية لا تزال تصر على تعليم التوراة في صورتها اذا استطاعت . في العام المدرسي ١٩٢١ - ١٩٢٢ انتقلت (٦) من مدرسة رأس بيروت التابعة بجامعة بيروت الاميركية الى الجامعة نفسها ودخلت الى الصف الثالث الاستعدادي .

(١) Christian Workers 27-8, 40-42; 77-9; 105 f: 135 f.

(٢) راجع ما قبل .

(٣) Methods of Mission 64.

(٤) Jessup 788.

(٥) Bliss (R) 311.

(٦) الكلام هذا للدكتور عمر فروخ .

كانت الجامعات لا تزال يومذاك في عهدها المخضرم تخير طلابها بين ان يحضروا صفوف التوراة وبين ان يتلقوا دروساً في الأخلاق . ولم يكن مستغرباً ان تختر الفرقة التي كنت انا فيها دروس الأخلاق . على انا فوجئنا بكتاب وضعته الجامعة بين ايدينا لا يختلف عن التوراة في شيء الا في اسمه فقط ، اما موضوعاته فقصص مأخوذة من التوراة ومن اخبار القديسين . فرفضنا نحن شراء الكتاب او قبول تعين درس منه .

ولقد أحسنت ادارة الدائرة الاستعدادية يومذاك الاختيار فاستدعتني أنا وألفت علي تهمة تحرير الصحف - مع ان هذا الشرف لم يكن لي وحدي - وخطبني الرئيس وليم هول بكلام قاس ، ثم قال لي : بما ان اعتراضك كان حقاً فقد ألغينا الكتاب ، ولكن بما أن ردك على المستر كلاطس في أثناء الصحف كان خارجاً عن اللياقة المدرسية فقد وجّب عليك « الحجز » بعد ظهر الاربعاء . ولقد كان مراقب الحجز في ذلك اليوم الاستاذ فريد مدور .

وكان من الحكم ان أتفيد بأمر الرئيس وليم هول طالعاً مختاراً ، لأن حجزي ألهى علي قضية الاختيار بين دروس التوراة و دروس الأخلاق نوراً فاضحاً . وبعد اسبوع دعا الاستاذ كلاطس تلاميذ الفرقة التي أنا فيها وأقام لنا في غرفته حفلة بسيطة دلت على ان المبادرات التبشيرية قد تستطيع احياناً ان تسدل دون الضمير الانساني ستاراً ، ولكنها لا تستطيع ان تميتها . ان هذا الحجز القصير قد ربّع قضية لم تكن تافهة على الاطلاق : لقد ألهى منذ ذلك اليوم درس التوراة نهائياً في الجامعة الاميركية واستعيض عنه بدرس للأخلاق وال التربية المدنية علمنا اياه في العام التالي المستر بيارد ضودج ( الرئيس ضودج فيما بعد ) .

### التبشير بين الودعين

يستطيع المبشرون من طريق المدارس أن يصلوا إلى المتعلمين . اما الاميون فلا سبيل الى الوصول اليهم من هذه الطريق . ولقد عد المبشرون ذلك صعوبة بالغة (1) ، ثم تفتقت قريحتهم عن ان يعمد المبشر الى الاتصال الشخصي بالأمينين وأن يبدأ الكلام معهم على مقام عيسى عليه السلام في القرآن الكريم ، فيتكلّم مثلاً عن المسيح بأنه روح الله كما جاء في القرآن ، أو يقول عنه « حضرة عيسى » كما يقال في الهند . وعلى المبشر

(1) Christian Worker 86 .

ان يقول أمام الاميين « القرآن الكريم » ، وان يذكر الشفاعة والجنة وما الى ذلك من الانفاظ الاسلامية استعمالة للسامعين الاميين . فاذا وثق من آذانهم صب فيها تبشيره (١) . ولقد وقع لويس ماسينيون استاذ جامعة فرنسة في باريس والداعية المبشر في قسم الشؤون الشرقية في وزارة المستعمرات الفرنسية على هذه الطريقة فمضى يقول بها في خطبه ومقالاته وأحاديثه . الا ان لغته في هذا الباب لغة مثقلة بالاستعارات والرمز لا تعذب احياناً في السمع . ومع أن هذه الخطب والمقالات والأحاديث تدل على اطلاع واسع ، فانها لا تدل على صفاء في التفكير أو على صفاء في الصميم على الاصح . يتمي ماسينيون في احدى مقالاته أن يعود الاعتقاد الاسلامي في رجوع عيسى بن مریم فيتفق مع الحادث الثاني للمسيح النصراوي الذي يعمل المهدى العربي على انتصاره (٢) . ويقصد ماسينيون بكلمة ثانية او يوضح أن يعود المسلمين عن قولهم : عيسى بن مریم الى القول : عيسى بن الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وفحوى مقال ماسينيون كله انه ما دام لدى المسلمين اخبار برجوع المسيح عيسى بن مریم ، فلماذا لا يكون هذا المسيح الرابع هو المسيح الذي يعتقد به النصارى اليوم ؟

ولقد رد ماسينيون هذه الفكرة المأذوذة عن غيره والمدخلة في نفسها وجعلها عمدة عبقريته في الدعوة الى ان يُحمل المسلمون على ترك دينهم حتى يسهل استعمارهم على أهل الغرب . اقول (٣) هذا وانا أتألم اذ اقوله عن رجل عرفته استاذًا لي استمع منه (٤) . ولكن الحق اكبر من ماسينيون ، ومن علمي حرفأكنت له عبداً في الحق لا في الباطل .

### التعليم الرسمي والتبشير

رأى المبشرون ان المدارس الرسمية في البلاد التي تكثر فيها المذاهب الدينية لاتشتدد في تعليم الدين ، بل تساهل حتى لا تنفر احداً من مواطنها ، وحتى لا يحمل بعض المواطنين كرهاً بعض . ولقد رأى المبشرون في ذلك ثغرة احبوها ان ينفذوا منها الى عقائد الطلاب في مثل هذه المدارس . قال وليم هول (٥) ، مدير الدائرة الاستعدادية في الجامعة الاميركية في

(١) *Methods of Mission* 36 f.

(٢) *L'islam et l'occident ( Les cahiers du Sud )* p. 164 .

(٣) الكلام هنا للدكتور عمر فروخ .

(٤) في كلية فرنسة في باريس ١٩٢٦ .

(٥) *Mott, The Moslem World of To-Day* 180 .

بيروت (١٩٢٧ - ١٨٩٦) في شأن هذه المدارس :

والتعليم في نفسه قوة تبشيرية أساسية . إن مؤتمر شمالي إفريقيا قد ذكر أن مدارس الحكومة (المدارس الرسمية) تمهد الطريق أمامنا ببني التحرب ثم يفتح آفاق جديدة . تلك هي نتائج جميع نظم التعليم الحديثة . إن مدارس الارساليات المسيحية الغربية يجب أن تقدم (على كل ما سواها) في الاحتفاظ بهذه الزعامة : ويجب على المبشرين ان يحتفظوا في كل زمـن بوجهـة نظر المـسيـح فيما يتعلـق بالـحـيـاة الـفـيـاضـة .

لما فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان عام ١٩١٩ فرض معه منهاج للتعليم الرسمي . وكان هذا التعليم الرسمي في مناطق الانتداب يساعد المبشرين في أعمالهم . لقد كان المبشرون في أول أمرهم (قبل الانتداب) ينشئون المدارس في جبل الدروز (على الأخص) بطلب من بعض زعماء الجبل . ولكنهم كانوا يغلقون تلك المدارس اذا قصرت موادرهم عن ادارتها (او اذا لم يستطعوا التبشير فيها بنجاح على الاصح) . اما بعد الانتداب فقد أصبح التعليم ، وعلى الأخص في جبل الدروز ، موضع تعاون وثيق بين المبشرين وبين السلطات العامة (١) .

وبما أن الحكومة الفرنسية كانت تساعد الارساليات الكاثوليكية في عملها ، فإن مدارس تلك الارساليات كانت تحب فرنـسـة إلـى التـلامـيد النـصـارـى (٢) .

ولم يكتف الفرنسيون طوال مدة انتدابهم ، بأن يساعدوا اليسوعيين في أعمالهم المستقلة ، بل فسحوا المجال ليكون لليسوعيين نفوذ كبير في توجيه المستشارين الفرنسيين المشرفين على التعليم في منطقة الانتداب ، وخصوصاً فيما يتعلق بالمناهج ومنح الشهادات الرسمية . وهذا ما جعل المناهج الرسمية كأنها خاضعة لليسوعيين مباشرة ، مما لا صلة له ببحثنا . ولકـنـا نـوـدـ أنـ نـقـولـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ فيـ سـيـاسـةـ الـافـرـنـسـيـنـ فيـ التـعـلـيمـ الرـسـمـيـ فيـ منـاطـقـ الـأـنـتـدـابـ ١٩٤٥ـ وـسـتـعـيـرـ مـاـ نـقـولـهـ مـنـ «ـ تـقـارـيرـ عـنـ اـحـوـالـ الـعـارـفـ فيـ سـوـرـيـةـ خـلـالـ سـنـةـ ١٩٤٥ـ »ـ وضعـهاـ سـاطـعـ الحـصـريـ (٣)ـ .

لما درس العالم الاجتماعي ساطع الحصري مناهج التعليم في الجمهورية السورية لفت نظره أشياء كثـارـ تـادـعـوـ إـلـىـ الغـرـابـةـ فقالـ (٤)ـ :

«ـ هـذـاـ ،ـ وـيـحدـرـ بـنـاـ أـنـ نـتسـأـلـ ،ـ فـيـ هـذـاـ المـقـامـ :ـ كـيـفـ تـأسـتـ هـذـهـ النـظـمـ الغـرـبـيـةـ فيـ

(1) Les Jesuites en Syrie 10 : 65.

(2) ibid, 2 : 8.

(3) دمشق ، مطبعة الجمهورية السورية : ١٩٤٦ .

(4) ص ٢٥ - ٢٤ .

سورية؟ وكيف دخلت في عداد تقاليد دوائرها الحكومية؟

«أني كنت عترت على جواب هذا السؤال من خلال التصريحات التي كان أدلّ بها إلى أحد المطلعين على هذه النظم ودراحتها. إن هذه النظم إنما وضعت لغايات تحكمية، خدمة لمصالح الدولة المتبدلة وحدها».

«فإن رجال الانتداب عندما شعروا بضرورة اعطاء بعض السلطات إلى الحكومات المحلية والموظفين الوطنيين، أرادوا أن يوجدو نظاماً إدارياً خاصاً يضمن لهم تحقيق الغايتين التاليتين:

آـ إيهام الموظفين بمعاملات قرطاسية مطلولة ومعقدة لا ترك لهم مجالاً للالتفات إلى الأمور الجوهرية من جهة، ثم تخفي عن الأنماط زمام السلطة الحقيقة من جهة أخرى.

بـ تنظيم مجازي المعاملات الإدارية على أساس «مركزية مفرطة» لا ترك مجالاً لإفلات معاملة من المعاملات عن نطاق اطلاع رجال الانتداب، وشبكة سيطرتهم السافرة أو المقنعة.

«هذا هو السر الحقيقي في نشأة البوروقراتية المضحك والمكرهة الغربية التي تشاهد في جميع نظم الإدارة السائدة في سوريا. إن هذه النظم التي تختلف ابسط قواعد الإدارة السليمة وأوضاع مبادئ العقل والمنطقـ إنما وضعت لهذا السبب وهذه الغاية.

«إن انسحاب الأيدي الأجنبية التي كانت تحرك أهم عناصر هذه الماكينة، وانقال هذه المعاملات إلى الأيدي الوطنية لا يغير شيئاً من حقيقة الحال. إن هذه الماكينةـ لا تزال كما كانتـ ماكينة مرتبة خدمة المصالح الأجنبيةـ بعيدة عن خدمة مصالح البلاد الحقيقة».

«أعتقد أن التخلص من هذه الماكينةـ الباقيـ من عهد الانتدابـ والاستعاضة عنها بماكينة إدارية جديدة مرتبة ترتيباً تخدم مصالح البلاد الحقيقةـ وفقاً للقواعد المألوفة في البلاد المستقلةـ يجب أن يعتبر من أوجب الواجبات التي تترتب على رجال سوريا في عهدها الاستقلالي هذا».

هذه الكلمة عامة قالها ساطع الحصري في تنظيم الإدارة خدمة مصلحة الانتداب يوم كان الانتداب السافر موجوداً. ثم هو يعتقد أن زوال الانتداب لم يزُل آثاره. واما فيما يتعلق بالثقافة خاصة فقد بسط ساطع الحصري رأيه في نحو ثلاثة صفحات من «تقاريره». ولقد بين في أثناء ذلك ان الانتداب لم يسخر التعليم الرسمي لاغراض فرنسة المتبدلة فقط،

بل سخره ايضاً لاغراض المعاهد التعليمية الفرنسية ثم تحيز لها تحيزاً مفرطاً جعلها في الحقيقة صاحبة «امتياز» ، أو صاحبة «احتكار» على الأصح . قال (١) : « ان النظم العديدة التي وضعت في سوريا – في عهد الانتداب الفرنسي – اثناها كانت وضعت تنفيذاً لسياسة مرسومة بوضوح وانفان . ونستطيع ان نقول ان غاية هذه السياسة كانت تؤمن سيطرة الثقافة الفرنسية والنظام الفرنسية على معارف البلاد سيطرة مطلقة من غير التفات الى ما تتطلبه اصول التربية السليمة والعلم الصحيح . اثناها كانت تعطى للغة الفرنسية وللشهادات الفرنسية امتيازات هامة ، وتحيز للمعاهد التعليمية الفرنسية تحيزاً مفرطاً ، يجعلها احياناً – ليست صاحبة امتياز فحسب – بل صاحبة انحصار واحتكار ايضاً » .

بعدئذ يمضي ساطع الخصري مؤيداً حكمه هذا بوقائع من نظم المعرفة السورية في ايام الانتداب (ص ٦٩ الى ٩٠) .

\*

وهكذا ترى بمحلاه كيف ان الانتداب الفرنسي قد سخر التعليم كله لاغراض المدارس التبشيرية : والمدارس الافرنسية منها خاصة .

### التعليم النسائي خاصه

ان للتعليم النسائي أهمية خاصة في بناء المجتمع . هذه الأهمية لم تغب طبعاً عن أعين المبشرين فأولوها عناية عظيمة . ولن نعرض هنا لموضوع المرأة في التبشير ، فذلك له فصل خاص ، ولكن سيقتصر هذا الفصل على تعليم البنات فقط .

وكذلك نرى من اضاعة الوقت ان نعيدي في الكلام عن التعليم النسائي ما ذكرناه في باب تعليم الصبيان . من أجل ذلك سيقتصر في هذا الفصل ايضاً على ما هو خاص بتعليم البنات مما لم يرد في تعليم الصبيان .

لما جاء المبشرون الى العالم العربي كان العلم بين الرجال قليل الانتشار ، اما بين النساء فكان أقل انتشاراً . وادرك المبشرون ان هذه حال لا يمكن أن تدوم ، وان المرأة ذات اثر في التربية أكثر من الرجل فأولوها اهتماماً عظيماً ، حتى قال جسب : « ان مدرسة

(١) تقارير عن احوال المعرفة في سوريا ، ٦٩ وما بعدها .

البنات في بيروت هي بُوْبُو عيني . لقد شعرت دائماً ان مستقبل سوريا انا هو بتعليم بناتها ونسائها . لقد بدأت مدرستنا (للبنات) ، ولكن ليس لها بعد بناء خاص بها . وها هي قد أثارت اهتماماً شديداً في أواسط الجمعيات التبشيرية (١) .

ان المبشرين لم يتأخروا في فتح مدارس البنات . ان أول مدرسة للبنات في الامبراطورية العثمانية فتحها المبشرون في بيروت عام ٢٠٢٠ . ولقد فتح المبشرون مدارس كثيرة للبنات في مصر والسودان وسوريا كلها وفي الهند والأفغان (٣) .

وكان اهتمام المبشرين بالمدارس الداخلية للبنات أشد . قالوا : ان التبشير يكون اتم جبكأ في مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الأحوال المواتية والفرص السانحة . ان المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطلاب اوثق ، ولا أنها تنزعهن من نفوذ حياة بيته غير مسيحية (٤) . ويفرح المبشرون اذا اجتمع في مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة ، لأن نفوذ هؤلاء يكون حبيباً في بيتهن أعظم . وتتكلم المبشرة آنا ميلigan فقالت : في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات اباً هن باشاوات وبكونات . وليس ثمة مكان آخر يمكن ان يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وليس ثمة طريق الى حصن الاسلام اقصر مسافة من هذه المدرسة (٥) .

من أجل ذلك طلب المبشرون الامريكيون منذ عام ١٨٧٠ مبلغ ثلاثة الف دولار لمدرسة دينية للبنات في بيروت وعلوا طلبيهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيئية وان تلك المدرسة ستساعد على تنصير سوريا في المستقبل (٦) .

### التبشير بين الدارسين في الخارج

على الرغم من كل ما ادعى المبشرون من انهم جعلوا طلاباً مسلمين يصارعون الى النصرانية ، فإنهم يبالغون كثيراً في نجاحهم . نحن لا نشك في ان افراداً مسلمين قد انقلبوا بعد ايمانهم . ولكن هؤلاء افراد قليلاً جداً ، ثم انهم يعيشون في عزلة أو شبه

(1) Jessup 280.

(2) Bliss (R) 327.

(3) Milligan 121 ff., 102; Richter 249; Gairdner 203-5.

(4) Milligan 102.

(5) Milligan 121.

(6) cf. Jessup 223.

عزلة لا يستطيعون ان يتحدون المجتمع الذي يعيشون فيه .

ولقد أدرك المبشرون ذلك كله . وبما أن غاية المبشرين ليست دينية في الدرجة الأولى بل هي « إفسادية » : يحاولون بها أن يفكوكوا وحدة الأمة الإسلامية ليحكموا شعوبها ، فأنهم قنعوا أن يفسدوا هذه الشعوب ، لأن افساد الشعوب يصل بالمبشرين إلى غايتها القصوى وهي تكين الدول الغربية من حكم البلاد الإسلامية . أما النصرانية فإن الذين يمولون المبشرين لا يهتمون بها بالمرة . إن هؤلاء المبشرين الذين يرسلون إلى الشرق لاكتساب نفوس جديدة إلى صفو النصرانية – في الظاهر – يصرخون في كل مكان : « اعبدوا أولاً إلى الكنيسة طلابنا نحن ، وفي أمريكا نفسها » (١) .

إذن يجب على المبشرين أن يفسدوا الطلاب المسلمين ، يقول المبشر تكلي (٢) : « يجب أن نشجع إنشاء المدارس ، وأن نشجع على الأئم الأخص التعليم الغربي . إن كثيرين من المسلمين قد زُرعن اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانكليزية . إن الكتب المدرسية الغربية تحمل الاعتقاد بكتاب شرق مقدس امرأً صعباً جداً » .

ويبدو بوضوح أن المبشرين لم يستطعوا افساد المسلمين بالقدر الذي تمنوه فقنعوا بأن « يلوّنوا » الطلاب المسلمين بالنصرانية تلويناً يبعدهم بعض البعد عن عقيدتهم الأولى ثم يدّينهم بعض الدنو من النصرانية .

•

ما لا ريب فيه ان ذهاب الطلاب الشرقيين إلى أوروبا وأمريكا يكسبهم شيئاً من أساليب الحياة الغربية ومن الاتجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك وما إلى ذلك . ولا ريب أيضاً في أن لذلك حسناته وسباتها . ولكن المبشرين يريدون أن يفيدوا من دراسة الطلاب الشرقيين في الخارج أمراً آخر . إنهم يريدون أن يجعلوا من هؤلاء الطلاب « نصارى » بالفعل أو مثالين للنصرانية (٣) .

ويدخل في هذا الباب زواج المسلمين بالغربيات ، الأوروبيات والاميركيات ، وسيأتي الكلام عليه مبسوطاً في مكانه .  
وتطيب بهذه الفكرة للمبشر وللمستشار الشرقي في وزارة المستعمرات

(1) *Missionary Outlook* 275.

(2) *Takle*, cf. 217 : cf. *Islam and Missions* : cf. also *Missionary Outlook* 275-6.

(3) *Missionary Outlook* 276 ff.

الافرنسية ، لويس ماسينيون ، فيدبيع المقالات الطوال ويقول لقومه : ان الطلاب الشرقيين الذين يأتون الى فرنسة يجب ان يلونوا بالمدنية المسيحية (١) .

\*

وهكذا يجب ان نخرج من هذا الفصل بهذه الفكرة : ان المبشرين والذين هم وراء المبشرين ، يبذلون كل جهد لاستخدام العلم والتعليم في سبيل التبشير . غير ان تبشيرهم ظاهراً وباطناً . اما ظاهره فدعوة الى سلوكِهم لا يسلكونه . وتلك دعوة على كل حال لم تم : إن الذين يريدون أن يبشروا بالنصرانية بين غير النصارى ، هم انفسهم قليلو الاحتفال بالدين كله . وان من عاش مدة يسيرة في اوروبه والولايات المتحدة يدرك ذلك تمام الادراك . واما باطن التبشير فهو تفكير أواصر القربي الروحية في الأمة الاسلامية خاصة حتى يستطيع الغرب ان يحكم الشعوب الاسلامية ويستغل بلادها اقتصادياً وحربياً .

---

(1) Revue « Dieu Vivant ». No. 4, pp. 7 ss.

## الفصل الرابع

### التعليم ميدان فسيح للتبشير

(٢) المؤسسات التبشيرية :

الكليات والجامعات خاصة

•

نشأ في الجمهورية اللبنانية احزاب ومؤسسات كثيرة لا يخصيها العدد . من هذه الاحزاب والمؤسسات حزب ( محلول اليوم ) اسمه الحزب القومي السوري انشأه في عام ١٩٣٢ شاب اسمه انطون سعادة وبنى عقيدته على أن سوريا بحدودها الطبيعية وحدة جغرافية . هذه الوحدة الجغرافية يجب ان تؤلف يوماً ما دولة قومية ، لأن السوريين امة . « وعلى هذا تؤلف المسألة اللبنانية جزءاً متماماً للقضية السورية . وجميع المسائل السورية ، بما فيها المسألة اللبنانية يجب ان توحد في برنامج واحد قضية واحدة » (١) .

وبعد اربعة أعوام ، اي في عام ١٩٣٦ ، نشأ على الصفة الثانية لهذا الكفاح السياسي منظمة اسمها « الكتاب » اللبناني ( وهي ايضاً محلولة اليوم كمنظمة موجودة كحزب ) . هذه المنظمة تقول « ان لبنان وحدة سياسية وتاريخية وجغرافية (٢) ، وان اللبنانيين أمة (٣) . ولذلك قالت منظمة الكتاب ايضاً (٤) : ثأبى التسليم « بنظرية سوريا الجغرافية » لأنها لا تقر بحقيقة لبنان الطبيعية ، فضلاً عن ان هذه « النظرية » – وهي من صنع المستشرقين المسخرين لسياسات الاستعمار – لا ترتكز الى اساس تاريخي .. مع ان للحزب القومي السوري ومنظمة الكتاب اللبنانية شروحاً لمبادئهما كثاراً ،

(١) راجع : بлаг من زعم السوريين القومين الى الرأي العام ، ٥ يونيو (حزيران) ١٩٣٦ ، ص ١٠، ١١، ١٢.

(٢) اهدافنا ( الكتاب اللبناني ، مصلحة الدعاية والنشر ) ، ١٩٣٦ - ١٩٤٤ ، ص ٧ .

(٣) مثله ٨ .

(٤) مثله ١٢ .

فان الذي يهمنا هنا شيء آخر . ان الذي يهمنا هنا ان الاختكاك والترافق بينهما لم يفترْ فقط ، بل كان يقوى كلما تقدم بهما الزمن وزاد انصارهما . ومنذ او اخر عام ١٩٤٣ ، أي بعد ان خرجمت الجمهورية اللبنانية من قيود الانتداب الفرنسي الى بحبوحة الاستقلال برزت العداوة بين الحزب القومي وبين الكتائب اللبنانية بروزاً ظاهراً تراءى في الانتخابات النيابية وفي الأعياد المحلية وفي حفلات الخطابة . وفي او اخر حزيران وقع الاختكاك العلني الاول بين افراد الحزب القومي وبين افراد منظمة الكتائب في بيروت ، فقبضت الحكومة اللبنانية على نفر من هؤلاء وتفر من هؤلاء . إلا أن المقبوض عليهم من افراد الحزب القومي السوري كانوا أكثر عدداً . ثم اتسعت حركة الاعتقال بين القوميين بتهمة تدبير انقلاب سياسي بقوة السلاح .

ولم يكدر يتنهى حزيران حتى اخذ افراد الحزب القومي السوري يهاجمون المخافر اللبنانية في ضواحي بيروت وفي أماكن متفرقة في جبل لبنان والبقاع . ثم انهم وسعوا حركتهم التورية حتى اضطرت الحكومة اللبنانية الى ان تجرد عليهم قطعة من الجيش ، فاستطاعت في ايام قلائل ان تمحق حركتهم ، ثم قبضت على عدد غير منهم . وانهياراً تمكنت من القبض على زعيم الحزب انطون سعادة وحاكمته محاكمة عسكرية ثم أعدمه رمياً بالرصاص (فجر الجمعة ٨ تموز ١٩٤٩) .

وفي صباح اليوم التالي صدرت جريدة العمل (١) ، لسان حال منظمة الكتائب اللبنانية ، وفي صدر صفحتها الأولى مقال افتتاحي عنوانه : «كونوا متيقظين» . كان في هذا المقال الافتتاحي مقطع هو :

«ولكم اشرنا إلى ان في الكلية الاميركية في بيروت بورة ملائى بالدس على لبنان وعلى كيانه . ان اكثر الضالين من اللبنانيين ضلوا بين أحضانها ، وكل المهوشين علينا من جير اتنا تلقنوا بغض لبنان وأساليب السعي ضدنا تحت اكتافها . وهل كانت حركة انطون سعادة تمكنت لو لم يجد لها ارضاً خصبة في تلاميذ الجامعة الاميركية ، اللبنانيين وغير اللبنانيين .

«فالي متى هذا الاغضاء؟

«ان المحنة التي اجتازها البلاد ينبغي الا تتجدد ولو اقتضى الأمر الى اعتقال كل «اللاجئين الاشرار» (٢) والى اغفال الجامعة الاميركية » .

(١) جريدة العمل بيروت ، السبت ٩ تموز ١٩٤٩ ، السنة العاشرة العدد ١٠١٥ .

(٢) اشاره الى ان كثيرين من الذين قاموا بالحركة التي ادت الى التصادم بين الحزب القومي وبين الحكومة كانوا سوريين او فلسطينيين يتعلمون او يسكنون في لبنان (المقال نفسه) .

وفي اليوم التالي ( ١٠ تموز ١٩٤٩ ) صدرت جريدة الديار ( ١ ) بمقال افتتاحي عنوانه : « فضل الجامعة الاميركية علينا » ردت فيه على جريدة العمل فقالت ، بعد ان قدمت لمقابلها بالملقط السابق الذي اقتضناه نحن من مقال « العمل ». قالت جريدة النهار :

« فإذا كان المقصود من الضلال ارباب العقيدة العربية السليمة فإن طلبة الجامعة ليخترون بمعرفة يحفظ فيها روح العزة العربية ، وجمع ابناء البلاد العربية في حظيرة هذه القومية . وانهم يشفقون على معتنقي قوميات شعوبية سواء كانت قوميات لبنانية او فلكلورية او سورية . »

« وإذا كانت العمل متأثرة من الحزب القومي السوري فعلتها ان تدرس بدقة ، فيتبين لها ان مقاومة مبدأ ( هذا ) الحزب في دنيا العرب تقوم على اكتاف طلاب الجامعة الاميركية . ان مليون حجة تبني على قومية محلية لا تقنع سورياً او عراقياً بفساد نظرية القومية السورية ، بل الاقناع يأتي من التطلع الى قومية واسعة ناسخة ، هي القومية العربية . ان هذه المهمة يتبرع بها طلاب الجامعة الاميركية ، وهم رسل القومية العربية في احياء الشرق العربي وحملة اعلام التحرر والاستقلال ، يوم كان طلاب المعاهد الاخرى يغوصون في عبادة الاستعمار الى ما فوق الرقاب . »

وفي اليوم نفسه ( ١٠ تموز ١٩٤٩ ) عقدت جريدة « بيروت » مقالاً افتتاحياً ( ٢ ) في الرد على جريدة العمل « الى الكتاب ! » قالت فيه تمنت مقال العمل الافتتاحي المذكور :

« أقوال جارفة لم يتعود أبناء الجامعة أن يطلقواها جزاً ، فابن الأسلوب « العلمي في التفكير ... وابن البحث والنظر ... وابن اعينكم وعقولكم يا رجال الكتاب ؟ »

« ولكن المعرفة سهلة والعمل عسير . والناس لا يتفاوتون كثيراً في معرفة القانون ، ولكنهم يتفاوتون جد التفاوت في تطبيق القانون . فيما بال رجال الكتاب ، وجلهم من رجال المعرفة ، يهرون بما لا يعرفون ، وain برهانهم وهم يكتبون ما يكتبون ؟ انهم يكتبون ما تملئه عليهم الظنون والأوهام ، وتسطره الأذهان غير العملية ، وما تفرضه السياسة ذات الاتجاه الواحد .. انحن ، شباب الجامعة ، الفضالون وأنتم المهتدون ، لأن رجالاً كالزعيم انطون سعادة تبني عقيدة ما ؟ لقد استنكروا هذه العقيدة قبل

( ١ ) جريدة الديار ، بيروت : الاحد في ١٠ تموز ١٩٤٩ ، السنة الثامنة ، العدد ١٩١١ .

( ٢ ) جريدة بيروت ، بيروت ، الاحد ، ١٠ تموز ١٩٤٩ ، السنة ١٣ ، العدد ٣٢٩٢ ، الصفحة الاولى .

« الكتائبين ، وخارجناهم قبليهم . غير ان واحداً لا يستطيع ان ينكر ان هذه العقيدة ، مهما تكون أنسها واهية ، ألفت بين المسيحي والمسلم واذابت الطائفية التي نشكو منها جميعاً ، والكتائب في الطبيعة ، الكتاب التي لم توفق عملياً الى هذا ، او الى شيء من هذا فظلت على الرغم من جهاد استمر اثنى عشرة سنة ذات لون واحد وصبغة واحدة . فهل تبني الاوطان على عنصر ( واحد ) من المواطنين يجتمع مع عناصر كثيرة ؟ »

لست هنا في مقام الموازنة بين عقيدة الحزب القومي وبين عقيدة الكتاب ، ولا نحن في مقام المقارنة بين شكل المقالات الثلاث التي استشهدنا بها . غير اننا نريد ان نوجه البحث الى صلب الموضوع : « الجامعة الاميركية » من حيث هي جامعة اجنبية ، ثم « الجامعة اليسوعية » من حيث هي جامعة اجنبية ايضاً . ان مقال جريدة بيروت ومقال جريدة الديار قد مسا هذا الموضوع مساً ، ولكن مقال جريدة بيروت كان اكثر رفقاً – كما هو معروف من سياسة هذه الجريدة – اما مقال الديار فكان اوضح قليلاً .

جريدة العمل تقول : ان الجامعة الاميركية يجب ان ترول لأن كثيرون من الذين يتبنون الى الحزب القومي السوري – عدو الكتاب . كانوا من الجامعة الاميركية .

فقبل جريدة الديار هذا التحدي شكلاً وتقول : ان نظرة طلاب الجامعة الاميركية اوسع من ذلك . انهم « أرباب عقيدة عربية ». ثم أنها تغمز الكتاب في ميلهم الى القومية الفينيقية ، وتغمز طلاب المعاهد الأجنبية الأخرى غمرة شديدة فتقول :

يوم كان طلاب المعاهد الأخرى يغوصون في عبادة الاستعمار الى ما فوق الرقب .

هذا هو مجال المقارنة : ما مقام المدارس الأجنبية في حياتنا القومية ؟

قد تتفاصل المعاهد الأجنبية في ذلك كثيراً او قليلاً ، ولكن المعاهد الأجنبية معاهد أجنبية قبل كل شيء . ولقد اتفق للجامعة الاميركية ان اعتنقت فكرة قومية اوسع ، لأن افقها كان اوسع ، ولأن طلابها كانوا من بلاد اوسع انتشاراً في الأرض ، ولأن الولايات المتحدة بلد مساحتها ثمانية ملايين كيلومتر مربع ، بينما الجامعة اليسوعية وجدت لتحجب فرنسة الى اهل لبنان ، او الى قسم من اهل لبنان على الاصبح . ومع ذلك فان هذا لا دخل له في موضوعنا الأساسي ، فلنلتفت الى ما كان لهذه المؤسسات الأجنبية كلها من مضار على حياتنا القومية والدينية والثقافية والاجتماعية ، وعلى ما كان لها من نفع .

اما نحن فنرى ان الجامعات اداة توجيه في البلاد ، من اجل ذلك لا يجوز ان تكون

اداة لتوجيهه هذه في ايد اجنبية . مهما كانت هذه الايدي الاجنبية رفيقة نظيفة خيرة ! ولكن الانسان قد يدفع احياناً الى اختيار اهون الشرين عملياً ، وان كان لا تفاضل في الشر من الناحية النظرية على الاقل .

\*

يعرف القائمون على المؤسسات الاجنبية بأن هذه المؤسسات كانت في اول امرها تبشيرية ، ولكنها اليوم لا تُعني بالتبشير . على ان هذا مخالف للواقع ، وانما هو قول يتسترون به لأن العصر الذي نعيش فيه اصبح يأبى هذا التعبير : « في سبيل التبشير ». وحتى نستطيع ان ندل على ان هذه المؤسسات لا تزال الى اليوم تبشيرية فاننا سنقص طرفاً من تاريخ عدد منها ، وستتوسع في تاريخ الجامعة الاميركية ونتخاذل نموذجاً للمؤسسات الاجنبية كلها .

رأى المبشرون ان التبشير يجب الا يقف عند انتهاء مرحلة التعليم الابتدائي او الثانوي ، بل يجب ان يستمر الى مرحلة التعليم للعامي لأنه هو الذي يهوى « قادة الشعوب . فإذا استمال المبشرون ، اذن ، بعض هؤلاء الذين ينتظرون ان يكونوا قادة في بلادهم ، فقد كفلوا التأثير على الشعب كله . من اجل ذلك تبلورت سياسة الارساليات الاميركية حول اقامة كليات مجهزة تجهيزاً جيداً في استنبول وبيروت وازمير والقاهرة وغيرها من مراكز البلاد الشرقية (١) . ومع الايام اصبح الاميركيون يعتقدون ان المؤسسات التبشيرية ، سواء أكانت معاهد علمية أم مؤسسات اخرى ، إنما هي « مصالح امريكية » تجحب المحافظة عليها . وهم لا ينكرون ان هذه « المصالح » كلها قد نشأت من التبشير وعلى ايدي المبشرين (٢) .

### (١) مدرسة عبيه (لبنان) :

اهم المبشرون الامريكيون ببلدة عبيه منذ نزولهم بسوريا لأنها بعيدة عن مراقبة الحكومة المركزية في بيروت ولأنها في وسط ظنوه يسهل عليهم عملهم التبشيري : بعد عن العمران السياسي ووجود طوائف مختلفة في عبيه وما جاورها . من أجل ذلك نزل فيها دانيال بلس وزوجته ومكثا فيها في اول الأمر عامين ونصف عام (٣) .

(1) cf Enc. of Missions 600.

(2) cf. MW. Apr. 1939. pp. 121 ff.

(3) Bliss p. III, cf. Jessup 59, 60, 76, 107.

وفي عام ١٨٤٣ انتقل الدكتور طومسون والدكتور كريستيانوس فانديك الى عبيه وأدارا مدرسة دينية للصبيان . ثم ظلا هنالك يعلمان ويعظان حتى نقلوا الى صيدا عام ١٨٥١ (١) . على ان مدرسة عبيه نفسها تأسست في الرابع من تشرين الثاني عام ١٨٤٦ على يد الدكتور كريستيانوس فان ديك (٢) . وفي عام ١٨٤٩ انتقلت ادارة هذه المدرسة الى عهدة المبشر سيمون كالمون . وهكذا استطاعت مدرسة عبيه ان تساعده كثيراً على الغاية التي جاءت الارساليات من أجلها (٣) . ولقد ظلت مدرسة عبيه تمثل دورها حتى تأسست الكلية السورية الانجليزية عام ١٨٦٥ في بيروت (٤) . لقد كانت مدرسة عبيه سلفاً للكلية السورية الانجليزية (٥) .

وكذلك انشأ المبشرون الاميركيون مدرسة للبنات في عبيه ايضاً عام ١٨٤٧ بادارة السيد دي فورست وزوجته (٦) .

## ٢) كلية روبرت في استانبول :

هي كلية مسيحية غير مسترة لا في تعليمها ولا في الجو الذي تحييها لطلابها (٧) . ويقول دانيال بلس ان كلية بيروت وكلية استانبول ليستا اختين فقط بل توأمان (٨) . ان هذه الكلية قد انشأها مبشر ولا تزال الى اليوم لا يتولى رئاستها الا مبشر (٩) .

## ٣) الجامعة الامريكية في بيروت :

ومع ان المبشرين الاميركيين قد انشأوا في عبيه مدرسة للصبيان وآخر للبنات ، فأنهم لم يغروا بيروت من نشاطهم ، فقد اسس سيمون كالمون منذ عام ١٨٣٥ مدرسة في بيروت ليساعد في حملة التبشير (١٠) التي شنتها البروتستانت على سوريا . ولكن لما تأسست الكلية السورية الانجليزية (الجامعة الامريكية اليوم) في بيروت (عام ١٨٦٥) <sup>١</sup> يقى من

(1) Jessup 60.

(2) Jessup 96, Bliss 111.

(3) Jessup 163.

(5) Jessup 96.

(5) Bliss 111.

(6) Jessup 96.

(7) Jessup 513.

(8) Addison 91, cf. 99, 298.

(9) MW, Apr, 1933, p. 130.

(10) Bliss 163, 212.

حاجة الى مدرسة عبيه ولا الى مدرسة كالهون ، فان الكلية السورية الانجليزية اخذت مكانهما . وجاء في تقرير لدانيال بلس ، الرئيس الأول للكلية السورية الانجليزية في بيروت ، هذه الحقائق نسبتها موجزة فيما يلي (١) :

في عام ١٨٦١ و ١٨٦٢ كان دانيال بلس والدكتور وليم طومسون يبحثان في ضرورة ايجاد معهد عال لسوريا ولسائر العالم العربي في الشرق الأدنى ، فان ذلك افضل من ان يتعلم الطلاب علومهم العالية في الخارج : في اميركا وانكلترة مثلاً . ذلك لأن ثمت افراداً تعلموا قليلاً او كثيراً في انكلترة واميركا ثم انهم استقروا نهائياً حيث تلقوا علومهم ، او انهم رجعوا الى بلادهم في الشرق الأدنى من غير أن يوثروا في قومهم فقط (أي لم يساعدوا المبشرين على التبشير بين اهل البلاد ) ، بينما الذين تعلموا في مدرسة عبيه قد اخذ منهم المبشرون مدرسين لمدارس التبشير وواعظين ومساعدين في أعمال مختلفة ... واعتمدت الكلية السورية الانجليزية في تأسيسها على الرجال الذين يمولون التبشير ، وخصوصاً من الانكليز والاميركيين .

في ٢٣ كانون الثاني من عام ١٨٦٢ اقترح الدكتور طومسون ان يكون دانيال بلس رئيساً للكلية . وفي ٢٧ كانون الثاني اقترح طومسون وبلس معاً ان يكون الاعتماد الأول على الارسالية الاميركية للتبشير (٢) . وقد وافقت الارسالية على ذلك وعلى أن يكون دانيال بلس رئيساً للكلية ايضاً ... على الا يتعارض ذلك مع عمل الارسالية في سوريا ... وعلى هذا الأساس سافر دانيال بلس في ١٤ آب ١٨٦٢ الى نيويورك فوصل اليها في ١٧ ايلول . وفي ايار من عام ١٨٦٣ خطب دانيال بلس في الكنيسة المشيخية (٣) في نيويورك فأكيد الحاجة في الشرق الأدنى الى اطباء والى تعليم ديني تكون التوراة فيه كتاب تدريس دائم . أما عمل الكلية فيجب ان يكون وضع كتب مسيحية تساعد على الانصاف بعمرائهم الناس في آسيا وفي افريقيا وعلى اسباغ النعمـة (المسيحية) عليهم .

وبعد أن عاد دانيال بلس من الولايات المتحدة ببعضه اشهر انعقد اجتماع في بيت الدكتور فانديك في الثلاثين من كانون الاول ١٨٦٣ حضره فانديك نفسه وفورد وجسب وهرتز من الارسالية الاميركية . ثم حضر جونسون قنصل الولايات المتحدة في بيروت .

(1) Bliss 162 ff; cf Penrose 8.

(2) cf. Jessup 241.

(3) Presbyterian .

وقد قرر المجتمعون يومذاك ، بعد أن تذاكروا في إنشاء الكلية السورية الأنجليلية ،  
اتجاه تلك الكلية فقالوا :

« نحن نصر على الطابع التبشيري للكلية ، وعلى أن يكون كل أستاذ فيها مبشراً  
مسيحياً ». وكذلك تبني المجتمعون شرعة الاتحاد التبشيري على أن تكون تلك الشرعة  
هي الخطة التي يجب أن يعمل كل أستاذ عليها . وفي عام ١٩٠٢ — أي في العام الذي اعتزل  
فيه دانيال بلس رئاسة الكلية — زال الاصرار على الفقرة فقط (١) .

وهكذا نرى أن الكلية السورية الأنجليلية قد ولدت في رؤوس المبشرين ثم تعهد لها  
المبشرون بعد ذلك أيضاً . ولقد اشترط المبشرون على القائمين بأمر الكلية ألا تفسد هذه  
الكلية عليهم عملهم (أي ألا تعلم ما ينافق مبدأهم التبشيري) وأن تكون مؤسسة  
بروتستانتية (٢) .

وهكذا نرى أيضاً بكل وضوح أن الكلية السورية الأنجليلية كانت نتاج التعليم البروتستانتي  
ووليد الارسالية الأمريكية للتبشير (٣) . ومع أن الكلية كانت تعتمد في أول أمرها  
فقط على مساعدة الارسالية الماديه ، فانها كانت دائماً تتفق معها في الغاية : في السياسة  
التبشيرية وفي العمل معها في هذه السبيل (٤) .

وفي أول الأمر مالت الكلية إلى كتمان جهودها التبشيرية — وإن ظلت تبذلها — تجنبًا  
لسخط الحكومة العثمانية ، ولذلك قال دانيال بلس نفسه :

« إن السنوات الأولى التي شهدت تطور الكلية قضت أن تسير الكلية في مجرها  
بهلوه قدر الامكان ، فلا تلفت إليها نظر رجال الحكم قبل أن تثبت جذورها في الأرض » (٥) .  
فلما ثبتت جذورها تركت التستر واصبح لها اجتماعات دينية ظاهرة فأجبرت جميع الطلاب  
على حضور الصلوات في الكنيسة كل يوم ، وأجبرت الطلاب الداخليين خاصة على ان  
يمضروا صلاة يوم الأحد أيضًا .

ولما زار المبشر جون موطن الكلية السورية الأنجليلية عام ١٨٩٥ أمست الكلية فرعاً  
لجمعية الشبان المسيحيين (٦) . إلا أن الاسم كان محراجاً أمام غير النصارى ، فغيرته الكلية

(١) Jessup 274

(٢) Bli s 163.9 .

(٣) cf Jessup 298, Bliss (R) 329 .

(٤) Bliss (R) 392 : Jessup 298. 817.

(٥) Bliss 217 .

(٦) وهي اليوم « الجمعية المسيحية للشبان » أو جمعية الشبان المسيحية .

وجعلته « الاخوية » (١). وهذه الاخوية لا تزال قائمة الى اليوم ولكنها كانت تدعى بأسماء مختلفة في الادوار المختلفة . ومع أن الدخول في هذه الجمعية ، « جمعية الاخوية » ، كان اختيارياً لجميع الطلاب ، فان اساتذة الكلية السورية الانجليزية (٢) كانوا كثيراً ما ينحدرون الى مستوى يعطفون فيه على التلاميذ المتأخرین في التحصیل اذا كانوا اعضاء في هذه الاخوية . وتخرج احدنا عام ١٩٢٨ وكان كل طالب لا يزال يشعر هذا الشعور . ولقد اصطدمت (٣) أنا بعقبات كثيرة ذلتها بجهد شخصي ، ولو اتيت كنت احضر الصلوات في الكنيسة او اتيت كنت عضواً في الاخوية لوفرت على نفسي كثيراً من الازعاج :

لقد كان اجتماع الصباح اجبارياً إما في الكنيسة وإما في منتدى وست هول . وكان بيديها ان اختار الحضور في وست هول حيث تكون الاجتماعات بعيدة عن الدين قليلاً أو كثيراً . وفي يوم من الايام دعاني عبد الدايمه العلمية الاستاذ ادورد نيكولي وسألني لماذا كنت غائباً عن الكنيسة . قلت له أنا لا أحضر الكنيسة ولكن أحضر اجتماعات وست هول ، فصرفي . ولكن في اليوم التالي دعاني ثم ذكر أنه يستغرب كثرة غيابي عن الكنيسة ، فأعادت عليه القول بأنني منذ أول العام قد اخترت الحضور في وست هول . واخيراً أدرك الاستاذ نيكولي ان الايحاء إلى بحضور الكنيسة غير ممكن ، فتركني وشأنني .

ولا يزال الاصرار على الطابع الديني التبشيري للكلية السورية الانجليزية قائماً الى اليوم . نشر الكاتب لدفيك برنهارد في الكتاب السنوي الروسي لعام ١٩٠٥ مقالاً عنوانه « اميركة في الشرق » صور فيه الكلية السورية الانجليزية على أنها محاولة مدرّسة لتمهيد الطريق امام المصالح الاميركية ، والتتجارية منها خاصة . فرد عليه رشرت (٤) بقوله : ان مثل هذا الرأي في هذه المؤسسة يصدق على ناحية واحدة منها ويضلّل عن هدفها الحقيقي . ان الكلية مؤسسة تبشيرية . وليس هذا فقط ، بل هي كما يقول جسب (٥) اوضاع سياسة دينية وتبشيرية من مأثور المدارس الاميركية في الشرق ، ككلية روبرت في استانبول مثلاً . اما رشرت فقال عنها (٦) : أنها ارقى مدرسة في الامبراطورية العثمانية . ان عمل الكلية التبشيري يتناول المسلمين في البرجية الاولى ، وهذا ما يجعلها بارزة في ذلك بين جميع

(١) Bliss 217 - 8, Brotherhood .

(٢) الجامعة الاميركية في بيروت .

(٣) الكلام هنا للدكتور عمر فروخ .

(٤) Richter 220 ,

(٥) Jessup 737.

(٦) Richter 74.

المدارس الأمريكية في الامبراطورية العثمانية وايران (١) ، اذ هي التي تهيء المدرسین  
المبشرين للمدارس الأمريكية المشورة في الشرق الأدنى كله (٢) .

فاحساعة الأمريكية في بيروت كانت عند انشاؤها مؤسسة تبشيرية ، ولم تؤسس للتعليم  
العلمانی ، ذلك لأنها كانت نتاج حركة التبشير الأمريكية (٣) . هذا ما أجمع عليه الذين  
كتبوا عن هذه الجامعة (٤) .

على ان الغريب ان الجامعة الأمريكية لا تزال الى الان تبشيرية . يقول ستيفن بروز (٥)  
ومع ذلك فان (الجامعة الأمريكية) كانت ولا تزال مؤسسة تبشيرية . ثم انه يصر على أنها  
تبشيرية ، بل ان التبشير كان المبرر الوحيد لتأسيسها (٦) . وذلك بعد ان صرخ فقال :  
ان الغاية الفصوصى للكلية (السورية الانجليزية) ان تحضن التبشير المسيحي وتبتدر بنور  
الحقيقة الانجليزية . وعلى هذا الأساس ذهب دانيال بلس الى امريكا ليثير رغبة الجمهور  
المسيحي لمحاولة تأسيس معهد أدبي يعمل على نشر الارساليات البروتستانتية والمدنية  
المسيحية في سوريا والأقطار المجاورة (٧) .

ولما اعتزل دانيال بلس ادارة الكلية عام ١٩٠٢ ، وقد بلغ يومذاك ثمانين عاماً (٨) ،  
خلفه ابنه هوارد بلس .

### هوارد بلس

ولد هوارد بلس عام ١٨٦٠ في سوق الغرب بجبيل لبنان (٩) ، ولكنه نشأ في الولايات  
المتحدة ، وكان قسيساً راعياً (١٠) . ظل هوارد بلس بعد أن تولى الكلية السورية الانجليزية  
قسيساً مبشرًا ومعلماً مبشراً (١١) . ولقد حضر ، وهو رئيس للكلية ، مؤتمراً لاتحاد  
الطلاب المسيحيين في العالم عقد في كلية روبرت في استانبول عام ١٩١١ ، وحضر معه

(1) Gairdner 27 - 8.

(2) Richter 221.

(3) Penrose 3 9, 309, cf. 5, 13 139, f

(4) cf. Bliss 214 f Gairdner 277-8; Jessup. 274, 298, 737, 818; Richter 74 ,  
220, Bliss (R) 329, Addison 91.

(5) Penrose 46.

(6) ibid. 180, 181.

(7) ibid. 81 f.

(8) cf. Bliss ll, 214-5.

(9) Bliss 130.

(10) Bliss 214-5 (يسه نصارى لبنان : خوري رمية)

(11) Bliss 228.

من الاشخاص (١) الآنسة مريم بارودي ، الدكتور فيليب حتى واخوه حبيب حتى ، الآنسة ماري كساب (مؤسسة المدرسة الأهلية للبنات في بيروت) ، والاستاذ بولص الخوري ، طانيوس سعد (٢) وادوارد نيكولي عبد الدايمه العلمية (ت ١٩٣٧) ..

أما غاية هذا المؤتمر فهي مثبتة على الصفحة الأولى من المتن (٣) : أنها توحيد حركات الطلاب المسيحيين ومنظماتهم في العالم ... وجمع المعلومات المتعلقة بالاحوال الدينية للطلاب في كل العالم ... وقيادة الطلاب حتى يصبحوا تباعاً ليسوع المسيح على انه مخلصهم الوجيد وربهم ... ثم خص جهود الطلاب للتعاون على مد مملكة المسيح في جميع العالم ... وعلى الاخص في البلدان غير المسيحية . ولقد تكلم في هذا المؤتمر هوارد بلس نفسه (ص ١٣١ - ١٣٨) والدكتور فيليب حتى (ص ٢٢٩ - ٢٣٠) .

### بيان ضودج

ولما توفي هوارد بلس عام ١٩٢٠ بقيت الجامعة الاميركية في بيروت بلا رئيس اصيل حتى عام ١٩٢٣ حين عين لها بيارد ضودج .  
كان بيارد ضودج في الأصل تلميذ لاهوت ثم نال شهادة دكتور في اللاهوت (٤) ، ولقد بقى سبع سنوات رئيساً مساعدأً لجمعية الشبان المسيحيين (١٩١٣ - ١٩٢٠) ، ومع ذلك فإنه لم يتسامح في ان يصبح احدنا الدكتور مصطفى خالدي رئيساً لجمعية الشبان المسلمين في بيروت وأن يظل في الوقت نفسه استاذآً في الجامعة . ولقد صارحه ضودج بأن جهوده في سهل فلسطين وفي سهل الشبان المسلمين لا يمكن أن ترضي عنها الجامعة . ولم يكن من المقبول أن يتخل الدكتور مصطفى خالدي عن خدمة اجتماعية ، في رئاسة الشبان المسلمين والشبابات المسلمات ، تشبه الخدمة الاجتماعية (٥) التي يقوم بها بيارد ضودج نفسه في رئاسة جمعية الشبان المسيحية (٦) ! وكذلك لم يكن من المقبول أن يتخل الدكتور مصطفى خالدي عن الاهتمام بقضية فلسطين وهي القضية التي كان يهتم بها الرئيس ضودج نفسه .

(١) World Student Christian Federation 5, cf. 236 f.

(٢) كما في الاصل : ولعنه (القس) طانيوس سعد مؤسس مدرسة الشويفات الوطنية (ت ١٩٥٣).

(٣) World Student Christian Christian Federation 5 cf. 6 f.

(٤) cf. Penrose 304 ff.

(٥) تخل الدكتور مصطفى خالدي عن الرئاسة في جمعية الشبان المسلمين والشبابات المسلمات فيما بعد للانصراف الى رئاسة مدرسة التمريض الوطنية التي انشأها هو ، والشهر على المستشفى الذي اسسه .

(٦) Penrose 204.

وهكذا فضل الدكتور مصطفى خالدي ان يعتزل التدريس في الجامعة .  
ولا ريب في أن شعور الطلاب بالتبشير المكشوف كان قليلاً جداً في رئاسة الدكتور  
بيارد ضودج ، وذلك لسبعين اثنين : اوهما بلا ريب أن شخصية الرئيس بيارد ضودج  
لم تكن شخصية مهاجمة قهارة ، كالذى يروى عن دانيال بلس مثلاً . وكان في الرئيس ضودج  
تسامح كبير ، إلا أنها نعلم ان في الجامعة وللجامعة انساناً كان الرئيس ضودج مضطراً إلى  
تنفيذ رغباتهم : ثم إن الجامعة لم تتخلى بعد عن سياسة التبشير فقط . وبكيفنا دليل واحد  
على ذلك : ان الجامعة قد استغنت عن العدد الأكبر من المدرسين المسلمين في رئاسة  
الرئيس ضودج ، وان النشاط اليهودي كان في أيامه كبيراً . وإذا نحن رجعنا إلى المساعدات  
المالية التي تعطىها الجامعة رأينا قسماً منها بلا ريب خاصاً بأفراد مسلمين او بمؤسسات  
تساعد أفراداً مسلمين ، ولكننا اذا نظرنا إلى (المساعدات المنظمة) نراها شيئاً آخر .

وثاني السبعين ان اليقظة العربية تطورت تطوراً كبيراً في مدة رئاسة الدكتور ضودج  
(١٩٢٣ - ١٩٤٧) ، فمن الثورة السورية إلى قضايا فلسطين إلى استقلال البلاد العربية  
إلى ولادة جامعة الدول العربية ، كل ذلك غير العالم العربي حتى أصبحت كل سياسة  
تبشيرية مكشوفة بجانبه تدعوا إلى كثير من الاستغراب .

على ان هذا كله لا ينسينا الاعمال العظيمة التي عملتها جامعة بيروت الأميركية ، ولا  
الرجال الذين ثرثهم في العالم نجوماً للسارين وشهباً للظالمين المستبدين وعلماء وأدباء ،  
ولتكنا كما نحب ان لو كانت هذه الاعمال خالصة من غاية لم يبق لها اليوم قيمة في عالم  
العقل والقومية .

### ستيفن بنروز

والدكتور بيارد ضودج لم يكن قليل الذكاء ، ولكن القصة التي يرويها عنه ستيفن  
بنروز (١) ، الرئيس السابق للجامعة الأميركي في بيروت ، بعيدة عن المقبول . قال بنروز :  
كان الدكتور ضودج كثيراً ما يروي انه رأى مرة في القطار الكهربائي في بيروت  
رجلًا مسلماً مسنًا يحاول أن يصل إلى . كان هذا الرجل المسن لا يكاد يوجّه نفسه في وقوفه  
نحو مكة (القبيلة) حتى يكون القطار قد دار حول منعطف في الشارع فيضطر المسكين  
إلى أن يصحح اتجاهه . وقبل أن يمضي وقت طوبل كان هذا المسكين قد اضطرب تماماً

وأخذ ينظر الى الراكيين بذلة وانكسار كأنه يطلب منهم معونة لا يستطيعون ان يسلوها اليه . ان هذا الرجل (والكلام للدكتور ضودج ، كما يزعم بروز ) كان يمثل الصعوبة التي تواجهها التقاليد الاسلامية في عصر يتبدل بسرعة لا تصدق ١ .

واستغربت انا (١) هذه القصة يرويها الدكتور ضودج لاني أعرفه معرفة تامة ، فلقد كان يعلمنا « دروس الاخلاق » في الدائرة الاستعدادية ، قبل ان يصبح رئيساً الجامعية . من أجل ذلك كتبت الى بروز اسئلته اذا كان قد نقل هذه الحكایة من كتاب مطبوع او انه سمعها سمعاً فقط . فتلقيت من بروز الرسالة التالية (أنقلها اولاً) الى اللغة العربية ثم اثبتها بنصها الانكليزي مصوراً بالزنگوغراف .

الجامعة الاميركية في بيروت والكلية الثانوية

دائرة الرئيس

١٩٥٢ ايار

الدكتور عمر فروخ

ص . ب . ٩٤١

بيروت ، لبنان

عزيزي الدكتور فروخ :

تلقيت رسالتك المورخة في ١٢ ايار تسانني عن قول استشهدت به في كتابي « كيما تكون لهم الحياة ». ان هذا القول قد اخذته من طريق السماع . والذي اذكره انه سمعت الرئيس ضودج يقوله في خطاب له ، ولكنني لا أذكر مني كان ذلك ولا اين كان .  
المخلص لك كثيراً

الامضاء : ستيفن ب . ل . بروز

الرئيس

(١) الكلام هنا للدكتور عمر فروخ .

American University of Beirut  
AND INDEPENDENT COLLEGE

لارنكا

May 13, 1952

Dr. Oscar A. Parrish  
P. O. Box 941  
Beirut, Lebanon

Dear Dr. Parrish:

I have your letter of May 12 asking about the quotation  
from my book "That They May Have Liberty". This quotation was  
made from memory. It is my recollection that I heard President  
Dodge say it in a speech, but I don't remember when it was or  
where.

Very sincerely yours,

S. M. Rasmussen  
Secretary to the President  
President

SCM:JLH

ان مثل هذه القصة ، قصة المسلم العجوز الذي يصلى في حافلة القطار الكهربائي ، لا يمكن ان تجده الا رواياً اميركياً . والذين يعرفون بيروت والقطار الكهربائي في بيروت ويرون المسلمين في الشوارع يستطيعون ان يدركوا الى اي حد بلغ الخيال باوضاع هذه القصة . اما نحن فستغرب ان يشتراك رئيسان لاعظم جامعة في الشرق الادنى في رواية مثل هذه القصة التي لا يمكن ان تكون الا سخيفة . نقول هذا بقطع النظر عن انها بعيدة عن الحقيقة ، وخصوصاً اذا قبلنا ان تكون منسوبة الى الدكتور بيارد ضودج الذي قضي في الشرق خمسة وثلاثين عاماً ، ودرس اللغة العربية والذين الاسلامي على العلامة الشيخ احمد عمر المحمصاني ، تلميذه المصلح الكبير الشيخ محمد عبده (رحمهما الله) . على انتا نحب ان تقول رأينا في هذه الحادثة .

ان اغلب الظن ان الدكتور بنروز قد اختلق هذه القصة رأساً من أساسها ، بعد أن دله مبشر جاهل على المسألة الفقهية المتعلقة بها ، او أنه هو قد قرأ هذه المسألة الفقهية

ولكن لم يفهمها :

« في الفقه الاسلامي ، ان المسلم اذا كان سائراً (على جمل او في واسطة اخرى للنقل وأراد الصلاة ثم اتجه الى القبلة ، فإنه يلزم اتجاهه هذا مهما تبدل اتجاه الواسطة التي يستعملها ». ان الذين يأتون الى الشرق ليعلمونا يجب أن يكونوا هم أنفسهم أكثر علمًا منا ، او يجب ألا يتعرضوا لما لا يعرفون على الأقل ! وبعد ، فأي وزن لحادثة يذكرها المؤرخ او العالم الاجتماعي اذا كان لا يعرف اين وجدها ولا متى سمعها . ولكن المستر بروز اختلق القصة ثم جعل يزعم ، بالاستناد اليها ، ان المسلمين متاخرون جهله اغبياء ! على ان المستر بروز ليس ملاماً لأنّه صرّح في كتابه بأنّ الغاية الأولى من تأسيس الجامعة لم يكن تعليم العلم وبث الأخلاق الحميدة ، بل نشر المذهب البروتستانتي . ولكن لعله نسي ان الجامعة قد أعلنت منذ مدة طويلة أنها غيرت سياستها هذه !

وهنا نحب ان نشير الى ان القائمين على امر الجامعة الاميركية في بيروت لم يكتفوا ، من أول امرهم ، بأن يكون رئيس هذه المؤسسة مبشرًا ، بل اصرروا على ان يكون جميع المدرسين فيها مبشرين . ان الدكتور جورج بوست جاء الى الشرق الادنى مبشرًا كرملاته ثم ذهب الى طرابلس عام ١٨٦٣ كطبيب مبشر (١) . وكذلك كان كورنيليوس فانديك ، وابنه هنري فانديك ، ويوحنا وربات كلهم أطباء مبشرين (٢) .

وكان على هؤلاء المدرسين ان يوقعوا يميناً يقسمون فيها بأن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد ، هو التبشير ، ولم يقبل منهم أن يكونوا نصارى بروتستانتيين فقط ، بل وجب ان يكونوا مبشرين ايضاً (٣) . ومع الأيام ألغت الجامعة توقيع هذه اليمين ، ولكنها لم تلغ موادها .

وكانت الجامعة تحرص على أن يظهر جميع اساتذتها بمظهر المبشرين ثم تحملهم على ان يحضروا المؤتمرات التبشيرية . ولعل المرحوم الاستاذ بولص الخولي لم يعن بالتبشير - مما نعرفه نحن - ولكنه حمل بلا ريب هو والدكتور فيليب حتى على ان يحضر مؤتمر استانبول مع الدكتور هوارد بلس عام ١٩١١ ، تكريماً للاسماء الوطنية .

ومع ان الجامعة الاميركية لم تعلن سياستها التبشيرية في مطلع حياتها خوفاً من ان يغلقها العثمانيون ، فأنه لم تأل جهداً في التبشير في كل درس . حتى في السروس التي لا

(1) Penrose 39.

(2) ibid. 8, 36, 37 etc.

(3) ibid. 83 f.

صلة خاصة بينها وبين الدين ، كانت المبادئ المسيحية موضع تأكيد وتزيين كلما سُنحت لذلك فرصة . فمن أمثل ذلك مثلاً أن درس اللغة الانكليزية كان يستغل في نقل نصوص التوراة الانكليزية إلى اللغة العربية . وفي هذه الأثناء كان الاستاذ ينتقل إلى مناقشة المشاكل الدينية ، من الزاوية التبشيرية طبعاً (١) .

وهذا أمر غير مستغرب في المدارس التبشيرية . لقد قرر مؤتمر القدس المنعقد عام ١٩٣٥ ان يستغل كل درس في سبيل تأويل مسيحي لفروع العلوم كال التاريخ وعلم النبات الخ (٢) ومع ان الجامعة الاميركية ، كما يقول بروز ، لم تفكّر بأن تفرض المذهب البروتستانتي على طلابها فرضاً ، فأنها كانت تستغل كل فرصة سانحة ليعرف أولئك الطلاب الحقيقة كما تريدها النصرانية البروتستانتية . وكان الدخول إلى الكنيسة فرضاً على كل تلميذ (٣) . واتفق في عام ١٩٠٩ ان اجتمع الطلبة المسلمين على اجبارهم على الدخول إلى الكنيسة فاجتمعت عمدة الجامعة المؤقرة وأصدرت منشوراً طويلاً جداً ، جاء في مادته الرابعة ما يلي (٤) :

ان هذه كلية مسيحية ، أُسست بأموال شعب مسيحي : هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الابنية ، وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه ، ولا يمكن للمؤسسة ان تستمر اذا لم يستدعاها هؤلاء . وكل هذا قد فعله هؤلاء ليجدوا تعليماً يكون الانجيل من مواده ، فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ ... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ ... وإن كل طالب يدخل إلى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه .

وكان هذا التهديد المجرد من الذوق والروح العلمية كافياً لأن يعلن الطلاب الضرر . إلا ان العمدة تصبّت في ظاهر أمرها ، فترك ثمانية طلاب العلم في المؤسسة المتعصبة (٥) . ولم تتأخر الكلية عن أن تعلن بلسان مجلس الأمناء ان الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني ولا لبث الأخلاق الحميدة (كذا) ، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة ، وأن تكون مركزاً للنور المسيحي وللتأثير المسيحي ، وأن تخرج بذلك

(١) Penceose 46.

(٢) Danby 31 etc.

(٣) Penrose 135 f

(٤) Penrose 137 f ; cf. Bliss (R) 331 ; Jessup 788.

(٥) cf. Penrose 137. f. ; Bliss (R) 331 ; 788.

(٨)

على الناس وتصييم به (١) .

الا ان الروح الحرة لم تثبت ان انتصرت فتابت الجامعة الاميركية الى نفسها ورأى ، ولو بعد حين ، وجه الصواب فتنازلت حينئذ عن رأيها الذي لم يكن من العلم في شيء ، ولا من الحرية في شيء ، ولا من الانسانية في شيء .

لقد شاهدت الجامعة الاميركية يقطة العرب على هذا التراب الظاهر في الشرق الادنى ، وشاهدت جميع الشرقيين والعرب يتوجهون أتواجداً نحو هيكل العلم النبيل ، في افق يسع المشرق والمغرب ويسع الأديان كلها والألوان جميعها . فأي فضل للجامعة بعد ذلك اذا اعرضت هذا المركب الفخم المهيء لسوق جزءاً منه نحو الكنيسة البروتستانتية ! أما حجتها فكانت أوهى من عملها . أنها احتجت بأن نقرأ من المتولين الاميركيين لا يعيون الجامعة بأموالهم التي جمعوها الا اذا علموا بأنها تزيد عدد البروتستانت في الشرق . وهكذا حكمت الجامعة الاميركية على نفسها بأنها مسؤولة في تيار قوم آخرين ، وأنها مستأجرة لتنفيذ رغبات لا تشرف صاحبها فضلاً عن منفذها .

\*

على ان استغرابنا قد زاد عام ١٩٤٨ ولم ينقص . ان الجامعة الاميركية تعرف بأنها بدأت تبشرية ثم تخلت عن التبشير في عصر القومية الواسعة والتسامح العظيم والتعاون الشامل .

الا ان الدكتور ستيفن بروز - رئيس الجامعة الاميركية السابق . قد أتي ، مما هو ظاهر واضح في كتابه ، بعقلية دانيال بلس لا بعقلية بيارد خودج على الأقل : لقد جاء مبشرًا لا معلماً . ولو انه جاء معلماً لا مبشرًا لأرخ الجامعة الاميركية في بيروت تاريخاً مختلفاً - من حيث الاتجاه والتوجيه على الأقل ، لا من حيث المادة .

ولكتنا نعود فنقول : انا نحن نعرف الجامعة الاميركية ونعرف الرجال العظام الذين نشرتهم في العالم العربي خاصة ، فلا نحكم عليها بما فعل دانيال بلس ولا بما يقول ستيفن بروز . ولكتنا كنا نود ان لو كان الذين توَلّوْ امر الجامعة اصدق في التعبير عن حقيقة انفسهم وابصر بمقام الجامعة الحقيقي .

لما صدر هذا الكتاب أنوار ضجة شديدة في الجامعة الاميركية خاصة . ولقد توجه

الينا عتبان اساسيان ، لا سيما ونحن مؤلفي هذا الكتاب ، من خريجي الجامعة الاميركية .  
اما العتبان فهما :

(١) أثنا حملنا من اللوم على الجامعة الاميركية أكثر مما حملنا على الجامعة اليسوعية مثلاً .  
(٢) أن الجامعة الاميركية نشأت نشأة تبشيرية ، ولكنها اليوم ليست مؤسسة تبشيرية .  
اما العتب الاول ، او الاعتراض الأول على الاصح ، فالزد عليه يسير جداً . ان الكتب التي كتبها المبشرون الاميركان أكثر من تلك التي كتبها المبشرون الفرنسيون . ومن هنا فقط جاء عدد الصفحات التي خصصنا بها الجامعة الاميركية . هذا من ناحية . اما من الناحية الثانية فان المادة التبشيرية التي جمعناها عن اليسوعيين لا تقل من حيث الأهمية ولا من حيث الاذى السياسي الذي نزل ببلادنا عن تلك التي جمعناها عن الاميركان ، بقطع النظر عن عدد الصفحات . وأما العتب الثاني فالكلام عنه اشد تعقيداً .

لا شك في ان سياسة الجامعة الاميركية اليوم تختلف عما كانت عليه في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . ان النظر الى البشير قد تبدل عند المبشرين أنفسهم . فليس بمحظوظ اصدقاؤنا في الجامعة الاميركية في بيروت أن نضع أمامهم الحقائق التالية :

(١) هنالك شاب من صيدا كان طالباً في الجامعة الاميركية في بيروت وتخرج فيها برتبة بكالوريوس علوم عام ١٩٤٣ ، وقد صباً هذا الطالب الى النصرانية في أثناء وجوده تلميذاً في الدائرة العلمية . هنالك شاب آخر من جنوب لبنان كات طالباً في الجامعة الاميركية تخرج فيها برتبة بكالوريوس علوم ١٩٤٤ وبرتبة استاذ علوم عام ١٩٤٧ . وكان قد علم في الجامعة الاميركية في بيروت من عام ١٩٤٤ الى العام ١٩٤٧ . ثم انه نال شهادة الدكتوراه عام ١٩٤٩ من جامعة ادنبره . ولقد صباً ايضاً الى النصرانية وهو اليوم استاذ في الجامعة . هذان تلميذان في الجامعة الاميركية في بيروت صباً صنا ! الى النصرانية بالأمس القريب وبين جدران الجامعة ، فقول القائلين بأن الجامعة تركت سياسة التبشير القديمة بين طلابها قول تفوه الشواهد على خلافه .

(٢) ان مفهوم التبشير قد تبدل الآن . في العاشر من تشرين الثاني عام ١٩٥٤ ، وكانت قد بدأت أنا والدكتور خالدي بجمع موادًّا جديدة للطبعة الثانية ، كتبت الى الدكتور بروز رئيس الجامعة الاميركية في بيروت أسأله عما اذا كانت الجامعة الاميركية مؤسسة علمية بحت او ان لها طابعاً علمياً وتبشيرياً معاً . وقد أجابني الدكتور بروز في الثاني عشر من الشهر المذكور جواباً مطولاً قال فيه ان الجامعة الاميركية في بيروت لم تكن

على الحصر مؤسسة «تبشيرية» ، مع ان الارسالية الاميركية البروتستانتية هي التي انشأت تلك الجامعة . ثم قال الدكتور بروز ان جميع رؤساء الجامعة قبله كانوا قساً ، اما هو شخصياً فلم يكن قسيساً ، وان أطروحته لنيل الدكتوراه كانت في الفلسفة ولم تكن في الفقه أو اللاهوت .

اما فيما يتعلق بسؤالي عن الطابع التبشيري للجامعة فقد قال الدكتور بروز في رسالته المذكورة إلى :

«ان الجامعة ... لا تقوم بجهد لتجعل الطلاب يصيرون الى النصرانية ... اتنا على كل حال نهنئ بأن نثير في طلابنا الاهتمام بالأمور التي تتصل بالدين عموماً (لا بدين خاص) ... فإذا كنت تعدد هذا نشاطاً تبشيرياً ، وجب علي ان أقول انا تبشيريون ولكن بهذا المعنى فقط ... »

ثم يقول الدكتور بروز : ان هذه مسألة معقدة ، وأحب ان لو نجتمع لنبحث فيها بتفصيل أوفي . ولكنني أنا لم أجده ضرورة للارتفاع بضربي موعد لكثرة العمل المدرسي في مطلع السنة الدراسية - تشرين الثاني . وجاء أمر الله وتوفي الدكتور بروز في التاسع من كانون الأول من العام ١٩٥٤ نفسه . وحاولت بعد ذلك ان اثير الموضوع مع بعض خلفه فلم أجده عنده قبولاً للخوض فيه . ثم باحثت الاستاذ فؤاد صروف ، نائب رئيس الجامعة الاميركية المولع بالصلات الاجتماعية ، فأكمل اهتمام الجامعة باذكاء الحياة الروحية بين الطلاب . وما يتصل بموضوعنا هنا ان الجامعة الاميركية في بيروت تحضن حركتين متصلتين اليوم بالاستعمار اتصالاً وثيقاً : حلف بغداد (او سياسة العسكري الغربي) ثم الدعوة الى اللغة العالمية مكتوبة بالحروف اللاتينية . أما الدعوة العالمية فالباحث فيها سيأتي في فصل يتلو . وأما سياسة العسكري الغربي فمكان البحث فيها هنا .

«تجمع البلاد العربية ، باستثناء حكومة العراق قبل تأسيس قناة السويس ، على ان سياسة الاحلاف الأجنبية أمر يجلب الأذى على العرب . ولكن الجامعة وأساتذة الجامعة - والمعنى واحد - تقف الى جانب حلف بغداد لأنه اميركي وتسفه رأي خصومه . وقد نشر جورج كيرك ، استاذ الاقتصاد والعلوم السياسية في الجامعة ، مقالاً في مجلة الكلية يسفه فيه رأي العرب - أو مصر خاصة والعرب عامة - لأن العرب لما أيسوا من التسلح من دول الغرب التي سلحت اليهود وتسلح دولتهم اليوم بكل كرم وتعيينها في اعتداءاتها المتكررة على تخوم البلاد العربية ، بدأوا يعقدون صفقات لشراء أسلحة تشيكوسلوفاكية على اسس تجارية بحث . ولكن جورج كيرك ، الاستاذ في الجامعة الاميركية ، نصب

نفسه هازنا بالعرب وبقصر نظرهم في السياسة ، ثم أخذ يهول على العرب بالتتابع الوخيمة التي ستثال العرب من جرأة صفة الأسلحة هذه .

نحن لا نطلب من جورج كيرك ان يتبنى وجهة نظر العرب ولا ان يستيقظ ضميره من هول الجريمة البريطانية الاميركية في فلسطين ، ولكننا كما ننتظر من استاذ في الجامعة الاميركية أن يترك هذا الموضوع للجرائم وألا يغمس هو فيه ويفعم معه الجامعة الاميركية . على ان الجامعة الاميركية ستقول ان جورج كيرك يمثل نفسه ، وهو حر في أن يكتب ما يشاء ولا صلة للجامعة بما كتب . ولكن هذا القول مردود رأساً . ان الجامعة الاميركية لن تسمح لجورج كيرك ، ولا لغيره جورج كيرك ، من اساتذتها ، بأن يشجعوا حلف بغداد او اعمال النقطة الرابعة او اعمال بخنة الااغاثة او ان يدللوها على جريمة الولايات المتحدة في خلق اسرائيل ومدتها بأسباب الحياة ، او أن يكتبا عن همجية الشعب الاميركي في معاملته للأميركيين الزفوج والحرم . ان الجامعة الاميركية ، وان كل مؤسسة كالجامعة الاميركية ، مسؤولة عن رأي اساتذتها في الأمور العامة ، والا فاي ضرورة تبقى لوجودها بعد ذلك ؟

حينما كانت طلاباً كما نتخد القرار بالاضراب السياسي في قلب الجامعة الاميركية ، وكانت المظاهرات تتحرك من الجامعة الاميركية - معقل الوطنية - ثم كان الطلاب يعودون من المظاهرات ويدخلون الى صفوفهم في اليوم التالي كأنهم آتون من عطلة أو راجعون من رحلة او عائدون من مباراة في كرة القدم . وأذكر مرة ان طالباً من ضعاف الاعياد لم بشأ أن يضرب في يوم اضراب فدخل الى الصف . ولكن المعلم الاميركي قال له : اخرج الى رفاقك ، إنه عار عليك أن تدخل الى الصف وهم مضربون . أما اليوم فان الطلاب الذين يضربون يعاقبون ويطردون ، لأن الاضراب اليوم في أكثر الأمور معناه الاستثناء من السياسة الاميركية في الشرق العربي .

#### ٤ - سائر المدارس الاميركية :

ان الكلمة المفصلة التي سبقت في الكلام على الجامعة الاميركية (والكلية السورية الانجليزية سابقاً) تغنينا عن التفصيل في الكلام على المؤسسات التعليمية التي ثرها الاميركيون في بلدان الشرق . وستقتصر في هذا الكتاب على ذكر كلية جيرارد في صيدا في الجمهورية اللبنانية .

نشأت كلية جيرارد ، أو كلية الامير كان في صيداء<sup>(١)</sup> من حاجة تبشيرية خاصة . ان المبشرين الاميركيين كانوا قد أدركوا ، بعد خمس عشرة سنة من التجارب ، ان المخترجين من الكلية السورية الانجليزية في بيروت لا يصلحون لأعمال التبشير في القرى ، ذلك لأنهم يأتون عادة من بيئة بعيدة عن القرى ثم يقضون سني تعليمهم وتدريلهم في بيئة حضرية . من أجل ذلك قرر المبشرون الامريكيون انشاء مدرسة عالية في مكان قريب من البيئة القرورية لاعداد معلمين ومساعدين على التبشير في القرى نفسها<sup>(٢)</sup> .

ومثل هذا يقال في الكليات الاميركية المختلفة في خربوط وعينتاب ومرعش وطرسوس<sup>(٣)</sup> ، وفي طرابلس والقاهرة وحلب وسواها .

## ٥ - كلية غوردن في الخرطوم (الانكليزية) :

ومن اطرف ما يمكن ان يستشهد به هنا موقف المبشر هنري جسب ورأيه<sup>\*</sup> في كلية غوردن في الخرطوم بالسودان المصري .

اسس الانكليز عام ١٩٠٣ كلية في الخرطوم سموها « كلية غوردن » باسم ضابط انكليزي هو تشارلس غوردن ، ويعرف ايضاً باسم غوردن باشا . وكان غوردن قد قُتل في السودان لما استولى المهدى على الخرطوم عام ١٨٨٥ .

عرض المبشر جسب لسياسة الحكومة الانكليزية في هذه المؤسسة فسمها « فضيحة كلية غوردن » ثم قال : ان الحكومة الانكليزية لما قررت فتح هذه الكلية جمعت لها مائة الف جنيه من انكلترا ، ولكنها اغلقتها في وجه التبشير المسيحي . ثم يستغرب جسب كيف ان هذه الكلية تعلم القرآن ولا تعلم التوراة والانجيل ، ثم تفتح أبوابها يوم الاحد وتعطل دروسها يوم الجمعة . بعدها يتبع جسب حملته الشعواء فيقول : وما دام غوردن مسيحياً فيجب ان تكون الكلية التي سميت باسمه تبشيرية مسيحية ، لا ان تكون حجاباً بين السودانيين وبين التوراة<sup>(٤)</sup> .

ان جسب يريد ان تكون المدرسة المسلمة بتلاميذها والمسلمة بالأدارة في بلادها ، لأن

(1) cf. Jessup 313 ; Richter 222.

(2) cf. Bliss 170.

(3) Richter 74.

(4) Jessup 665 - 5.

الحكم في السودان كان انكليزياً مصرياً<sup>(١)</sup> مؤسسة تبشيرية مسيحية ، لأن الرجل الذي تحمل تلك الكلية اسمه كان مسيحيّاً.

## ٦ - المؤسسات الافرنسيّة :

تحتفل المؤسسات الافرنسيّة عن المؤسسات الامريكيّة في أنها تحمل اسمها على ثيابها ، سواء كانت بروتستانتية أم كاثوليكيّة . وقد يجوز لنا ان نستثنى المؤسسات العلمانية التي هم يبسيط السياسة والثقافة الفرنسيتين أكثر من بسط المذهب الكاثوليكي او البروتستانتي . وإذا نحن اقتصرنا في الكلام على مؤسسة واحدة من هذه ، على المؤسسة اليسوعية ، فاننا لا نعدو الصواب لأن هذه المؤسسات كلها توجهه من مكان واحد ، من رومية ، ومن فرنسه احياناً : توجه توجيهها دينياً من رومية وتوجيهها سياسياً من فرنسه .

كانت سوريا على الأخص ميداناً للسباق بين البروتستانط الاميركيين وبين اليسوعيين ذوي اللون الافرنسي . ويظهر ان اليسوعيين بدأوا يتربون الى سوريا منذ القرن الثامن عشر حينما انشأوا مدرسة عينطورة في مقاطعة كسروان في جبل لبنان في عام ١٧٣٤ ثم تخلوا عنها للرهبان العازريين . وبعد مائة عام ، بعد حملة ابراهيم باشا على سوريا ، عاد اليسوعيون الى سوريا بنشاط جديـد ، وأخذـوا ينافـسون البروتستانت منافـسة شـديدة<sup>(٢)</sup> . ولقد اهتم اليسوعيون في اول امرهم بالتعليم الـديـني لاعتقادـهم أـنـهم اذا سـيـطـروا عـلـى رـجـالـ الـدـينـ الـمـسـيـحـيـيـنـ ، باعـدادـهـمـ فيـ مـدارـسـهـمـ هـمـ ، اـسـطـاعـواـ انـ يـسـيـطـرواـ عـلـىـ القرـىـ الـنـصـارـائـيـةـ كلـهـاـ<sup>(٣)</sup> . وـكـانـ الـاسـتـعـمـارـ فـيـ التـعـلـيمـ الـيـسـوـعـيـ ظـاهـراـ غـيـرـ مـسـتـرـ ، كـمـاـ كـانـ عـنـدـ مـنـافـسـيـهـمـ . ولـذـلـكـ بـنـواـ بـرـنـامـجـ مـدارـسـهـمـ مـنـذـ ٦٤ـ عـلـىـ الـبـرـنـامـجـ الـفـرـنـسـيـ رـأـسـاـ مـعـ اـضـافـةـ درـوسـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ<sup>(٤)</sup> . ولـقـدـ بـسـطـ هـوـلـاـ عـاـيـتـهـمـ مـنـ ذـلـكـ فـقـالـوـاـ : انـ الـيـسـوـعـيـيـنـ الـمـشـرـنـيـنـ يـرـيدـونـ انـ يـقـدـمـواـ عـلـىـ تـلـامـيـذـهـمـ الـنـصـارـائـيـ الـعـلـمـ مـعـ التـعـلـيمـ ، وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ يـرـيدـونـ انـ يـجـعـلـوـهـمـ يـعـرـفـونـ فـرـنـسـةـ وـيـحـبـونـهـاـ<sup>(٥)</sup> .

(١) ان التقارب الاخير (١٩٥٢) بين مصر والسودان يدل دلالة واضحة على ان المبشرين كانوا ، حتى في عام ١٩٠٣ ، يخظرون فهم الصلات بين مصر والسودان ، وبين السودان والتبشير ايضاً . وفي ١٩٥٦ أقيمت المدارس التبشيرية في مصر والسودان وطلب اليها ، اذا كانت تريد ان تستقر في هذين البلدين ، ان تتقييد بانظمة الحكومتين وبمنهاجهما .

(2) Bliss (R) 328-329 and footnote 3.

(3) Les Jesuites en Syrie 1 : 7 - 12.

(4) ibid. 1:9.

(5) ibid. 2 : 8.

ولقد كان اليسوعيون قد اختاروا بلدة غزير للتعليم ، لما كان منافسوهم قد اختاروا بلدة عبيه للغاية عينها . فلما انتقل الامريكيون الى بيروت لم تبق غزير في رأي اليسوعيين المركز الذي يمكن الكاثوليك من الدفاع عن عقائدهم في ميدان العلم والتعليم ، ولذلك عزموا على نقل كليةهم من غزير الى بيروت ايضاً (١) . ونعم اليسوعيون في القرن الأخير بامتيازات لم تتوفر للأميركيين . اجل ، ان الانداب قد رفع الرقاقة عن اعمال الاميركيين وترك لهم الحرية في نشاطهم الديني ، ولكن الانداب نفسه قد سخر جبوشه ورجاله لخدمة اليسوعيين . قال اليسوعيون :

« كان المبشرون اليسوعيون في اول امرهم (قبل الانداب الافرنسي على سوريا) ينشئون المدارس في جبل الدروز ثم يغلقونها اذا قصرت مواردهم الاقتصادية عن ادارتها . ولكن التعليم (التبشيري) اليوم – اي بعد الانداب – وخصوصاً في جبل الدروز يقوم على تعاون وثيق بين المبشرين وبين السلطات العامة (٢) .

ولا نحب هنا ان ننهي في الكلام على المؤسسات اليسوعية ولا المؤسسات الشبيهة بها ، فالغالبيات اليسوعية معروفة . ولكن الغريب ان اليسوعيين لا يزالون في لبنان وحده قوة تحدي كل اصلاح في التعليم الرسسي . الا أن هذا الكتاب ليس موصعاً لبحث ذلك .

علينا ان نقتدي بأمم الغرب التي لم تستطع بلادها ان تسير في معارج الاستقلال والرقي الا بعد ان وضعت اليسوعيين خارج حدودها : يجب ان نتعلم من غيرنا ما ننفع به أنفسنا .

لقد تعرّف الشرق في حياته السياسية والقومية لأن المدارس الأجنبية المختلفة قد فرقت ابناء الوطن الواحد طرائق مختلفة فشتت اهدافهم وباعدلت بين الطرق الى تلك الأهداف . ان التعليم قوة توجيهية عظيمة ، فلا يجوز ان تكون في أيدي أجنبية تلعب بها وتستغلها لمارب وأغراض أجنبية .

ان التعليم الوطني الموحد ، ولو كان ناقصاً بعض النقص ، افضل من التعليم الأجنبي المتنافر ، ولو كان كاملاً كل الكمال .

(1) ibid 5 : 8.

(2) ibid 10 : 65.

## الفصل الخامس

### السياسة طريق التبشير

#### (١) تعاون التبشير والسياسة

•

لقد خابت الجمعيات التبشيرية في جهودها الفردية بين المسلمين : لقد تبين لهذه الجمعيات ، لأسباب كثيرة ، ان انتقال المسلم من الاسلام الى النصرانية قد يتم في العام بعد العام . وهذا يعني ان الجنود التي يبذلونها لا تتناسب مع النتائج التي يجذبونها ، فيجب البحث اذن عن طريق اشد تأثيراً و اكثر عائدة .

اما الأسباب الحقيقة التي تصرف المسلم عن هذا الانتقال – كما ذكرها المبشرون انفسهم – فلن نعرض لها ، ذلك لأنها تثير مشكلة عظيمة بين مواطنين في الشرق يعيشون على الأخوة والوداد ، وهذا ابعد شيء عن غايتنا في هذا الكتاب . ان لكتابنا هدفاً واحداً: نحن نريد ان نبرهن على ان رجال الدين الأجانب هم المسؤولون عن نكبات الشرق السياسية والخلقية ، وعن الفتن التي كانت تثور بين أهل الأديان والمذاهب ، وان أهل الوطن الواحد على اختلاف اديانهم ومذاهبهم كانوا دائمآ صحيحاً بربته .

ولما رأى المبشرون ان الجنود الفردية في نشر المذاهب المسيحية الغربية في الشرق وبين المسلمين خاصة ، قليل الجنود تلفتوا ، منذ زمن قديم جداً ، الى سبل احسن تمهدآ و اشد تأثيراً فلتجدوا الى حكمائهم . وبعد ان رضي المبشرون ان يجعلوا انفسهم والدين آلة طيبة في يد دولهم ، انهارت تلك الدول هذه الفرصة وجعلت تساعد المبشرين . الا أنها في الحقيقة كانت تسعى الى اهدافها السياسية والاقتصادية الخاصة باستغلال المبشرين والدين .

والمدارس الافرنسية ، مدارس الأخوان النصارى (الفرير) والمدارس اليسوعية وما يتصل بها كلها من مدارس الراهبات وسوها ، مشاكل خاصة ليست مدارس

الاميركيين والانكليز في الشرق . ان المدارس الافرنسية تتبع سياسة واحدة دائمة وقيادة واحدة في الاكثر . هذه المدارس الافرنسية لا تسعى الى استغلال النشاط القومي في تعليم اهل البلاد ولا هي تسعى الى ابراز الخصائص الوطنية حيث تفتح أبوابها لابناء البلاد التي تكون فيها ، ولكنها تجهد في ان تجعل من ابناء البلاد الذين تعلّمهم ، سواء أكانت تلك البلاد مراكش او مصر او ايران او الهند الصينية ، اشباعاً لأبناء فرنسة نفسها في المظهر واللغة واسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المسعمرة .

وللمدارس الافرنسية المذكورة منهاج خاص موحد تسير عليه مصنوع في غير البلاد التي تقوم فيها . انه منهاج افرنسي استعماري في كل شيء . من المشهور ان طلاب المدارس الفرنسية يعروفون جغرافية فرنسة وتاريخها بتفصيل اوفى من التفصيل الذي يعروفون به بلادهم . انهم يعروفون هضاب فرنسة وروافد أنهارها ويعرفون مفردات الصادرات منها والواردات اليها معرفة دقيقة ، ثم هم يقرأون من تاريخ فرنسة ما لا يقرأون من تاريخ بلادهم . و اذا نحن استعرضنا الكتب التي تدرس في تلك المدارس ألقيناها الكتب التي تدرس في فرنسة نفسها . تلك كانت الحال ايضاً في لبنان قبل زوال الانتداب الافرنسي . ومع ذلك فان هنالك جهوداً كثيرة مبذولة اليوم للمحيلولة دون تبديل تلك السياسة . ان في لبنان اليوم معركة حامية الوطيس حول تبديل المناهج وتعديلها وحول رقابة الحكومة اللبنانية على ميزانيات تلك المدارس وعلى دخول المفتشين اللبنانيين اليها . ولو لا ان في تلك المدارس نفراً من المدرسين الوطنيين الذين امتلأت صدورهم بالعزيمة الوطنية ( لأن عدداً كبيراً من المدرسين في تلك المدارس من الرهبان الأجانب او من الأجانب غير الرهبان ) لما أمكن أن ينشأ في لبنان تعاون بين أساتذة المدارس المختلفة في سبيل المعلم اللبناني وفي سبيل خير التعليم في لبنان .

### الحروب الصليبية

من الأمور التي أصبحت معروفة في أسباب الحروب الصليبية ان تلك الأسباب كانت في ظاهرها دينية ، غايتها تخلص بيت المقدس من يد المسلمين ، بينما كانت في حقيقتها سبيلاً للسيطرة على الشرق الاسلامي بما فيه من خيرات اقتصادية ومراتز حرية . وأوجز رشر القضية فقال (١) : « جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض

المقدسة من أيدي المسلمين المتعصبين ، فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك اروع العهود في العصور الوسطى كلها ... ولكن ذلك الجهد قد خاب ، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سلود عنيدة من التعصب الاسلامي » .

ولكن غاردنر ولطفي ليغونيان قد كشفا عن حقيقة القضية ستاراً آخر ، فقد قال غاردنر (١) : « لقد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من ايدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الاسلامي .. والحروب الصليبية لم تكن لاقناد هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الاسلام . » أما ليغونيان فيرى (٢) ، وهو على حق ، ان الحروب الصليبية كانت أعظم مأساة نزلت بالصلات بين المسلمين والتنصارى في الشرق الأدنى . لقد أحب الصليبيون أن ينزعوا القدس من ايدي المسلمين بالسيف ليقيموا للمسيح مملكة في هذا العالم . انهم لم يستطيعوا أن يقيموا تلك المملكة ، ولكنهم تركوا بعد هدم العداوة والبغضاء .

خابت دول اوروبية في الحروب الصليبية الاولى من طريق السيف فأرادت ان تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة من طريق التبشير ، فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات ، وفرقت المبشرين في العالم (٣) . وهكذا تبنت الدول حركة التبشير لما رأها السياسة ومطامعها الاقتصادية . ولقد استطاع رامون لل في عام ١٢٩٩ وعام ١٣٠٠ للميلاد أن يحصل على إذن من الملك يعقوب صاحب ارغونة ليشر في مساجد برشلونة محتمياً بالسلطة المسيحية في اسبانيا (٤) .

ووجهت الكنيسة زمناً طويلاً لتصوير المغول . فلما اعتنق المغول الاسلام من تلقاء أنفسهم زال أمل كبير من آمال الدول الغربية للسيطرة على الشرق من طريق الدين (٥) . من أجل ذلك كانت جميع الحروب الاوروبية التي شنت فيما بعد على الدولة العثمانية حروباً دينية صليبية في أساسها (٦) . ثم ان هذه العقلية الدينية استمرت الى العصور الحديثة على الرغم من جميع أوجه التقدم الانساني والتطور العقلي في البشر . لم يخجل اليهوديون من معاملة هذه النقطة باسلوب زاهي لامع . انهم قالو (٧) : « ألم نكن نحن ورثة الصليبيين ، أو لم فرجع تحت راية الصليب لستائف التسرب التبشيري والتدين المسيحي ولنعمد ، في ظل

(1) Gairdner 9, 221.

(2) Levonian 124,

(3) Richter 14.

(4) Addison 46

(5) Addison 59.

(6) Richter 21.

(7) Le Jesuites en Syrie 10 : 8.

العلم الفرنسي وباسم الكنيسة ، مملكة المسيح ؟ ٤ .  
لم يكن لنا بد من ذكر هذه الفقرات تمهيداً للبحث الم قبل ، ولقد اجترأنا بهذه فقط  
تجنباً لكل أثاره مما تحفل به كتب المبشرين وكتب نقر من المستشرقين والمؤرخين من  
الغربيين .

### التبشير والتغوفل الوجعي

لقد كانت تركبة على حق حينما بدأت ، منذ أمد ، ترتيب في حركات التبشير في  
امبراطوريتها ، ولا غرو فالمبشر يسبق الجيش الى كل مكان . ولذلك أخذت تركبة تراقب  
المبشرين مراقبة دقيقة حتى تضيق عليهم (١) . وكان الأتراك يرتابون خاصة بالمبشرين  
البروتستانت ، لأن هؤلاء كانوا يتوارون وراء العلم البريطاني في الأكثر (٢) ، وبالمبشرين  
اليسوعيين لأنهم يعملون السياسة الفرنسية أيضاً . وكذلك لما شعبت مطاعم الدول في شبه  
جزيرة العرب جعلت تركبة تحول بين المبشرين وبين بلاد العرب (٣) ، كما أنها كانت  
تقاوم المبشرين في البلاد التركية نفسها (٤) . ثم وقفت من المبشرين كلهم موقفاً حازماً  
فالقت في سبيلهم العاقيل وعزمت على الا يصيروا مجاحداً . وهكذا أصبح التبشير بين  
المسلمين في الامبراطورية العثمانية كلها مستحيلاً ، للرقابة الشديدة التي فرضتها الحكومة  
على المبشرين . وبعد أن فتحت الجمعية التبشيرية بضم مدارس (في لبنان) لأطفال الدروز  
نحو عام ١٨٧٥ اضطررت الى التخلّي عنها أمام حزم الحكومة العثمانية وسهرها (٥) .

على أن الحكومة العثمانية لم تستطع أن تتخذ سياسة علنية تجاه المبشرين ، ذلك لأن  
هؤلاء كانوا يأتون في الظاهر كرعايا انكلترا او اميركيين او دانمركيين او فرنسيين . فإذا  
استقروا في البلاد أخذوا يقومون بالتبشير سراً ما امكنهم . ولذلك كان هؤلاء كلما وجدوا  
مراقبة وسهرآ من الدولة العثمانية بحاؤا الى قنائلهم ، وكان القنائل يدافعون عنهم كرعايا  
أجانب في الظاهر ايضاً . ففي آب من عام ١٨٤١ حينما ارادت الدول الاجنبية ان تخرج  
ابراهيم باشا من سوريا بالقوة وعزمت على ضرب بيروت من البحر ، ارسلت الولايات  
المتحدة سفينة حربية صغيرة اسمها سيان (٦) حملت على ظهرها المبشرين الى لارنقا في

(١) Jessup 625 et passim.

(٢) cf. Bliss (R) 319.

(٣) Jessup 642.

(٤) Addison 107 ff.

(٥) Richter 239 , 249 .

(٦) Cyane .

جزيرة قبرس . وبعد ان انتهى ضرب بيروت وخرج ابراهيم باشا من سوريا اعادت الولايات المتحدة بشرتها الى اماكنهم السابقة في تشرين الأول من السنة نفسها (٧) .

ولما ادركت الدول الاوروبية ان المبشرين آلة فعالة لتأييد التفوذ الاجنبي في الامبراطورية العثمانية أخذت تلك الدول تبارى في استخدام المبشرين ، وكان الدور الأول في ذلك للسياسة الانكليزية (٨) . ويظهر ان انكلترة لم تكن ترهب نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الاسلامي ، كما كانت ترهب التفوذين الافرنسي والبريطاني فيه (٩) .

ولما فقدت تركية امبراطوريتها لم تفقد سياستها الحكيمة تجاه المبشرين ، فقد ظلت تمنع الاطفال من دخول مدارس المبشرين قبل أن ينهوا التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية . ثم هي كانت توجب أن يكون التعليم الديني في تلك المدارس قاصراً على المسيحيين وحدهم . أما الآن فمدارس التبشير قد ذالت من تركية ومن سوريا أيضاً ومن مصر والسودان .

ولما بدأت الامبراطورية العثمانية تضعف مع الأيام أخذت الدول الأجنبية تزيد في تظاهرها بدعم المبشرين . ولقد كان المبشرون يطلبون من دولهم أن توّدّهم ، ولو كان هذا التأييد خالقاً للعرف الدولي . إن للولايات المتحدة شرعة تسمى شرعة موافر وتنص على ان دول نصف الكرة الشرقي (آسيا واوروبا وافريقيا) لا يجوز لها ان تتدخل في شؤون نصف الكرة الغربي (اميركا الشمالية واميركا الجنوبيّة) . وكذلك لا يجوز للولايات المتحدة ان تتدخل في شؤون الدول الواقعة في النصف الشرقي من الكرة الأرضية ما لم تتعرض المصالح الاميركية للضياع (٥) . ولكن المبشرين الاميركيين كانوا يودون من الولايات المتحدة ان تخالف شرعة موافر في سبيل التبشير (٦) .

### **السلط السياسي الاجنبي بحسب المبشرين**

وليس من المستغرب ان تستجيب الدول الغربية لرغبة بشرتها ، أليس في ذلك تأييد لشنوف السياسي ؟ من أجل ذلك كانت هذه الدول تضغط على الدولة العثمانية بين حين

(1) Jessup 59, 60.

(2) Re - Thinking Missions 165

(3) Re - Thinking Missions 164-5 : Jessup 22.

(4) Addison 108 f.

(5) Carlton J. H. Hayes, A Political History of Modern Europe, vol II, N. Y. 1924 pp. 225-6 etc.

(6) Bury 184, 186.

تستغل ضعف تركيبة السياسي لتحمي المبشرين في اعمال التنصير ، مع ان الولايات المتحدة مثلاً لا يمكن أن تسمح لمدرسة أن تستقبل الطلاب الاميركيين بلا رخصة ثم تلقنهم فوق ذلك ما يخالف المبادئ الاميركية .

ولما صعب على المبشرين البروتستانت الوصول الى المسلمين التفتوا الى الارثوذكس والأرمن . حيثند بحاجة بطريرك الأرمن الى الباب العالي ، فحرص الباب العالي على ان يحمي الأرمن من المبشرين البروتستانت . فتدخل السفير البريطاني السير ستراورڈ كاننج (١) ثم ما زال يسعى حتى استطاع عام ١٨٥٠ ان يحصل على فرمان يعترف بوجود طائفة بروتستانتية وطنية منحت من الحقوق ما يتمتع به الارثوذكس والأرمن في الامبراطورية العثمانية (٢) . ومعنى هذا ان المبشرين البروتستانت أصبحوا يعملون من وراء ستار الطائفة البروتستانتية الوطنية فلا تستطيع الدولة حيثند أن تعد البروتستانت اجانب فتحاول أن تكسر نشاطهم ، أو أن تمنعهم من العمل جهاراً أيضاً .

ومن الأدلة القاطعة على ان حماية المبشرين كانت تحمل طابعاً سياسياً لا دينياً ان المستر اوسكار ستراوس ، وزير الولايات المتحدة المفوض في تركية ، كان يهودياً . ومع ذلك فإنه كان يساعد المبشرين النصارى ويقول : « أنا أمريكي في الدرجة الأولى ثم أنا يهودي » . ولما سحبته الولايات المتحدة من استانبول اسف المبشرون لذلك (٤) .

### الجنبة الوجهية

اما اذا اتفق ان اعتنق رجل النصرانية او انتقل الى المذهب البروتستانتي فكان القناصل والرجال السياسيون الاجانب يأخذونه تحت جناحهم علناً ويندخلون في كل صغيرة وكبيرة من أجله حتى في الأمور الداخلية البحث (٥) . ولقد اشتهر ذلك عنهم :

لما انضم يوسف كرم جاء فلاح من رجاله الى المبشر الاميركي هنري جسب وأفضى اليه بأنه يريد ان « يقلب انكلتراً » ، أي ان يصبح بروتستانتياً . ولما سأله جسب عن الدافع الحقيقي لرغبته هذه ، قال له : اني من رجال يوسف كرم وقد فررت بعد المزيمة ، فاذًا قبض الأتراك علي الآن اعدموني . فأنا أريد ان اصبح بروتستانتياً حتى افال حماية

(١) Sir Stratford Canning

(٢) Islam and Missions 160.

(٣) Bliss (R) 314, 315 : cf. Islam and Missions 161 .

(٤) Jessup 534.

(٥) Jessup 267.

انكلترة (١) . وهكذا كان كثيرون يظاهرون باعتماق البروتستانتية مثلاً لينالوا حماية او ينالوا مالاً (٢) .

على ان ميدان التدخل السياسي من طريق التبشير لم يبق ميداناً للاميركيين والانكليز وحدهم ، فإن الروسية القصيرة ايضاً أرادت ان تدلّي دلوها . لقد تنبهت الروسية الى ان في الامبراطورية العثمانية طائفةً ارثوذكسية فأرادت ان تسيطر اولاً على البطاركة والأساقفة الارثوذكس وتحذهم وسيلة الى تحقيق اطماعها السياسية في الامبراطورية العثمانية . وهكذا اخذ الروس يشرون الأرضي في فلسطين خاصة ويقيمون عليها الابنية ويتسللون ، ساعة يستطيعون ، في الأمور الدينية والسياسية .

على أن نزول الروسية الى الميدان لم يكن نقضاً كبيرة على البلاد ، بل كان ينطوي على نعمة ، هي ان المساعي الروسية في حقل التبشير وقفت في وجه المساعي الاميركية والانكليزية والافرنسية والابطالية ايضاً . ولما أرادت الدولة العثمانية ان تخرج المبشرين الاميركيين من البلاد اعتقاد بعضهم ان ذلك كان نتيجة لمعنى روسي (٣) .

### اليسوعيون ايضاً

و كذلك كان اليسوعيون صولة في الامبراطورية العثمانية لأن الدول الغربية عموماً وفرنسا وابطالية والبابوية خصوصاً كانت تحبهم وتؤيدتهم (٤) ، ولأن المؤسسات الكاثوليكية في الشرق كانت كثيرة . ويستغرب جسب كيف ان فرنسة قد طردت اليسوعيين من بلادها (٥) ثم هي تنفق عليهم في الخارج ملايين الفرنكـات ذهباً . ولا غرو فان فرنسة كانت ترسل اليسوعيين الى الخارج عمالاً سياسيين لها ودعاة اجتماعية لازارتها وخالقـي مشاكل في سبيل مصالحـها . ومع ان فرنسة كانت عدوة لليسوعيين في بلادها فانـها كانت لليسوعيين في الخارج الصـم الذي يبعـدونـه ، وكان اليسوعـيون يـعدـونـ كلـ تـعرـضـ لـ فـرـنـسـةـ تـعرـضاًـ لـ بـلـاـبـاـ نـفـسـهـ (٦) .

(١) Jessup 291.

(٢) Jessup 355.

(٣) Jessup 619 f.

(٤) Les Jesuites en Syrie I : 11 .

(٥) cf. also Enc. Br. 15 : 347 .

(٦) Jessup 659.

وظل اليسوعيون يعملون بصمت في ثيابهم السود حتى جاء الاندماج الافرنسي فكشفوا القناع عن وجوههم (١) ، وأخذوا يتشدقون بملء أفواههم ، قالوا في كتابهم المشوي (٢) : «أجل ، لقد كنا نعتمد على مساعدة فرنسة الظافرة ، والآن ها هي فرنسة هنا » . إن فرنسة المتذبذبة كانت تأتي إلى بلادنا بالموظفين الافرنسيين الذين يعيشون اليسوعيين في سياستهم ، وتخلق من موظفي بلادنا من يفعل مثل ذلك .

### اليسوعيون والمفوض السامي الفرنسي

وكان اليسوعيون لا يقيمون وزناً للتنصير الفردي ، بل كانوا يسعون إلى التنصير الاجتماعي ، ولذلك وجهوا اهتمامهم إلى بلاد العلوين للجهل الذي كان يخيم على تلك الريوع في ذلك الحين . ففي أول أيلول عام ١٩٢٥ ( ذكرى إعلان لبنان الكبير ) دعا المفوض السامي الفرنسي عدداً من الراهبات ليذهبن إلى صافيتا في بلاد العلوين . ويخونون اليسوعيين كتمانهم فيقولون : إن هذه المؤسسة ( مدرسة الراهبات في صافيتا ) ستدعى يوماً إلى أن تلعب دوراً عظيماً في التبشير الذي بدأ قبل أيام بين العلوين أو النصيريين (٣) . ولم يكن اليسوعيون مازحين ، فقد مثلوا هم ، لا الرهبات ، وبحراب الفرنسيين لا بالدعوة الصالحة ، ما يبيته : لقد جمعوا عام ١٩٣٠ نفرآ من العلوين في جنينة رسلان وحملوهم على أن يقرروا بالذهب الكاثوليكي (٤) . ويبعدوا أن تبشيرآ كثيرآ في العالم قام على الحديد والنار ، لا حجاً بالنصرانية التي تكره الحديد والنار ، بل بالسياسة التي لا تعرف المثل العليا إلاً وسيلة إلى منافعها المادية .

ويبيننا أن نعود الآن إلى المفوض السامي الفرنسي الذي بدأ هذه الحركة عام ١٩٢٥ . إنه كان الجنرال ساري . والمشهور أن ساري كان علمانياً لا دينياً ، ومع ذلك فقد كان يحب اليسوعيين . إن الجنرال ساري كان في الحقيقة ينفذ خطة سياسية ولم يكن يعطى على حركة دينية إلا بقدر ما تساعد هذه الحركة على إحكام خطته .

• • •

(1) cf. Dictionnaire Larousse, sous « Jesuite » : Personne Hypocrite .

(2) Les Jesuites en Syrie 11:25, 29.

(3) Les Jesuites en Syrie 11:27 .

(4) cf. ibid. 10:23 ss .



وأشغل ضباطه وخلفاؤه ، أول الأمر ، باستكشاف جزيرة هايتى (اسبانيولا) واحتلالها ، وكانت ما تزال في داخلها أراض شاسعة مجهولة وقد تولى هذه المهمة كل من ديفو فيلاسكيز وبانفيلو دو نارفيز ، فابدا من ضروب الوحشية ما لم يسبق له مثيل ، مقتلين في تقدیب سكان الجزيرة بقطع أناملهم وفق عيونهم ، وصب الزيت المثلج ، والرصاص المذاب في جراحهم ، أو باحرارهم أحياء على مرأى من الاسرى ... ليعرفوا بمحابي الذهب ، أو ليهتموا الى الدين ! وقد حاول احد الرهبان القناع الزييم « هايتىهای » باعتناق الدين ، وكان مربوطا الى المحرقة ، فقال له انه اذا تمدد يذهب الى الجنة ... فسألته الزييم الهندي : « ودل في هذه الحنة اسبانيون ؟ » فاجابه الراهب : « طبعا ، ما داموا يعبدون الاله الحق ! » فما كان من الهندي الا ان قال : « اذن ، انا لا اريد ان اذهب الى مكان اصادف فيه ابناء هذه الامة المتوحشة ! »

## غدا اكتشاف الاوقيانوس الهدىء

وهكذا نرى الى أي حد كان التبشير والسياسة يتعاونان : كانت السياسة تعمل مقنعة من وراء المبشرين الذي كانوا بدورهم يعملون مقنعين بقناع التعليم والتطهير وبذل الاحسان . ثم ان رجال السياسة كانوا اذا دافعوا عن المبشرين لم يدافعوا عنهم كمبشرين بل كاميركيين او انكلزي او فرنسيين او ، على الاقل ، كأجانب ليس لهم من دولهم مثل يحميهم ويسهل على مصالحهم .

حتى رجال السياسة العلمانيون كالخنز ال ساراي ، المفروض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان يوم نشبت الثورة السورية عام ١٩٢٥ ، واليهود كاؤسكار ستراوس ، كانوا يتلقون في خدمة رجال الدين الأجانب ثقة منهم بأن مساعي البروتستانت والكاثوليك على السواء إنما تعني ، في النهاية ، تصدير البضائع الى شعوب الشرق أو الحصول على مراكز حرية في البلاد الشرقية .

### نص ما تحت الصورة

وانشغل ضباطه وخلفاؤه ، اول الأمر ، باستكشاف جزيرة هايتي (اسبانياولا) واحتلالها ، وكانت ما تزال في داخلها أراض شاسعة مجهلة وقد تولى هذه المهمة كل من ديغور فيلاسكيز وبانفيلو دو نارفيز ، فأبدلا من ضروب الوحشية مالم يسبق له مثل ، مفتتنين في تعذيب سكان الجزيرة بقطع أناملهم وفق عيونهم ، وصب الزيت المغلي ، والرصاص المذاب في جراحهم ، او باحرافهم احياء على مرأى من الاسري ... ليعرفوا بمخبأ الذهب ، او ليهتدوا الى الدين ! وقد حاول احد الرهبان اقناع الزعيم « هانيه اي » باعتماد الدين .. وكان مربوطا الى المحرقة ، فقال له انه اذا تعمد يذهب الى الجنة ... فسألته الزعيم الهندي : « وهل في هذه الجنة اسبانيون ؟ » فأجابه الراهب : « طبعاً ، ما داموا يعبدون الله الحق ! » فما كان من الهندي إلا أن قال : « إذن ، أنا لا أريد ان اذهب الى مكان اصادف فيه ابناء هذه الأمة المتوجهة ! »

### سياسة الجزوست

واليسوعيون يتدخلون في السياسة الداخلية ويحاولون ان يؤثروا على بخاري السياسة الخارجية . ثم هم يرتكبون في سبيل ذلك الفظائع والمجازر ويسليون وينهبون ويقتلون . وهم يحاولون في كل بلد نزلوا فيه وبلغوا شيئاً من القوة ان يستولوا على الحكم او ان يملأوا مناصب البلاد بطلاهم ثم يحاولوا القضاء على خصومهم وعلى الجماعات التي لا تخضع لهم .

ثم هم يقاومون كل الحركات التي تنبه الشعوب او تحجعل لها سبيلاً الى الحياة المستقلة . يجب أن يظل الناس عبيداً لهم او كالعبيد . ولذلك نجد كل شعب « وعي نفسه » وأراد ان يحيا حرآ في أرضه سيداً في أعماله بدأ بطرد اليهود من بلاده . وانك واجد مصداق ذلك كله في كتاب غايته بيان ذلك ، هو كتاب « سياسة اليهود » تأليف بيير دومينيك (١) .

ولقد أثار الانتداب الفرنسي حرية واسعة المدى للتبرير في سوريا ولبنان . وكانت الكنيسة الكاثوليكية تضع نفسها حدود هذه الحرية بالتعاون من الموظفين الأفرنسيين الذين كانوا كاثوليكياً . اما الدولة المتبدلة فلم تكن تناصر حرية التبرير علنًا ، ولا هي ذهبت في ذلك الى حد يقر الكنيسة الكاثوليكية على تنصير المسلمين الا إذا حدث ذلك التنصير من غير ان يثير ضجة عامة . ومع ذلك فان المدارس والمستشفيات والهيئات الاجتماعية واعمال التنصير المباشر التي كانت الكائنة والراسيات تقوم بها ، كانت كلها تمضي في عملها (التبريري) من غير ان تلقى من الحكومة عرقفة تذكر . اما المدارس فقد ازدهرت اكثر من جميع المؤسسات الاخرى بما تدفق اليها من الموظفين الأجانب والمساعدات المالية الأجنبية (٢) .

ولما استحال على المبشرين الأفرنسيين ان ينضروا احداً من أهل الجزائر بالقوة او بالدعوة أردووا ان يصلوا الى نفوسهم بسلوك الحيلة : أرادوا انشاء مركز للتبرير يشبه في مظهره مظاهر الحياة الإسلامية . لقد اقترح لافيجيري ان يجعل من مدينة بسكرة في الجزائر - في منتصف الطريق بين جبال الاوراس و (بحيرات) شط الغرسة المتصلة بشط الجريد في تونس - زاوية مسيحية والزوايا الاسلامية ، في الحقيقة ، كانت ولا يزال اكثراها الى اليوم مراكز لرجال الطرق الصوفية المختلفة . ورجال الطرق هؤلاء كانوا ، ولا يزال بعضهم حتى اليوم ، مرابطين : عباداً في النهار فرساناً في الليل . ورئيس الزاوية يدعى المرابط ، ويكون مع المرابط مقدم واحد او عدد من المقدمين يساعدونه في قيادة الاخوان ، اي الاتباع الذين يعيشون معه في الزاوية . واقترح لافيجيري ان تسمى الزاوية المسيحية بيت الله . ثم اقترح ايضاً ان يكون لباس « رواد الصحراء » المسلمين ، او الأخوة المسلمين الذين يعيشون في الزاوية المسيحية مشابهاً للباس « الاخوان » المسلمين ما عدا لباس الرأس ، فان المسلمين يعتمدون فوق الشاشية ( الكوفية ، غطاء الرأس ) بينما

(1) Pierre Dominique, *La Politique de Jesuites* .

(2) Grubb 171 .

أراد لافيجيري ان يلبس الأخوة المسيحيون القبعة فوق الشاشية .

ولقد اعتقد لافيجيري ان أتباعه من المبشرين او رواد الصحراء المسلمين ، كما كان يسميه ايضاً ، يستطيعون ان يتخللوا بين المسلمين تخللاً سلبياً . لقد أراد لافيجيري ان يكتسب البدو في صحراء الجزائر ثم يقدمهم عطية الى فرنسة ... ويسأل لافيجيري كثيراً لأن أماناته لم تتحقق ... ثم كان لافيجيري يعلن خجله من الامة الفرنسية لأنه بقي (في منصب الأسقفية في الجزائر) نحو اربعين عاماً في العهود المختلفة ، وبين ظهراني شعب مسلم ، كان يخضع له ، من غير ان يحاول تنصيره . ليس هذا فحسب ، بل انه منع كل محاولة كان بامكان القسس الكاثوليك ان يقوموا بها في هذا السبيل تصلباً منه وعناداً (١) .

وكان الافرنسيون – رجال الدولة الفرنسية – يعدون التبشير بالمذهب الكاثوليكي ، او الدين الكاثوليكي (٢) ، عملاً وطنياً . يقول رينيه بوتيه في كتابه «الكاردينال لافيجيري» (٣) :

ان العمل الوطني الذي قام به لافيجيري بدأ مع عمله التبشيري ، بدأ بنشره على السوريين تلك العطايا التي تتحدى الكنيسة الكاثوليكية ، إنه جعل فرنسة محبوبة (لدى السوريين) وأضاف الى الحقوق القديمة التي كنا نملكونها (نحن الافرنسيون) على تلك المنطقة حقوقاً جديدة .. ولكن في الجزائر استطاع ان يهب كل ما في استطاعته لاظهار وجه لفرنسا . وهذا لا يبدو في المناصب السامية التي احتلها فقط ، بل في تركه وطنه (للسكنى في الجزائر) إذ ليس ثمت وسيلة احسن من الحرمان من نعمة الوطن حتى يستطيع الانسان ان يدرك ما هذه الكلمة «فرنسة» في نفسها من الجمال والنبل والعظمة . وعلى ارض الجزائر ، مدينة الجزائر ، كانت القلوب تخفق لروبة العلم المثلث الاولان خفقاتاً شديدةً كان يثيره ذلك العلم المتموج فوق احد الابراج والشرف على ارض اجنبية . تلك هي فرنسة ، التي لم يحب لافيجيري ان يراها عظيمة وجميلة فقط ، بل كان يود أن يراها ايضاً اشد قوة واكتف سكاناً ... أراد لافيجيري «ان يحب فرنسا الى الناس باسم المسيح» . هذه الجملة يمكن ان توجز جميع سياسة لافيجيري الذي كان رئيساً لاساقفة ، ثم اصبح كاردينالاً ثم صاحب الولاية على جميع اساقفة افريقيا . وفي الواقع انه لم ينشأ ان يجعل من الوطنيين من أهل افريقيا رعايا له ولا مواطنين . لقد أراد ان يجعل منهم اولاداً له . فبحبه للمسيح وبالحب الذي يكتبه لفرنسا أراد ان يتبنائهم .

(1) Pottier . Card . Lavigerie 194 - 198 .

(2) cf. « Larousse » , Sous catholicisme .

(3) Pottier 177-178 .

هذا التبشير المزوج بالسياسة ، بل هذه السياسة المخلفة بالتبشير ، هو الاستعمار . على ان هذا الاستعمار لم يكن خاصاً بالفرنسيين ، ولكن ظهر عند الفرنسيين في أبغض صوره . ولقد اجمل الاب يسوعي ميز (١) سياسة فرنسة الدينية في الشرق من جميع جوانبها حينما قال :

ان الحرب الصليبية المادلة التي بدأها مبشر ونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة الى أيامنا . ان الرهبان الافرنسيين والراهبات الفرنسيات لا يزالون كثيرين في الشرق (ص ٢٣) .

ولقد احتفظت فرنسة طويلاً بروح الحروب الصليبية وبالختن الى تلك الحروب حية في نفسها ، وكثيراً ما فكر ملوكها بحملة صليبية جديدة (على الشرق) ، ولكن اوروية المشقة (على نفسها) كانت دائمة تجعل من التحجيل (على فرنسة) ان تقوم بحملة بعيدة المدى ... (ص ١٤ - ١٥) .

وكان من غيابات الامتيازات الاجنبية دائماً ان تحفظ (فرنسة) بالدور الذي يأبه رهبانها ، وان توسع ذلك الدور . وقد اعترف لقناصلنا وسفراءنا بالحماية للنصارى ، تلك المهمة الصعبة التي لم تخلي عليهم إلا شرف حضور القداديس في الكنائس . ولقد كانوا يبذلون جهداً كبيراً ليهدئوا من ارتجاف المسلمين المتعصبين وليخموأ أعمال المبشرين في الامبراطورية العثمانية (ص ١٥ - ١٦) .

وكان ممثلو فرنسة يساندون اعمال مبشرينا (ص ٢٢) . وكان لفرنسا في اكثر الاحيان قصاد رسوليin في اشخاص قناصلها ، وخصوصاً في القرن السابع عشر (ص ٥٠) . يرأ ما اختارت فرنسة قناصلها وسفراءها من رجال الدين .

---

(١) Milliez, *La Croisade du Levant*.

## الفصل السادس

### السياسة طريق للتبيير

#### (٢) الفن والخروب في الشرق

كان التعاون السلمي بين رجال السياسة وبين المبشرين قليل النتائج . وكانت هذه النتائج على قلتها بطيئة الظهور أيضاً . ولقد اعتقد رجال السياسة هذا التعاون ديناً لهم على المبشرين فلما قوي المبشرون بعض القوة فعلاً رجعت عليهم دولهم تقتصيصهم هذا الدين . وهكذا بعد ان عملت الدول الأجنبية زماناً طويلاً على تأييد ارسالياتها التبشيرية في الشرق قويت تلك الارساليات فعادت هي بدورها تعمل على تأييد دولها . ولكن المبشرين لم يستطيعوا ذلك الا من طريق اثارة الاضطرابات في بلادنا ، ولذلك عمدوا الى اثارة اضطرابات مختلفة وحرصوا على « اذكاء العداوة بين الذين كانوا يبشرون بينهم » (١) . وعلى ان يفسحوا المجال امام دولهم للتدخل في بلادنا .

#### اثارة الخروب

وكان اول ما خطر للمبشرين ان يخلقوا في الامبراطورية العثمانية اسباباً تقود الى الحرب لأن الحرب تضعف الدولة العثمانية فيضعف سلطانها على رعاياها ، فيجد المبشرون حينئذ من ضعف العثمانيين منفذآ الى التبشير بين المسلمين . ولقد كانت اكبر الخروب التي شنتها اوروبا من قبل على الدول الاسلامية دينية في اساسها كالخروب الصليبية والخروب في الاندلس . وكذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين كانت حروب الدول الغربية المشنة على الامبراطورية العثمانية متميزة بعامل ديني . قال لورنس براون (١) :

(1) Jessud 160 ff.

(2) Browne 8.

« وكذلك شنت الدول الاوروبية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين حروباً عدوانية على الحكومات المسلمة ، ثم انتزعت منها أراضي ضمتها إلى سلطانها هي . ولقد كانت النتائج في أحوال كثيرة غير سارة لبعض الشعوب التي استعبدت ، وخصوصاً من المسلمين ولكن هذه الشعوب لم تصل بعد إلى درجة تشعر فيها أنها أصبحت أقليات مضطهدة ، أو أنها تعيش في حابورات »<sup>(١)</sup> . أما غاية الدول الأجنبية من مخاربة الدولة العثمانية فكانت ، كما يراها المبشرون أيضاً ، « لعل الله الرحيم يضرب الآتراك بسيف قدرته الجباره » . في عام ١٩٢٠ أصدرت لجنة التبشير الامريكي ، التي تهم بالاستفادة من مناسبات الحرب للتبرير ، كتاباً ذكرت في مطلع مقدمته ما يلي : من ابرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية ( الاولى ) ان الآراء والمبادئ التي كانت تهدف إليها الارساليات التبشيرية قد تبنتها الآن الامة ( الاميركية ) ، ثم اعلنت أنها هي أهدافها الاخلاقية وغايتها من خوض تلك الحرب ... ان هذه المبادئ التبشيرية قد سميت الآن اسماء سياسية فقط »<sup>(٢)</sup> .

ولما ثار الامير عبدالعزيز في ريف مراكش على اسبانية اقلقت ثورته جميع الدول الغربية ، فتركضت هذه الدول الى مساعدة اسبانية على التغلب على عبدالعزيز زعيم القوة العربية الثائرة ، كما وصفوا حركته يومذاك . ولقد علق المبشر ولهم كاش في كتابه « العالم الاسلامي في ثورة » على هذه الحرب بالكلمات التالية :

لقد التقى الأسبان بالحماسة العربية القديمة واضطروا الى ان يخلوا ، من مناطق نفوذهم ، موقعاً بعد موقع ، حتى اصبحوا يحاربون وظهورهم الى البحر مباشرة وعلى وشك ان يخرجوا من شمالي افريقيا مرة واحدة . وهكذا نجد للمرة الثانية منذ الحرب العظمى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) ان دولة اوروبية يتغلب عليها جيش مسلم ، فلقد اتفق ايضاً لثلاث سنوات خلت ان مصطفى كمال طرد اليونان من آسيا الصغرى وتحدى بذلك سلطان اوروبية القوي ( ٣ ) .

بعدئذ ينصح ولهم كاش جماعته فيقول ( ٤ ) : « قبل هذه التطورات ، التي طرأت على العالم الاسلامي بعد الحرب العالمية الاولى ، كان المبشرون قد اخذوا مراكز ستراتيجية في العالم الاسلامي ، واستطاعوا في اثناء الثورات والحروب والاضطرابات ان يتبعوا عليهم

(١) المخابورة كلمة عامة معناها حي اليهود ، ويقابلها في اللغات الأجنبية كلمة Ghetto ولمل اصل الكلمة في البرية سبرة : الجماعة المجتمع .

(٢) Missionary Outlook. p. xv. ff.

(٣) Cash 5.

(٤) Cash 6.

بهدوء وثبات . ولقد كتب هذا الكتاب الصغير ليدل على هذه التطورات التي حدثت ولبيين للكنائس تلك الحاجة الملحة للتقدم بمعشوّعها في يوم الفرصة السانحة » .

اننا نعلم علم اليقين ان حرباً كالحرب العالمية الاولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) لا يمكن ان تثور في سبيل التبشير وحده ، بل يجب ان يرجع نشوئها الى عوامل اقتصادية وسياسية بحت . ولكن ثُمَّتْ شيئاً يثير ان اهتماماً نحن في كتابنا هذا ، اوهما ان الدول المتحاربة لا تتورع في سبيل ظفرها عن ان تستفيد من كل حزب وجماعة ، ولذلك استغل المبشرون احوال الحرب فاستفادوا من الحرب بطريقة غير مباشرة . وثاني ذيئن الشيئين ان الدول التي تبغى الاستعمار انما تبغيه في الشرق ، لما في الشرق من الثروات الاقتصادية والمالية . ولقد اتفق ان يكون العنصر الاسلامي من اقوى العناصر التي تدافع في الشرق كل مستعمر بكل سهل . ولذلك اتفقت غaiات الحروب الاستعمارية وغaiات التبشير وتوحدت في حروب تار ظاهراً باسم الاقتصاد والسياسة وباطناً للاستعمار وللقضاء على العناصر التي يجعل استغلال الشرق مستحلاً .

ولا تزال اوروبة الى اليوم تنظر الى جميع حروبها بنظرة دينية . ان انكلترة المسيحية لا تحارب اليونان المسيحية لأن اليونان ألتقت بقيادها الى انكلترة ، ولا يمكن ملك اليونان الانكليزي النسب ان يعارض السياسة الانكليزية في البلقان كله وفي اليونان خاصة ( ١ ) . واذا اتفق ان حاربت انكلترة المسيحية ايطالية او ألمانية فلان ميدان الزراع يكون حينئذ اقتصادياً استعمارياً .

من أجل ذلك لم نكن « إثارة الحرب » بين الدول الكبرى دائمًا وسيلة عملية للمبشرين لأنها قد تقود الى اضعاف دولة مسيحية . وهكذا انصرف المبشرون الى البحث عن امر آخر يكون اقرب تحقيقاً لاهدافهم فوقعوا على « اثارة الفتنة والاضطرابات » . واذا نحن ادركنا ان الصلة كانت بين السياسيين وبين المبشرين وثيقة دائمًا لم نستغرب ان تتهز الدول المستعمرة مثل هذه الفرصة للتدخل في الشرق .

### الهصار العسكري على المسلمين ابراهيم عن الشواطئ

ورأى الاوروبيون ان الحرب مع العالم الاسلامي - مفرقاً او مجتمعاً ، تؤدي الى خسائر

( ١ ) بدأ تأليف هذا الكتاب في اواسط عام ١٩٤٤ وكانت الحالة في البلقان على ما أراد هذا المثل ، ولا تزال حال اليونان خاصة قريبة من ذلك

كثيرة جسيمة في بعض الاحيان . من أجل ذلك اقترح المبشرون على دوهم ان يشلوا حياة المسلمين بابعادهم عن الشواطئ ذات الأمطار الواقية وطرق المواصلات الكافية والماكرز الحربية المهمة ثم حصرهم في الداخل وفي الصحاري على الاكثر . ان اقتراحات مثل هذه قد ابدت فيما يتعلق باسكان اللاجئين بعد كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ . إلا أن الفكرة نفسها

قديمة ، ويدعى رجل مبشر ، او متصل بالتبشير ، انه هو الذي اقترحها :

كتب كاتب اسمه اشيا بومان (١) في مجلة « العالم الاسلامي » مقالاً عنوانه « الحغرافية السياسية للعالم الاسلامي » (٢) ، ذكر فيه ان شيئاً من الخوف يجب ان يسيطر على العالم الغربي . لهذا الخوف اسباب منها ان الاسلام متذظهر في مكة لم يضعف عددياً ، بل هو دائمًا في ازدياد واتساع ، ثم ان الاسلام ليس ديناً فحسب ، بل ان من اركانه الجihad . ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الاسلام ثم عاد نصراانياً .

وكذلك يرى هذا الكاتب ان الصحراء كانت للمسلمين حصنًا متيناً ، ذلك لأن « البدو » نسبة مثوية كبيرة في المسلمين ، وانه ما من دولة حاولت التغلب على المسلمين واتفاق ان ظفرت الا خسرت اضعاف ما خسره المسلمين في ذلك الكفاح ... من أجل ذلك يقترح هذا الكاتب ان تتفق بريطانيا وفرنسا ، ما دامتا اكبر الدول سيطرة على العالم الاسلامي (٣) ، على سياسة « السيطرة على الشواطئ » حيث يمكن وصول الدوارة والآلات القتالية الحديثة بسهولة .

فإذا نحن قرأنا هذا الكلام ثم ذكرنا ما فعلته ايطالية في طرابلس الغرب من اعطاء الشواطئ الى الاطفالين وطرد العرب الى الداخل ، ادركنا ان التبشير والاستعمار متفقان على ابعاد المسلمين عن الشواطئ . وكذلك لما اعطت هيئة الامم فلسطين لليهود فقدت جزءاً من هذه المؤامرة الخطيرة ، فاختلت الشواطئ من العرب المسلمين ثم قذفت بهم الى داخل البلاد وعلى ما وراء نهر الاردن . ولقد هال هيبة الامم ان ترى عدداً كبيراً من اللاجئين الفلسطينيين قد أموا لبنان - على الشاطئ - وهي لا تزال تحاول اقناعهم بالذهاب الى سوريا او العراق او شرق الاردن لتبعدهم عن الشواطئ . وكذلك تحاول فرنسة ان تفعل في المغرب ، وخصوصاً في الجزائر ، مثل هذا الفعل .

\*

(1) Isahiah Bowman, New York .

(2) Moslem World : the Political Geography of the Mohammedan World, Jan. 1930 . pp. 1 - 4 .

## امميات الرمنية

على ان الدول الأجنبية لم تكن ميالة الى ان تعلن بين كل حين وآخر حر بـ نظامية على الامبراطورية العثمانية حتى تستفيد من الشرق امتيازاً اقتصادياً أو مركزاً حرياً ، ان ذلك كان يكلفها خسائر جسيمة في الأموال والأرواح . ثم انه يخرج بالدول الأوروبية الى ما لم يكن في حسابها من اختلاف فيما بينها هي أحياناً من أجل ذلك تسلحت الدول الأوروبية « بالامتيازات الأجنبية » وأخذت تجاهله الامبراطورية العثمانية بطالب كثيرة .

الامتيازات الأجنبية ، كما يدل الاسم ، كانت تقوم على منع رعايا الدول الأجنبية النازلين في الامبراطورية العثمانية أو السائرين فيها أو المارين بها مروراً « امتيازات » لم تكن تمنع للعثمانيين أنفسهم . من أشهر هذه الامتيازات اعفاء هؤلاء الأجانب من الضرائب المباشرة ومن جزء كبير من رسوم الجمارك . ثم ان السلطات العثمانية لم تكن تستطيع ولو جيت رجال اجنبى مهما كان السبب . حتى لو ان جريمة ارتكبت في ذلك البيت لما كان للسلطة العثمانية أن تدخل للتحقيق ، بل كان الذي يقوم بالتحقيق والمحاكمة والفصل قفصل الرجل الذي يسكن ذلك البيت . ان البيت الذي كان يسكنه رجل انكليزي او افرنسي او يوناني او اسوجي او برازيلي ، كان يعتبر جزوًّا من انكلترة او فرنسة او اليونان او اسوج او البرازيل .

وكذلك كان لكل اجنبي أن يتوجول في البلاد العثمانية كما يشاء . فإذا اتفق ان ناله سوء – ولو قضاء وقدراً – فإن حكومته تطالب بيته اضعافاً مضاعفة ، وقد تشدد احياناً حتى تناول امتيازات سياسية وتجارية جديدة لم تكن لها من قبل . وكانت القوانين العثمانية لا تطبق على الأجانب النازلين في الامبراطورية العثمانية .

اما اصل هذه الامتيازات فغامض جداً . زعموا ان هرون الرشيد قد منح للفرنجة من اتباع شارلمان تسهيلات تجارية (١) ، وليس ذلك ب صحيح . وكذلك يزعمون ان هذه الامتيازات قد نقلت ، بعد سقوط امبراطورية شارلمان ، الى بعض المدن الايطالية .

ولكن يظهر ان امير انطاكيه الصليبي قد منح مدينة جنوة الايطالية ، امتيازات تجارية في امارته ، وذلك عام ١٠٩٨ م ، أي في العام الذي سقطت فيه انطاكيه في ايدي الصليبيين . ثم ان ملك القدس قد منح مثل هذه الامتيازات للبنديقه في ايطالية عام ١١٢٣ ،

(1) cf. Enc. Br., under Capitulations .

ولمرسيلية في فرنسة عام ١١٣٦ م .

وبما ان الامبراطورية البيزنطية (الرومية او الرومانية الشرقية) كانت يومذاك مستضعفه فقد اضطرت الى ان تخضع مثل هذه الامتيازات لدول اوروبية القوية .

ثم لما استولت الدولة العثمانية على الامبراطورية البيزنطية طمعت الدول الغربية في ان تظل لها امتيازاتها في البلاد التي انتقلت من ايدي الروم الى ايدي العثمانيين . ولم تصل الدول الغربية الى تحقيق بعثتها الا في القرن السادس عشر حينما قبل السلطان سليم القانوني عام ١٥٣٦ م ان يمنح فرنساوا الأول ملك فرنسة شيئاً من الامتيازات التجارية ومن الاعتراف لرعاياها ، اذا سكنا في الامبراطورية العثمانية او مررنا فيها ، بعض الامتيازات القانونية والتجارية ايضاً . والذي يلفت نظرنا هنا ما يتعلق ببحثنا ثلاثة أمور :

١ - ان الرجل الذي عهد اليه بالحصول على هذه الامتيازات لفرنسة من الباب العالي كان يدعى ده لا فورست (١) ، وهو راهب من فرسان القديس يوحنا الصليبيين .

٢ - ان هذه الامتيازات كانت للنصارى من الأجانب ، جاء في دائرة المعارف البريطانية نفسها ما يلي :

وكيليا يظن ان هذه الامتيازات هبة انتزع عنها ملك مسيحي متصر من تركي مستضعف ، يجب أن نذكر ان الدولة العثمانية كانت يومذاك في ذروة قوتها ، بينما كان فرنساوا الأول لايزال يشكو من آثار « معركة بافيا » (٢) بابطاليا التي انهزم فيها امام شارل كان قبل عشر سنوات .

٣ - من أجل ذلك عين الراهب الصليبي ده لا فورست سفيراً في الاستانة ، فكان أول سفير لفرنسة في الامبراطورية العثمانية .

ومع الأيام اخذت الامبراطورية العثمانية تضعف ، فكان ضعفها المتواتي المتزايد سبباً في ازدياد شره الدول الأجنبية ، لما في الشرق من خيرات ركائز ، وبعد ان كانت الامتيازات الأجنبية قاصرة - فيما يتعلق بما فعله سليمان القانوني - على الافرنسيين ، امتدت نعمتها الى الانكليز ثم الى المولنديين والابطالين والاسبان ، ثم الى الامريكيان ورعايا النمسة والروسية واليونان . ولقد كان رعايا كل دولة يتبعون في هذه الامتيازات ليتمتعوا بحقوق وإعفاء لم تكن من قبل لهم . وأخيراً أصبحت الشعوب والجماعات غير المسلمة تتمنع في الامبراطور العثمانية باستقلال طائفى فيما يتعلق بالأحوال الشخصية (من زواج وارث وغيرهما ) ،

(1) De la Forest .

(2) Pavia .

باعفاء من الخدمة العسكرية ومن كثير من الضرائب والالاحقات القانونية . حتى ان المجرم كان يرتكب جريمته فاذا بلأ الى قنصله او اختباً في بيت رجل أجنبي لم يجسر القضاء العثماني على ان يصل اليه . ولكن هذه الامتيازات ألغيت عام ١٩١٤ بعد أن نشب الحرب العالمية الأولى .

زادت هذه الامتيازات في نفوذ الدول الاجنبية فأخذت انكلترة وفرنسا تتنازعان على « حماية » الاجانب في الامبراطورية العثمانية من الذين ليس لدولهم تمثيل في استانبول (١) . فالارمن والبلغار وأهل الجبل الأسود وبعض اهالي اميركة الجنوبيّة كأهل الأرجنتين والتشيلي والمكسيك لم يكن لدولهم وزراء مفوضون او قناصل في الامبراطورية العثمانية ، فلم يكونوا يتمتعون بالامتيازات الاجنبية . وكان هؤلاء اذا استطاعوا ان ينالوا حماية فرنسة او انكلترة — وكان من السهل جداً ان ينالوها — استطاعوا ان يتمتعوا بجميع الامتيازات التي كان يتمتع بها الافرنسي والانكليزي في الامبراطورية العثمانية سواء بسواء .

واساء بعض الوزراء والقناصل من الانكليز والافرنسيين هذه السلطة في منح الحماية لرعايا الدول الذين لا تمثيل سفاسياً لهم في الاستانة ، وجمعوا من وراء ذلك اموالا طائلة (٢) . ثم زاد ضعف الدولة العثمانية فزادت جرأة الانكليز والافرنسيين على منح مثل هذه الحماية ، فمنحوها لعدد من « الرعايا العثمانيين » انفسهم من استطاع ان يشتري هذه الحماية بمبلغ كبير ليستغلها في وجوه مختلفة ، او من كان يستطيع ان يدفع انكلترة او فرنسة في سبيل من السبيل . وكان احد هؤلاء الاجانب او المحميين يستخطي القوانين ويخالف مباديء الإنسانية ، فاذا تعرض له متعرض شمخ بأ نفسه وقال : « أنا أجنبي » ، او « أنا حماية أجنبية » . روى عبدالله المشنوق شيئاً من هذا ، قال (٣) :

« من ذلك حادثة شهدتها بأم عيني — دهست سيارة يقودها رجل أجنبي طفلاً في بيروت . فأمر الشرطي السائق بال الوقوف فرفض قائلاً بلغته الأجنبية : القنصلية . لا شأن لي معي . وتتابع (السائق) طريقه تاركاً الطفل المسكين يعاني سكرات الموت » .

وادرك المبشرون ما يمكن أن يستفيدوا من الاختباء بالامتيازات الاجنبية فاستغلواها الى أبعد الحدود : لقد كانوا — بقطع النظر عن أشكال اثوابهم — يدورون في البلاد كأجانب ويعملون فيها كمبشرين .

(1) cf. Enc. Br., under Capitulations.

(2) cf. Enc. Americana 5 : 567.

(3) الامتيازات الاجنبية (بيروت) ١٩٢٢ ص ٢٥ .

## اثارة الاوضطرابات ثم استقرارها

على ان الدول الأجنبية لم يكن باستطاعتها اذن تتدخل في شؤون الامبراطورية العثمانية اذا كانت تلك الشؤون تسير في سبيلها سيراً طبيعياً هادئاً . فلم يكن بد اذن من ان تثير تلك الدول الفتنة والاضطرابات فتثال المطلب تلو المطلب . ولو اتنا احبينا ان نورخ المذايغ التي أثيرة في الامبراطورية العثمانية بين ١٨٤٠ و ١٨٦٠ ، اي مدى عشرين عاماً فقط ، لاحتاجنا الى كتاب كامل .

كانت انكلترة وفرنسا تهتمان بسوريا اهتماماً شديداً وتتنافسان علناً في سبيل تثبيت نفوذهما فيها . ونحب ان نستبق الحوادث فنقول : لما تدخلت الدول في شؤون جبل لبنان بعد فتنة عام ١٨٦٠ – على ما سيأتي – اراد نابليون الثالث ان يمد اجل بناء الجيش الفرنسي في سوريا ، ولكن انكلترة رفضت ذلك . ولما اصر نابليون الثالث على رأيه اعدت انكلترة عشرة آلاف جندي في قبرس ومطالعة وجبل طارق . ولو لم تسحب فرنسة جميع جنودها من سوريا في الخامس من حزيران ١٨٦١ لأنخر جهتها انكلترة بقوة السلاح (١) .

من هنا يتبين لنا مقدار المنافسة في سبيل بلادنا ومدى استغلال الدول الأجنبية للحوادث . ونحن سنضرب صفحأ عن ذكر المذايغ التي أحدثتها الأصوات الأجنبية في جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية : في بلغاريا واليونان ، وفي آسية الصغرى بين الأرمن ، تلك المذايغ التي كانت تثيرها الدول الأجنبية بواسطة المبشرين (٢) . وسنكتفي بمحادثتين فقط نذكرهما في محلهما من هذا الفصل .

لقد كانت تركية على حق في خوفها من المبشرين الذين لم يكونوا فقط يثرون الفتنة في امبراطوريتها ، بل كانوا ايضاً يتتجسسوون للدولم سياسيّاً وعسكرياً (٣) . وكذلك كانوا يفرقون السكان معسكرات ، فقد كان الدروز مثلاً يعتمدون على حماية انكلترة ويفضلون المدارس الامريكية (٤) .اما الموارنة فكانوا يَرَوْنَ حليفهم الطبيعي في فرنسة ويفضلون المدارس الفرنسية . وكانوا يتلقون السلاح من فرنسة ايضاً ، فقد رسا عام ١٨٥٨ مركب حربي قرب طرابلس وأنزل اسلحة اشترى منها اهل طرابلس أنفسهم خمسماة بندقية . ولما وصل الخبر الى بيروت أرسلت الحكومة عشرة مدافع لحماية المدينة من هجوم قد يقوم

(1) Jessup 209 f.

(2) cf. Jessup 221.

(3) cf. Jessup 536 f.

(4) Jessup 157 .

به أهل زغرتا (١) . وكان النروز أيضاً يتلقون السلاح من انكلترة .. وسرى فيما بعد ان فتنة عام ١٨٦٠ المشوّمة كانت منسوجة بأصابع الدول الأجنبية .

وقل ان استطاع المبشرون التأثير في البيئة الاسلامية ، ولذلك وجهوا اهتمامهم الى البيئة المسيحية يثيرون الخلاف في طبقاتها وبين أهل مذاهبها . فما أن جاء المبشرون البروتستانت الى سوريا حتى وقف رجال المذهب الماروني والمذهب الارثوذكسي موقف الدفاع الشديد ، فان البطريريك الماروني هدد كل ماروني يقترب من البروتستانت أو يعاملهم او يوصرهم سكتاً او يزورهم أو يلبي طلباً أو يساعدهم على البقاء في البلاد بالحرمان (٢) . وكذلك كان الاكليروس الارثوذكسي يضطهد كل من يميل من الارثوذكس الى المبشرين البروتستانت (٣) . ولم يكفي الاكليروس الماروني بحث اتباعه عن الابتعاد عن البروتستانت بل زعم جسب انه كان يحمل اتباعه على اضطهاد اهل المذاهب الصرانية الالخرى (٤) ، وخصوصاً بعد أن طمع البطريريك الماروني بيسط سلطة زمنية على جبل لبنان (٥) .

وهكذا تجد أن المنافسة بين المبشرين البروتستانت وبين المبشرين اليسوعيين ألت في البلاد فتناً وإحناً ومنازعات مذهبية واجتماعية (٦) . على اننا لن نفصل هذه كلها ، فهي كثيرة (٧) . ولقد تبارى المبشرون البروتستانت واليسوعيون في خلق هذا الاضطراب . فقد اتفق مثلاً أن حدث خلاف في الكنيسة الارثوذكسيّة في دمشق فصباً ثلاثة من الاوثذكس الى البروتستانتية (نكأية ببناء دينهم) . ثم زال الخلاف فعاد هولاء كلهم الى مذهبهم القديم (٨) .

ولما مرض موسى عطا مرض الموت ، وكان قد صباً من مذهب الروم الكاثوليك الى المذهب البروتستانتي ، جاء القسّيس الروم الكاثوليكي ودخلوا عليه ثم أغلقوا باب بيته ولم يدعوا أحداً يدخل . ثم ادعوا انه عاد الى الكثلكة . ولكن البروتستانت لم يشاعوا ان ينهزوا فحدثت فتنة في زحلة لم تهدأ ثائرتها الا بعد ان تدخل رجال الشرطة . ومات موسى عطا بعد بضعة أيام من مرضه (٨ نيسان ١٨٧٢) ، ولكن زحلة بقىت في المناوشات الدينية

(1) Jessup 151.

(2) Richter 187 f.

(3) Richter 194 et passim .

(4) Jessup 158 .

(5) cf. Jessup 159 .

(6) Jessup 196 f. et passim .

(7) cf. Jessup 243 f., et passim .

(8) Jessup 587 .

والاضطرابات والقوضى ثلاث سنوات متالية بعد ذلك (١) .

ولما مـد البروتستانت أصابعـهم إلـى حـمص اتفـق ان جاءـ شـاب اـرثـوذـكـسي إـلى اـسـقـفـيـهـ شـيـئـاً يـتعلـقـ بـالـفـرقـ بـيـنـ المـذاـهـبـ ، فـخـطـهـ الـاسـقـفـ بـعـصـاهـ فـأـفـقـدـهـ وـعـيـهـ فـتـارـتـ التـائـرـةـ فـيـ حـمـصـ . وـكـذـلـكـ جـاءـتـ ذـاتـ يـوـمـ فـتـاةـ اـرـثـوذـكـسـيـةـ تـزـورـ زـوـجـهـ المـبـشـرـ دـمـ. وـبـلـسـنـ ، فـلـمـ عـلـمـ بـهـ أـهـلـهـ جـاءـواـ فـقـبـضـواـ شـعـرـهـاـ وـجـرـوـهـاـ فـيـ الشـارـعـ (٢) .

أما اليـسوـعيـونـ فـكـانـتـ لـمـ السـيـادـةـ الثـامـنةـ عـلـىـ زـرـحـةـ حـتـىـ جاءـ الـبـرـوـتـسـتـانتـ فـانـتـزـعـواـ تـلـكـ السـيـادـةـ مـنـهـمـ ، وـلـكـنـ ظـلـ باـمـكـانـ اليـسوـعيـنـ أـنـ يـشـرـوـاـ دـائـمـاًـ شـغـباـ دـينـاـ فيـ عـرـوـسـ الـبـرـدـونـيـ كـمـاـ فـعـلـواـ مـرـارـاـ (٣) .

### فتـةـ عـامـ ١٨٦٠

فيـ عـامـ ١٨٦٠ـ نـشـيـتـ بـيـنـ الـمـوارـةـ وـالـدـرـوزـ فـيـ جـبـلـ لـبـانـ فـتـةـ غـسلـتـ الـبـلـادـ بـالـدـمـاءـ وـتـرـكـتـ فـيـ نـفـوسـ النـاسـ أـسـوـاـ الـأـثـرـ إـلـىـ الـيـوـمـ . إـلـاـ انـ هـذـهـ فـتـةـ لـمـ تـنـشـبـ فـجـأـةـ وـلـاـ اـنـفـاقـاـ ، وـلـكـنـهاـ كـانـتـ تـهـيـأـ خـطـوـةـ خـطـوـةـ . وـلـقـدـ كـانـ مـهـنـدـسـوـهـاـ بـارـعـينـ إـلـىـ حـدـ اـنـ الـذـينـ ذـهـبـوـاـ وـقـوـدـهـاـ لـمـ يـعـلـمـوـاـ يـوـمـذـاكـ أـنـ الدـوـلـ الـاجـنـيـةـ قـدـ هـيـأـتـاـ عـلـىـ أـيـديـ الـمـبـشـرـينـ .

غـزـاـ اـبـراهـيمـ باـشاـ سـوـرـيـةـ ١٨٣١ـ - ١٨٣٢ـ وـظـفـرـ ظـفـرـاـ عـظـيـمـاـ كـادـ يـدـخـلـهـ إـلـىـ اـسـتـانـبـولـ عـاصـمـةـ الـأـمـيرـ طـوـرـيـةـ الـعـشـانـيـةـ نـفـسـهـاـ . عـنـدـئـلـ خـافـتـ الدـوـلـ الـأـجـنـيـةـ عـوـاقـبـ ذـلـكـ فـأـجـبـرـتـ اـبـراهـيمـ باـشاـ عـلـىـ التـرـاجـعـ وـالـانـسـحـابـ مـنـ بـلـادـ الشـامـ كـلـهـاـ . وـلـكـنـ قـبـلـ أـنـ يـنـسـحبـ اـبـراهـيمـ باـشاـ ١٨٤٠ـ كـانـ الـأـمـيرـ بـشـيرـ الثـانـيـ قـدـ اـسـتـبـدـ بـحـكـمـ جـبـلـ لـبـانـ وـجـعـلـ يـظـلـمـ النـاسـ بـطـلـبـ الـأـمـوـالـ وـالـلـحـنـودـ . وـلـقـدـ اـنـتـقـ النـصـارـىـ وـالـمـسـلـمـوـنـ مـنـ سـكـانـ الـجـبـلـ عـلـىـ مـقاـوـمـةـ التـجـنـيدـ خـاصـةـ . حـيـثـيـذـ بـلـ الأـمـيرـ بـشـيرـ إـلـىـ بـنـدرـ بـنـورـ الشـقـاقـ بـيـنـ النـصـارـىـ وـالـمـسـلـمـيـنـ يـنـزـعـ السـلاحـ مـنـ بـعـضـهـمـ وـبـعـضـهـمـ الـآـخـرـ ، فـعـظـمـتـ النـقـمةـ عـلـىـ الـأـمـيرـ . وـكـانـ حـمـلةـ اـبـراهـيمـ باـشاـ وـاـسـتـبـادـ الـأـمـيرـ بـشـيرـ قـدـ تـرـكـاـ الـبـلـادـ فـيـ فـوـضـيـ شـدـيـدةـ . ثـمـ اـنـسـحـبـ اـبـراهـيمـ باـشاـ مـنـ سـوـرـيـةـ وـتـنـفيـ الـأـمـيرـ بـشـيرـ مـنـ لـبـانـ فـيـ عـامـ وـاحـدـ ، وـلـكـنـ الـفـوـضـيـ ظـلـلتـ سـائـدـةـ .

(1) Jessup 415 - 420.

(2) Jessud 149.

(3) Jessup 416 ; cf. Jesuites en Syrie 6 : 25.

(١٠)

وجاء الأمير بشير الثالث، او بشير بن ملحم، الا انه كان حاكماً ضعيفاً فزاد الاضطراب وعمت الفوضى في الجبل. ثم ان الدول الأجنبية لم تعجز عن قسمة أهل جبل لبنان قسمين: تعلق الموارنة منهم بفرنسا ، واستعمال الانكليز الدروز (١) . ومن قبل فتنة عام ١٨٦٠ كان الافرنسيون فعلاً يساعدون الموارنة ، اما الانكليز فكانوا يساعدون الدروز (٢) . ونشبت اضطرابات بداعية بين الدروز والنصارى ، ولكنها كانت اضطرابات اقطاعية (٣) في سبيل حكم جبل لبنان ، اذ جعلت فروع آل شهاب تتنازع الحكم عليه . وعز على آل نكد أن يخسروا امتيازاتهم فاشتركوا في هذا الزاع .

وحاولت حكومة استانبول ان تقرب وجهات النظر بين الاقطاعيين المتنازعين فلم تستطع ، فعزلت الأمير بشير الثالث لسوء سياسته وعيت مكانه عمر باشا النمساوي فاحتاج اصحاب الاقطاعات – لأن الأمر خرج من يدهم بالكلية ومن يد خصومهم ايضاً – واحتجت الدول الأوروبية كذلك وطلبت اعادة الامارة الى آل شهاب ، لاحجاً بالآل شهاب ولكن انتهازاً للتدخل في شؤون البلاد العربية . ومع أن الدولة العثمانية لم تقبل باعادة آل شهاب الى الحكم فانها نزلت عند رغبة الدول الأوروبية وضغطها فسحبت عمر باشا من جبل لبنان .

### تقسيم جبل لبنان في القرن الماضي

### وتقسيم فلسطين البحوم

ولبلغ اهتمام اوروبية جبل لبنان ان الامير مترنخ ، مستشار النساء وأعظم شخصية سياسية في القرن التاسع عشر ، ابدى اهتماماً كبيراً بشكل الحكم الذي يجب أن يطبق على جبل لبنان . غير أن تدخل مترنخ كان لمصلحة الدول الأجنبية ولم يكن لمصلحة الدولة العثمانية ولا لمصلحة جبل لبنان نفسه . لقد اقترح مترنخ أن يقسم جبل لبنان قائمتين احدهما اسلامية والثانية مسيحية . فاضطررت الدولة العثمانية الى قبول هذا الاقتراح ، وقسمت لبنان قسمين جنوبياً وشمالياً ففصل بينهما الطريق المتعدد من بيروت الى دمشق .

(1) cf. Lammens , La Syria , II 164s , 17 lss.

(2) Penrose 3 .

ادا اراد التاريخ ان يتهم كثيراً من اسباب الزاع في هذا العهد فإنه يحسن به الرجوع الى كتاب «المرکات في لبنان الى عهد المتصوفة» رواية حسين غصيـان ابـي شـفـرا وتألـيف خطـار ابـي شـفـرا ، تـشـرـيفـا عـارـفـا ابـرـشـفـرا (بيـرـوـتـ ١٩٥٢ـ) .

ولقد جعلت القائمية الجنوبيّة الإسلاميّة تحت حكم الأمير أحمد أرسلان ومركزه بيت الدين . أما القائمية الشماليّة المسيحيّة فوضعت تحت حكم الأمير حيدر اسماعيل أبي اللمع وجعل مركزه في بكفيا . وأما دير القمر ، مصدر الفلاقي الصالح ، فوضعت تحت ادارة مسلّم تركي . ولا ريب في أن قسمة جبل لبنان على هذا الشكل لم يكن يراد بها خير لبنان ولا تسهيل ادارته ، بل كان الاستعمار يريد منها غاية ذكرها أنيس صايغ في كتابه « لبنان الطائفي » ، قال (١) :

ووَقْسِمَ لِبَنَانَ (بَعْدَ اُعْلَانِ الْمُتَصْرِفَيْةِ) إِلَى مُدِيرِيَّاتٍ وَقَائِمَامَيَّاتٍ، تَجْتَمِعُ كُلُّهَا فِي لِبَنَانَ مُوحَدٌ .. إِلَّا أَنْ حَدَودَ لِبَنَانَ نَقْلَصَتْ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلًا . فَقَدْ سَلَخَ عَنْهُ أَقْلِيمَ وَادِي الدِّيمَ وَبَيْرُوتَ وَصَيْداً وَطَرَابلِسَ وَبَلَقَاعَ وَعَكَارَ – وَمُعْظَمُهَا مَنَاطِقُ اسْلَامِيَّةٍ . وَالْحَصْرُ لِبَنَانَ الْجَدِيدِ فِي ثَلَاثَةِ أَخْمَاسِ لِبَنَانَ الْقَدِيمِ . وَقَدْ أَرَادَتِ الدُّولَ مِنْ ذَلِكَ الْمَشْرُوعِ جَعْلَ لِبَنَانَ بِلَدًا مُسْبِحًا ، غَيْرَ مَهْتَمَةً لِلخَسَائِرِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ الَّتِي تَنْجُمُ عَنْ سَلَخَ هَذِهِ الْمَنَاطِقِ .

والغريب أن الاستعمار عاد بعد نحو قرن كامل من الزمن إلى هذه النّغمة الشاذة واستأجر عملاً وأذناباً يكتبون في هذه الدّعوة تلميحاً وبيتون فيها الكلام سراً ولكن صريحاً . ومع العلم بأن مثل هذه الدّعوة لا يمكن أن تنجح اليوم عملياً ولا نظرياً ، فإن الذين يستخدمهم المستعمرون في الترويج لها ليسوا قليلين . ومن المؤسف أن يكون بعض اللبنانيين قد طالب بتأسيس دولة صهيونية في فلسطين ودولة مسيحية في لبنان منذ عام ١٩٣٥ ، ثم في عام ١٩٤٥ على الأخص (٢) ، قبل أن تولد دولة إسرائيل مما يدل على أن هذه الدّعوة جاءت من الخارج . ولم يكتف الاستعمار بهذه الدّعوة في لبنان نفسه ، بل أراد أن يكسوها لباساً دولياً فاستكتب فرداً من أولئك الذي لا يحترمون رأياً إلا إذا جاء من أجنبى وجاء معه مبلغ من المال – وهو لاء قليلون جداً والحمد لله – كتاباً اسمه « لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الأدنى ». قيل أن هذا الكتاب طبع بلغات متعددة وزُوِّجَ على رجال السلك السياسي في لبنان وفي خارج لبنان ، كما وزع أيضاً في البلاد التي يكثر فيها المهاجرون من

(١) ص ١٢٥ .

(٢) راجع لبنان الطائفي ١٦١ .

(3) S. O. S, The Lebanon, the « Christian National Home » of the Near East , 39 pages. No place of printing and no date .

لبنان . وكان التوزيع لهذا الكتاب سراً ومجاناً بالطبع . غير انني لم أر من هذا الكتاب الا نسخة عربية ونسخة انكليزية (١) . ويقال انه طبع باللغات الفرنسية والاسانية والبرتغالية أيضاً . هذه النغمة ، نغمة التقسيم ، لم تمت ولا يزال المستعمر يحاوّلها مرة بعد مرة . وما تقسيم فلسطين الا ذيلاً من ذيول تلك السياسة .

لقد قدرت اوروبية بعد قرن واحد أن تعود الى السياسة نفسها في شأن فلسطين : لقد قسمتها — ظلماً وعدواناً — فأعطت الشرق والشمال للعرب ، وأعطت الغرب والجنوب لليهود وأرادت تدوين القدس بوضعها تحت حكم حاكم أجنبي (٢) . وقضية القدس لم تنته بعد بل هي ثائرة الى اليوم . ولا ريب عندنا أبداً في أن مشكلة فلسطين لم تولد جبأً باليهود ، ولا بالعرب طبعاً ، وإنما هي مصالح الدول الكبرى تفعل فعلها دائماً في فلسطين وفي الصين ، وفي كل مكان تكون القوة فيه حكماً بين المتناظرين .

لقد عرفنا كيف أوقفت جبل لبنان في القرن التاسع عشر الى النعرة الطائفية : ان السياسة الاستعمارية هي التي لعبت دورها يومذاك ووضعت في لبنان خطأً فاصلاً ظاهراً ورسيناً بين النصارى وبين المسلمين ، ثم حملت البلاد مشاكل كانت البلاد في غنى عنها . ولقد انعقد جميع الحكام والمؤرخين ، فيما بعد ، قصة جبل لبنان قسمين مسيحيآً ومسلمآً ، ولم يكن الأمير مترنخ منظم موتمر فيهنـة والقاضي على خطط نابليون وعلى نتائج الثورة الفرنسية وحافظ الملك على عروشهم في أوروبا بالغافل عن وجه الصواب والخطأ ، ولكن السياسة الاستعمارية هي التي أوحت اليه بما اقترح .

وبعد ان كانت الاضطرابات اقطاعية أصبحت دينية وأصبح حلها غير ممكن . ان حل هذه المشاكل لم يبق معتمداً على تراضي سكان جبل لبنان وحدهم ، بل كان خاصعاً الى حد كبير لرضى الدول الأوروبية . اما رضى الدول الاجنبية فقد كان عسيراً ، لأنها لم تكن تريد حل المشكلة بل كانت تريد دوام الاضطراب في الامبراطورية العثمانية ليتسع لها التدخل كلما شاءت .

ولقد صدق ظن المخلصين ، فان الاحقاد قد غذيت بهذا التقسيم وبعثت به في جبل لبنان الأضغان . ثم ما زالت الفوضى تعم والدسائس تنمو حتى انفجرت الصدور في عام ١٨٤٥ « في كسروان حيث تأب الأهلون واجتمع الغوغاء ساحلين السلاح برئاسة

(١) الماشية ٣ على الصفحة السابقة .

(٢) التقسيم الذي اقررته هيئة الامم .

زعيمهم طانيوس شاهين وتهددوا المشايخ<sup>(١)</sup> بسوء العاقبة . وكان بدء الاسماء في ذوق مكابل (قرب جونية) لكونها مركز الاستثمار والشغب في الشعب فحدث ما ساء ولم يخل عن اراقة الدماء . ثم اندفعت العامة المتجمهرة على أموال المشايخ وأملاكهم نهباً وغضباً ، فقر المخازن<sup>(٢)</sup> لاجئين الى مدينة بيروت .. ثم امتدت الثورة من كسروان الى المتن (شمالي طريق بيروت دمشق مباشرة ) وال محلات المختلفة . ولربما كان للأكليرicos في أول الأمر ضلع مع الأهالي<sup>(٣)</sup> .

على أن الفتنة التي أخذت تطل برأسها أو تفجر منذ عام ١٨٤٠ لم تكن كافية لتبرر التدخل الأجنبي ، لقد كانت فتناً اقطاعية في الأغلب ، ودينية بالعرض . ثم أنها كانت قاصرة على اقسام خاصة من الجبل يثور فيها المسيحي على المسيحي او الدرزي على الدرزي . واخيراً أفلح الظالمون فأثاروا فتنة عام ١٨٦٠ وقسموا السكان قسمين واضحين : مسلمين ونصارى ، فبردت بذلك بعض الصدور وأسرعت الدول الغربية ترسل جيوشها وأساطيلها الى شواطئ بلادنا لحماية ... النصارى . ولو فرضنا ان فرنطة وحدتها ارادت حماية النصارى لكان ذلك معقولاً ، اذ يقال ان السلاح استقر في ايدي الموارنة من ايد فرنسية . ولكن انكلترة التي قدمت فيما قبل أيضاً السلاح الى الدروز قد ادعت الآن حماية النصارى .

وبعد أن وقعت الواقعه وهدرت الدماء البريئه من الطرفين ولطخ تاريخ وطننا بالسوء ووصلنا كلنا بالتعصب وقف المبشرون يعبرون عن رأيهم في النار التي أججوها وألقوا فيها وقوداً .

يزمّن جان بيانكي الأفوني ، وهو سيس بروتستانتي ورئيس شرف جمعية المبشرين البروتستان في باريس وأستاذ اللغة الفرنسية في الجامعة الاميركية في بيروت ، القول فيعرف هذه الفتنة بأنها «مدحّجة» قام بها الدروز لقتل النصارى الاوثوذكس والموارنة<sup>(٤)</sup> . ولقد غاب عن بال جان بيانكي الفرنسي ان « مدحّحة حقيقة » قد هيئت من قبل في وطنه فرنطة ، وأنها كانت ايضاً في ظاهرها دينية وفي باطنها سياسية الى ابعد مرامي

(١) المشايخ هنا روّس الأقطاع ، وقد كان من المشايخ دروز ونصارى على السواء .

(٢) آل المخازن نصارى .

(٣) راجع لبنان ، تأليف بلخنة من الأدباء ، بيروت ، الطبعة الأدبية سنة ١٣٣٤ هـ . الصفحات ٢٩٨ - ٣٠١ . ثم ثورة وفتنة في لبنان ، تأليف أنطون المققي ، نشره يوسف يزبك (بيروت ١٩٣٦) ، ثم المركبات في لبنان لعارف أبي شقرا .

(4) Bianquis 6 , 27 .

السياسة . تلك هي مذبحة القديس بارثيميو التي نفذت ليلة عيد هذا القديس ( في ٢٣ آب ١٥٧٢ ) وذهب في نارها ألفان من الموغونت (١) البروتستان في باريس وحدها ونحو عشرة آلاف آخرون في فرنسة خارج باريس (٢) .

ويرى المبشر الامريكي هنري هاريس جسب هذه الفتنة اعلاناً ناجحاً ، فقد اضطررت لها اوروبية وامريكة ، واصبح لبنان بها معروفاً في العالم الغربي فامكن ان تجتمع الاعنان باسمه والتثمير فيه (٣) .

اما يوليوس رشر الالماني فقد اجرى في أول الأمر الدもう على خديه وقال : « ان هذه المذبحة الجديدة قد أثارت رحمة قوية في العالم المسيحي ». ولكن يعود فيما يلي هذه الدもう من وجهه وعينيه ليتبادر بها ابتسامة اطمئنان ويقول : « وعن هذه الطريق بدأ في عام ١٨٦٠ فصل جديد في تاريخ الجهود البروتستانية في الشرق الادنى (٤) » .

ويختلف المبشرون في نسبة التبعية الى المقاتلين . إن رشرت مثلاً يرى ان الذنب كان على الموارنة : « لقد كان الموارنة مرة ثانية مخطئين ، فعلى الرغم من المزاعم التي مُنوا بها في عام ١٨٤٢ و ١٨٤٥ ، فاتهم ظلوا تواقين الى اذلال جبرانهم . ومن غير سبب سقط الموارنة عام ١٨٦٠ على بعض قرى درزية . ولكن الدروز نهضوا اليهم نهضة رجال واحد (٦) . أما دانيال بلس فيرى ان التبعية تقع على اكتاف المسلمين ، قال (٧) : ولقد بقينا حيناً (بعد الفتنة) نخشى هجوماً على مدينة بيروت ، إذ قيل ان اتفاقاً عقد بين دروز الجبل وبين قسم من النوع السافل في المسلمين لهاجمة المدينة في ليلة ما ... ثم ان جميع السكان

### (1) Huguenots

(2) A General Hist. of Europe, by Robinson, Breasted and Smith, Boston  
Etc. 1921. p. 336.

(3) Jessup 215.

(4) Richter 201 ff.

(S) Les Jésuites en Syrie 12 : 17, 18.

(6) Richter 198.

(7) Bliss 153, 154.

المسلمين من ذلك النوع السافل كانوا في كل مكان يلوحون بعصبهم ونبأيthem (١) ...  
اما اليهود فيزعمون انهم لم يكونوا يريدون هذه المذبحة لانها هددت اعمال التبشير (٢)  
مع العلم بان بعضهم خاصتها وابلي فيها البلاء الحسن ( كالراهب بوناشيتا مثلاً ).  
هذه نماذج من آراء المبشرين في فتنة سنة الستين ومن نياتهم المبيبة واعمالهم ايضاً.  
اما الأحسان الذي اسلوه الى المنكوبين فهو في فصل الأحسان من هذا الكتاب .

•

ولكن ماذا يهمنا الآن من حمل التبعة على الموارنة او على الدروز ؟ ان هذه « الفتنة الدينية » كانت نقمة على لبنان ، ولكنها حمقت للدول الأجنبية هدفاً عظيماً . أجل ، قد لا يكون هذه الفتنة صلة بالدين ، ولكن كان لها بلا ريب صلة بالسياسة : لقد « انعقد في بيروت مؤتمر دولي حضره المفوض السطاني مع خمسة من وكلاء الدول ومفروضيهم ، اعني دولة انكلترة وفرنسا والروسية والنمسة وبروسية ... وقرروا ان تكون ادارة الجبل بواسطة متصرف مسيحي من طرف الدولة العلية برضاء الدول » (٣) . هذا المتصرف (الحاكم ) يجب أن يكون نصرايناً اوروباً ومن اتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، لا وطنياً سورياً مسلماً او مسيحياً (٤) .

(1) Bliss 152 , 154 .

(2) Les Jesuites en Syrie 11: 13 .

(3) لبنان « تأليف بلنة من الادباء » ٣٩١ - ٣٠٢ .

(4) Jessup 210 .

## الفصل السابع

### السياسة طريق التبشير

(٣) الادارة الاجنبية في خدمة التبشير

لقد اثمر التعاون بين السياسة والتبشير ثمرته الاولى واخذت الاقطان الشرقية - التي لم تكن قد استعمروت من قبل - تسقط تحت النير الاجنبي وتخضع لادارة أجنبية مباشرة . ان هذه الادارة الأجنبية لم تقض الآن المبشرين لأنها نالت حاجتها من جهودهم ، بل زادت في تقريرهم (١) . ان الحاجة الى المبشرين لم تنته ولكنها أصبحت الآن اعظم ضرورة من ذي قبل : ان ادارة البلاد المغلوبة على أمرها تفر من الخضوع بسرعة ، ولذلك لم يكن بد من اخضاعها بطريقة مستترة بعيدة عن المظاهر العسكرية او الرسمية على الأقل . ولم يكن لدى الدول الأجنبية أفضل من المبشرين الذين أصبحوا يفهمون البلاد وأهلها ويعرفون مداخل الأمور فيها وأهواء المتنفذين من رجالها . ولكن المبشرين لم يرضوا أن يفعلوا ذلك فقط ، بل أرادوا ان يتحققوا هم رغباتهم الظاهرة على الأقل حتى يتبحروا للدول أن تتحقق جميع رغباتها الحقيقة . كل هذا ونظر الدول الأجنبية متوجه الى نقطتين في الامبراطورية العثمانية أضيقتهما القلاقل : مصر وجليل لبنان .

### في صلب التدخل السياسي

وقف المبشرون ورجال السياسة الآن وجهاً لوجه : أي الفريقين يجب أن يتقدم الآخر . ان المعروف في التاريخ ان المبشر كان يدخل البلاد ثم يأتي الجيش على أثره ، ولكن المبشرين منذ القرن التاسع عشر أحبوا ان يتقدم الجيش أولاً ، لأن ذلك يسهل مهمتهم . ولذلك كان

(١) بدأ تأليف هذا الكتاب قبل ان يتمهي الاندماج على بلادنا ، وهذاقطع اشارة الى ذلك .

الحكام الوطنيون في كل بقعة على حق حينما كانوا « يعتقدون ان مجيء المبشرين ينتهي دائمًا بتدخل الدول النصرانية في بلادهم ، وبخسارتهم جزءاً من استقلالهم (١) .

ولكن هذه الطريق طويلة ، ولذلك كان المبشرون يرغبون في أن تتدخل الدولة بقوتها أولاً ثم يأتون هم فيجدون الطريق ممهدة للتصدير : ان المبشر وطسون اقترح أن تتعاون الحكومات الغربية في سبيل منع انتشار الإسلام بين القبائل الوثنية في إفريقيا (٢) حتى تكون مهمة المبشر أهون لفقدان المنافسة . إن المبشر يخشون تلك المنافسة خشية شديدة . يقول غاردنر ان نزول الارساليات المسيحية على ساحل غانا ، من نهر غامييه الى نهر النiger (على ساحل إفريقيا الشمالي الغربي ) ، للتبيير بين الوثنين من أهل إفريقيا ثم احتلال الدول الأوروبية لهذه المناطق ولاءها هما اللذان اقاما الإسلام والنصرانية وجهاً لوجه في تلك الأصقاع (٣) ، كل دين يحاول أن يجذب إليه أولئك الوثنين . ولم يكن في الأمر منافسة لو لم تقف الدول الأوروبية بجانب مبشرها .

وأخيراً أخذ الضعف يدب فعلاً في الامبراطورية العثمانية فاختفت الدول الأجنبية ذلك السور الذي كان مضروباً عليها ، ثم تغلقت من طريق الفتح ومن طريق التسلسل السياسي في شبه جزيرة العرب وفي مصر وسوريا وقبرس وغيرها . وهكذا لم يبق من حاجة الى المبشر لشق الطريق امام الجيش الزاحف ، ولكن ظلت الحاجة اليهم ماسة ليساعدوا في تثبيت الأقدام حيث نزل الجيش . ولكن المبشر رأوا ان الجيش وحده كان يقوم بمهمة الفتح ومهمة تثبيت الأقدام فأرادوا ان يستفيدوا هم فقط من هذه السيطرة العسكرية السياسية . قال جسب : ان القسم الأكبر من المسلمين قد أصبح في حكم الدول النصرانية فيجب الاستفادة من هذه الحالة الراهنة (٤) . وصرح رشرر فقال : ان مائة وستين مليوناً من مائتين وخمسين مليوناً من المسلمين في حكم الدول النصرانية ، فواجب هذه الدول اذن ان تمهد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا (٥) .

ولكن رغبة المبشر لم تكن في حقيقة الأمر منافاة لغاية الدول الأوروبية الطامعة الى الاستعمار . ان الدول الأوروبية بدأت تنزل مستعمرة في الشرق الأدنى خاصة منذ الثالث الثاني من القرن التاسع عشر . وينـ المبشر صموئيل زويمر على المسلمين فيقول في المؤتمر

(1) Islam and Missions 172 f.

(2) ibid. 192 .

(3) Gairdner 280 .

(4) Jessup 767 f .

(5) cf . Richter 77 .

التبشيري الذي عقد عام ١٩١١ في لكتاو بالهند : ان خمسة وتسعين مليوناً على أقل تقدير من اتباع النبي مكة يتمتعون اليوم بنعمة الحكم البريطاني (١) ، وهو يقصد من ذلك ان طريق التبشير الى هذه الملايين الكثيرة من المسلمين قد أصبحت معبدة . ويكشف المبشرون اخيراً القناع عن غايتهم الحقيقة فيقول بعضهم : ان الاحتلال الانكليزي لمصر وقبرس قد ساعد على تسهيل التعليم باللغة الانكليزية وبالتالي على التبشير (٢) . ويقول بعضهم الآخر ان رسوخ حكم الانكليز في السودان قد سهل مهمة المبشرين (٣) في ذلك الصقع المسعم . ثم يبني المبشر زويم رأياً صريحاً للمبشر جسب فيقول : ان الأبواب المفتوحة التي توُدِي فعلاً إلى الإسلام إنما هي المستعمرات التي يعيش فيها المسلمون تحت حكم مسيحي او حكموثي ايضاً (في إفريقيا والهند مثلاً) (٤) . الا ان المبشر واطسن يلاحظ ان استبدال الحكومات الوثنية (في إفريقيا) بحكومة غربية (مسيحية) كان على العموم في مصلحة المغاربيين التبشيرية . ولكن ازالة دولة وثنية كان يزيل عنصراً قوياً من عناصر مقاومة المسلمين ، فان الإسلام يتشر بين الوثنين في ظل الحكم الأوروبي أكثر مما ينتشر في ظل حكم وطني وثني خالص (٥) .

\*

ويرى المبشرون بوضوح ان السيادة الغربية في قطر اسلامي ما معناها تسهيل انتقال المسلمين الى النصرانية . أما فقدان هذه السيادة فيفتح حركة عكسية تماماً .  
نشر المبشر كنيث لاتورت (٦) مقالاً في «المجلة الدولية للرسائل» عنوانه : «الجماعات النصرانية القديمة في آسيا ومقامهم في خطط ما بعد الحرب (٤) (ال العالمية الثانية) . يقول الكاتب :

كيفما اتفق لنا أن نفك في الشرق الأدنى وفي غرب آسيا ، فإن الكثرة من الصابئين قبل الحرب العالمية الثانية على يدي الرسائل البروتستانتية أو الكاثوليكية كانت من أبناء الكنائس الشرقية . ومعنى هذا – ما لم تكن الولادات قد زادت على الوفيات – أن عدد

(1) Islam and Missions 14 .

2) Jessup 595 f .

3) Milligan 29 .

4) Islam and Missions 22 ,

5) ibid . 189 .

6) Kenneth S. Latourette .

7) The International Review of Missions ; Pre - War Christian Groups in Asia in Post - war Planning , Apr . 44 , pp 138 - 146 .

النصارى في العالم لم يزدد . أما الانتقال من النصرانية إلى الإسلام فقد كان – كما يظهر – أكثر من الانتقال من الإسلام إلى النصرانية .. على أن ثُمَّت تأثيراً مسيحياً كبيراً في حياة المسلمين وسلوكهم قد جاء على يدي هذه الارساليات نفسها ...

ولكن يجب أن نذكر على كل حال أنه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما الا بعد أن تبدل ذلك القطر بحكومته الإسلامية حكومة غربية مسيحية ، وذلك فقط اذا كانت هذه الحكومات الغربية المسيحية تنهي سياسة فعالة في مساعدة الارساليات . ويأسف كثيرون لأن انتصار مبادئ الأمم المتحدة في العالم سيزيد في جاه دول الشرق الأوسط وسيخرج بالتالي بلدان هذه البقعة المهمة من العالم من نطاق التفروذ التبشيري . وهو يُرَوَّع بما حدث في تركية بعد الحرب العالمية الأولى ، فأئمها قد ضربت حولها نطاقاً دون التبشير . ثم يقول : ونحن واثقون من أن جهود المبشرين ستنتقل افراداً معدودين إلى النصرانية ، ولكن التنصير البخامي لا يمكن أن يتطرق ...

ولا ريب في أن انسحاب بريطانية من الهند (١) سيقود – في رأي الكاتب المذكور – إلى تبدل أساسى في مشروع التبشير في الهند نفسها . لقد كان الموظفون ، في أثناء الحكم البريطاني ، يُؤخِّلُون من النصارى ببنسبة لا تتفق مع عددهم بالإضافة إلى المسلمين أو الهندوس . إن النصارى سيفقدون بعد الآن هذا الامتياز ، وربما دفعهم فقرهم حيثند وقلة عددهم إلى أن يفقدوا أثراً لهم في المجتمع الهندي (٢) .

\*

ومنذ أيام محمد علي باشا ، في مطلع القرن التاسع عشر ، طمع المبشرون بمصر لأنَّ "محمد علي أراد أن يدخل المدينة الأوروبيَّة إلى مصر ، فطبع هؤلاء إلى أن يتسللوا مع المدينة الغربية إلى عقائد المسلمين . وبينما ان المبشرين تعمدوا بعض الحرية حتى جاء عباس الأول عام ١٨٤٨ وهو الذي نعنه المبشرون بالقاسي لأنَّه قاوم التبشير . أما سعيد باشا (١٨٥٤ – ١٨٦٣) فقد نعنه المبشرون بالعقربي لأنَّه سمح للتفروذ الأوروبي أن يعود سائداً في وادي النيل (٣) ، مع أنَّ عهد سعيد باشا كان عهد نكمة على مصر وعلى المصريين .

وجاء بعد سعيد باشا الخديوي اسماعيل فأمدته أوروبة بالأموال حتى اغرقه في

(١) خرجت الهند من الحكم البريطاني في آب ، عام ١٩٤٧ .

(٢) Tirm. Apr. 44, pp. 183 f. i. 141.

(٣) Addison 139 f.

المستعمرة لا تهمها الناحية الدينية كعقيدة ولكن كوسيلة إلى غايتها . ولقد كان التبشير في السودان المصري مهمة صعبة ، وكانت النتائج مستحبة . ولذلك وجه المبشرون جهودهم نحو جنوب السودان حيث يكثر الوثنيون . حتى الوثنيون لم يكونوا يقبلون على المسيحية ، فكان عمل المبشرين من أجل ذلك قاصراً على منع انتشار الإسلام في تلك البقعة الفسيحة من إفريقيا (١) .

ولما لم تستطع الجمعيات التبشيرية أن تخوض في التبشير خطى متوجهة ، استعانت بالدول المستعمرة ، فأعانتها تلك الدول المستعمرة في أماكن متعددة كالبحرين (٢) واليمن . وبعد أن استولى الانكليز على عدن أخذ المبشرون عدن مركزاً يرسلون منه نشراتهم التبشيرية إلى قلب بلاد العرب أو يخالطون القوافل ليشرروا في أهلها (٣) . وكذلك فعل المبشرون في جزر الهند الشرقية ، في جاوة وسومطرة وسواها (٤) .

اما الروسية القيصرية فكانت ذات اسلوب خاص بها مستمد من استبدادها . كانت الروسية في القرن التاسع عشر ، وفي إبان استبدادها ، تحمل المسلمين من رعاياها على التنصير بقوة السيف . فلما أعلنت الحرية الدينية في الروسية في السابع عشر من نيسان عام ١٩٠٢ عاد خمسون ألفاً إلى الإسلام وحملوا معهم عدداً آخر من لم يكونوا مسلمين قط (٥) . واستطاع المبشرون فرحاً لما أصبح لبنان متصرفية بعد فتنة عام ١٨٦٠ وأصبح حكامه من النصارى الأوروبيين . قال رشر : إن مقاطعة لبنان لتقترب منذ عام ١٨٦٢ بمحاكم مسيحي وبحرية نسبية (للمبشرين) . ثم لا يكتفي رشر بهذا الفرح وهذا الاغبطة ، بل يود أن توالي الدول الأجنبية تدخلها بالقوة كلما لزم الأمر توسيعاً لحركة التبشير بين المسلمين خاصة (٦) .

ولم تكن نظرة رشر خاطئة ، فإن المتصرفين (حكام لبنان بعد فتنة عام ١٨٦٠) كانوا يشجعون التبشير . زار وفد من المبشرين ، فيهم دانيال بلس « رئيس الكلية السورية الانجليزية في بيروت (الجامعة الاميركية اليوم) » ، والدكتور ادي ، ودنيس ، وجسب وغيرهم ، متصرف جبل لبنان واصا باشا في الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٨٨٨ ،

(1) cf . Milligan 29 .

(2) Richter 276 .

(3) Richter . 273 f.

(4) Islam and Missions 198 .

(5) ibid . 196 .

(6) Richter 79 .

فقال لهم واصا باشا : « طمثنا اصدقاءكم وحكومتكم (الاميركية) باني سأعمل ما في  
وسي حمايتكم وحماية عملكم ». وكذلك كانت سياسة رسم باشا من قبل (١) .

### فرنسا خاصة

أما فرنسة خاصة فكانت تعتقد ان التفوذين الديني والسياسي في جبل لبنان احتكار  
لها دون سائر الدول . من أجل ذلك ساءها أن ترى المبشرين البروتستانت يتمتعون بحماية  
رسمية ، وشاء المنصرف داود باشا – وكان أرمنياً – ان يرضي فرنسة فمتع القسس الموارنة  
بالحرية لاستئصال شأفة البروتستانية (٢) .

وعلى هذا المنوال سارت الحال في جبل لبنان حتى نشب الحرب العالمية الأولى عام  
١٩١٤ ، فرأىت الدولة العثمانية في نظام التصريحية خطراً على امير طورينها فألغته . وهكذا  
سكنت حركة التبشير لنبعها بعد أربعة أعوام من جديد بقوة واتساع ، حينما احتل الانكليز  
والافرنسيون سوريا وقلعوا ظل الدولة العثمانية عن شرق البحر الأبيض المتوسط كله .  
على أن هذا الاحتلال الثاني لم يطل كثيراً ، بل انسحب الانكليز الى جنوب سوريا  
(فلسطين وشرق الأردن) وظل الافرنسيون في الشمال (سوريا ولبنان) . وهكذا صالح  
المبشرون اليسوعيون في منطقة الانتداب الفرنسي صولة شديدة ثم جعلوا – بعد أن كانوا  
يلمدون – يصرحون ويلوحون . فمن أقوالهم :

لما فتحت المدنة عام ١٩١٨ للمبشرين طريق سوريا من جديد ، وطه أولئك المبشرون  
أقدامهم في حوران ، وفرضهم الأساقفة الكاثوليكيون بما كانوا قد اجروا على تركه  
عام ١٩١٤ (٣) .

وأشد من ذلك تلوينا قوطم :

« ايها المبشرون ، هذه فرص لم تسع لكم من قبل (٤) » .

ولم تكن الدولة الافرنسية المتبدلة وحدها عوناً لليسوعيين على تصدير غير النصارى ،  
بل ان الحكومة المحلية – التي لم تكن الا وجهاً آخر للدولة الانتداب – كانت تساعد في  
ذلك : يقول اليسوعيون أنفسهم (٥) :

(1) Jessup , 532.

(2) Jessup . 250 .

(3) Lss Jesuites en Syrie 10 : 64 .

(4) ibid 11 : 26 .

(5) ibid 10 : 66 .

« من الأمور المستجدة منذ الانتداب انتشار الأمن المطلق تقريراً في البلاد اللبنانيّة . ان المبشرين القدماء كانوا يعملون دائماً إما في وجه حادثة مثيرة أو على خوف من كمين بدؤوي أو طلق ناري من مصدر مجهول ، أو معرضين لقطعان الطريق . أما اليوم فلم يبق أثر للبنادق – فقد صادرها الفرنسيّون – ولقد دفع الذين حاولوا الاعتداء على المبشرين ثمناً غالياً » .

كان اليسوعيون يتّجهون بهذه الأقوال عام ١٩٣٠ ، حينما كان ظلم الأفرنجيين المختَم على بلادنا في أوجه ، وحينما كانت فرنسة تظن أن دولتها لن تدول . وهكذا كشفت فرنسة القناع عن وجهها في السياسة الاستعمارية : لقد أرادت الادارة الفرنسية أن تقوم بحركة تنصير واسعة في البلاد مستعينة باليسوعيين ، فاختارت بلاد العلوبيّن حول اللاذقية . يشهد اليسوعيون (١) أن فرنسة أرادت ، بعد عهد من الاستعباد والجهل غطى بلاد العلوبيّن ، أن توجد للعلوبيّن دستوراً حرراً (لانتزاع العلوبيّن من الإسلام وادخالهم في النصرانية ) ، على شرط أن يساعد هذا الدستور على تحقيق ذلك بلا ضجة . لذلك أصدر المسيو شوفلر ، جلاد بلاد العلوبيّن ، مرسوماً بتاريخ (٢ أيار ١٩٣١ وتحت رقم ٢٩٠٨) يجعل الانتقال إلى المذهب الكاثوليكي يجري في المحكمة العادلة من غير حاجة إلى الاجراءات المعقّدة !

ويحمل أنيس صايغ في كتابه « لبنان الطائفي » تدخل فرنسة في لبنان خاصة واستغلال السياسة والتجارة والعلم والطائفية في سبيل مصالحها هي ، مع الإشارة إلى المنافسة الشديدة في هذا الشأن بينها وبين انكلترة خاصة ، قال (٢) :

« إلا أن التدخل الأجنبي في شؤون لبنان ، بالمفهوم الاستعماري الحديث ، لم يبدأ إلا في القرن الماضي . ولم يست هذه الحوادث التي ذكرناها إلا مقدمات للاستعمار الحقيقي الذي عرفه لبنان في القرنين الأخيرين ، إذ أصبحت سوريا الطبيعية ، ضمن ممتلكات الامبراطورية العثمانية ، مطمع دول أوروبية المتنازعة فيما بينها ، والساعية إلى توسيع ممتلكاتها ومناطق نفوذها على حساب بعضها بعضاً ... »

(١) Les Jesuites en Syrie 10 : 37 .

(٢) ص ٩٣ - ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٧٠ ، ١٠٩ ، ١٠٩ .

« وجد هؤلاء الاستعماريون أن الخطة الأولى في سبيل السيطرة على لبنان تستوجب استثمار الطائفية فيه - في إثارة طائفية على أخرى ، وفي رعاية طائفية ضد أخرى . لذلك غذى هؤلاء الطائفية ونموها وتعهدوها بأموالهم ودهائهم ، بحيث أخذت الطائفية مفهوماً جديداً ، وأصبحت ، لدى الكثرين ، مجرد وليدة لهذه الغذنية الاستعمارية الآتية . وأخذ رجال الحكومات الأجنبية ، من وزراء وقناصل وعمال مأجورين ، الدور الذي كان لرجال الإقطاع في العصور الوسطى ..... دور التستر وراء قناع الطائفية ، لتحقيق الأطماع الجزئية .

« بدأت هذه المرحلة في القرن التاسع عشر . وقد يزغ هذا القرن أثناء ولاية الأمير بشير الثاني ، الملقب بالكبير . وقد اعتمد الأمير المذكور على الطائفية ، كوسيلة للمحافظة على نفوذه في الشعب ، أكثر من أي لبناني آخر . وخلف عصره بالملوّمات الطائفية ، العلنية والخفية ، التي كان هو يحيكها ، لوحده ، أو بتعاونه مع الدول الأجنبية ، ليلهي الشعب عن الثورة عليه ، ويؤمن لسيادته الامتداد الذي يريده .

« وكانت فرنسة تعتبر نفسها حامية المسيحيين في الشرق ، وخاصة الموارنة في لبنان ، بمقدار ما كان الموارنة يعتبرونها صديقتهم الكبيرة الأولى . فقد جرت التقاليد في البلدين على اعتبار الصداقه المارونية والإفرنجية في غاية العراقة ، تدعهما القرون الطويلة ، وتجعل فرنسة لا تقبل منافسة دولة أخرى في هذه الصداقه ، وتجعل الموارنة لا يقبلون منافسة طائفية أخرى في الولاء لفرنسا .

« ودعمت فرنسة هذه العلاقة السياسية المتسرّة بثوب ديني تعهد العلاقات التجارية والإرساليات التبشيرية بين لبنان وفرنسا . فقد ضاعفت فرنسا عنایتها بأمور التجارة ، وأرسلت القنصل وأست المكاتب والراکتر الثابتة لتسهيل أمورها . وكانت فرنسا منذ ١٩٢٠ قد حاولتضم لبنان إليها بالقوة ، للحصول على ثروته وكنوزه ، حينما أرسلت أسطولاً يتّألف من خمس عشرة سفينة إلى سواحل لبنان . إلا أن مسلمي ودروز السواحل هاجموا الجنود الفرنسيين وطردوهم .....

« أما التبشير فكان الميدان الأوسع لإتمام العلاقات الطائفية .... وبدأت الإرساليات تند إلى لبنان منذ القرن الثالث عشر .... ورعى ملك فرنسة بنفسه شؤون التبشير ، في ذلك القرن ، واهتم ببناء الكنائس . وبدأت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين وتعلّمهم في

مدارسها الدينية على حسابها . وواصلت فرنسا رعايتها للإرساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لها في فرنسة نفسها .

« وكان اهتمام فرنسا وتدخلها يزداد كلما لمست ازيداً في اهتمام بريطانيا في الشرق . فقد كان بريطانيا ، هي الأخرى ، مطاعمها ومصالحها في هذا الجزء من العالم . ولما لم يكن بريطانيا (في ذلك الحين) طائفة تشتراك معًا في المذهب ، اضطررت بادئ الأمر ، إلى الاعتماد على التجارة والتدخلات الرسمية والخافية في بلاط الخليفة العثماني ... ثم ازداد الاهتمام الإنكليزي بسوريا في القرن الثامن عشر ، عندما أصبحت الهند وشريقي آسيا محورين رئيسيين للثروة البريطانية الاستعمارية . وأرسلت بريطانية عشرات الرحالة والمؤلفين والموظفين لدراسة أحوال سوريا كطريق رئيسية إلى الهند .... وكانت بريطانيا قد سبقت هذه الدول في إرسال دعاتها إلى لبنان لتجريض الشعب ضد إبراهيم باشا والأمير بشير .

« قدم إلى غزير ، في كسروان ، منذ ١٨٣٩ ، كاهن إيرلندي الأصل ، اسمه وود ، وادعى أنه جاء ليتعلم العربية هناك . لكنه كان ، إذ يتعلم العربية ، يلقي بنور الشفاق بين الأهالي . ووعد وود البطريرك حبيش بمساعدة بريطانيا لإعلان لبنان إمارة مارونية مقابل مساعدة الموارنة لها . وفي الوقت نفسه أكد وود للدروز صداقة بريطانيا لهم وعطفهم عليهم . ومثل وود سعى كل من ترشل وأنفرا واللادي استنهوب وغيرهم من البريطانيين الذين أقاموا في لبنان ، تحت ستار توزيع المهدايا ومصادقة الشعب ، إلى إثارة العصبية الطائفية لفتح المجال أمام بريطانيا لكي تتدخل .... و ( كذلك ) انتشر عمال فرنسا في البلاد وتحولوا بين القرى المارونية ، طالبين إلى السكان رفع الأعلام الإفرنجية لنيل حظوة الجيوش الخليفة » ( التي جاءت لحرب إبراهيم باشا ) .

### تهكم واستهزاء

ودعاء الاستعمار الحالص كدعوة الاستعمار المستتر بالتبشير لا يرعون للناس عهداً ولا يحفظون لهم كرامة ، حتى لأولئك الذين يستمبتونهم أو يدعون أنهم استمالوهم . إن دعاء الاستعمار هو لاء إذا كتبوا عن الشرق ملأوا كتاباتهم بالتهكم والاستهزاء وبشيء كثير من الازدراء أحياناً . صدر مؤخراً كتاب باللغة الفرنسية اسمه « آسية المرعبة » (١) يصف رحلة شبه صحافية في بلاد الشرق الآسيوي . ولقد تهكم مؤلفاه بيار ورينيه غوسيه (٢) على البلاد

(1) *Terrifiante Asie* .

(2) *Pierre et Renée Gosset* .

الشرقية ما شاء لها التهكم . ونال لبنان من هذا التهكم أمرٌ ، مع العلم بأن مؤلفي الكتاب كلّيهما نالا من الأكرام في لبنان — بشهادتهما نفسها — ما أدهشهما . قال المؤلّفان (١) :

وعرفنا مرة ، على مائدة الصباح ، فتاة رائعة من البيئة اللبنانيّة (من تلك الأسر الغنية المثقفة التي تربت في مدارسنا والتي تتزود بأزيائها من باريس وتصطاف في فرنسة) ... وجهدت (هذه الفتاة) لتدخل السرور على قلوبنا ، ابتعاء سرورنا وحده ، ثم خصتنا يومين كاملين بسيارة ظلت تحت تصرفنا حتى بلغنا الحدود السوريّة .

(وقلنا في جمع : لعلها وجئتنا) لطيفين . فأجابنا ريمون د (٢) ، وهو صحافي لبناني : بكل تأكيد ، ولكنكم أيضاً فرنسيان .

ولما تجولا في شوارع بيروت قالا (٣) :

ان بخلاف الأفرنسيين معناها في بيروت . ولن تخشى أن يصيّبها ما أصاب شوارعنا في سايغون (٤) . ان فرنسة لم تكن في يوم من الأيام محبوبة في لبنان كما أصبحت بعد أن غادرناها نحن ... وبانتهاء الانتداب تسلم لبنان استقلاله وكأنه هدية عجيبة . لقد نسي الدقائق الحرجة كيلا ينسى التراث الذي خلفناه له . وما كان ذلك يسيراً .

واجتمعنا حول مائدة جورج نقاش مدير جريدة الأوريان (٥) بأحد أصدقائنا اللبنانيين القدماء ، من الذين التقينا بهم في أقطار العالم الأربع خلال الأعوام الأخيرة ، وهو جوزيف ح مدير الشؤون الخارجية في بلاده في الوقت الحاضر (٦) . وفي هذا الجو الما杜ء لم تستطع إلا أن تستعيد ذكري (ثقة) متبادلة نبتت منذ سنين خلت حينما كان وزيراً مفوضاً في بروكسل . لقد حدثنا (في لقائنا هذا) عن التزاع الوجданاني الفاجع الذي يتّاب أهل جيله . انه لما حيل بينهم وبين فرنسة بعنف حينما كانوا يكافحون في سبيل استقلال بلادهم ، وجدوا أنفسهم (فجأة) بلا ثقة أخرى ، ولا لغة أخرى ، ولا أسلوب من أساليب التفكير سوى تلك التي كانوا تعلموها في كلياتنا ومدارسنا .

(١) ص ٧٣

(٢) «الدال» الفرعونية يمكن ان تقابل في العربية الدال أو الفاد .

(٣) ص ٧٤

(٤) سايغون مدينة في الهند الصينية التي طرد منها الفرنسيون فبدلت شوارعها أسماء جديدة وأوجهاً جديدة .

(٥) L'Orient ( Beyrouth ) .

(٦) يوم كان المؤلّفان في سياحتهما .

«أما في بلاد العلوين فاننا ، حتى الساعة ، لم ندرك الأسباب التي تحول أولياء الأمر في سوريا ، الشقيقة العزيزة ، على أن ينظروا إلى الرسالة الكاثوليكية نظرهم إلى مؤسسة غير مرغوب فيها ، وعلى أن يعاملوا القائمين والقائمات بها معاملة أعداء الوطن السوري .

ماذا طلبت الحكومة السورية من أرباب هذه الرسالة في الحقل الوطني يرثا اليه الصمير المسيحي ولم يتموه ؟ (لاحظ الشرط : يرثا اليه .. الخ) فلماذا اذن هذه المعاملة الخشنة بل المموجية (كذا) تعامل بها بنات عذارى (أي الراهبات) لا همّ لهن الا أن يعلمن ويتقنن صغار العلوين ؟ ما الذي خول الجنود السوريين أن يدخلوا بيت الراهبات وهم شاكون السلاح ويتهدون بكلام فقط ويجرؤهن الى السجون ؟ أية جريمة ضد الوطن ارتكبناها هولاء العذارى الحيات حتى يرُو عن بعل ما رُو عن في المدة الأخيرة ؟ أهكذا كان الجحود العرب يعاملون النساء المحسنات ، ألا نظرة الى تاريخكم ، ايها الاخوات السوريون ! أين الشهامة العربية وأين النبلة التي تتغدون بها ؟ كنا ظتنا في بادئ الأمر أن ليس لهذه المعاملة صفة رسمية بل هي من عند أشخاص الحكومة المحلية من ادارية وعسكرية راموا من ورائها أن يظهروا بمظهر الغيرة على وطنهم واهمین انهم بذلك يرضون روّاسهـم ؟ فخاب الآن ظتنا بعد أن رفع علينا من مصدر يوثق بصدقه أن هولاء يتلقون أوامر صريحة من علٌ : من وزارة الداخلية السورية ، فهالنا الأمر وجئنا نسأل الداخلية السورية باسم المستور السوري الذي يضمن حرية الفكر والقول والعقيدة لم المخالفه للدستور ؟

لقد نادى رجال الحكم في سوريا بأن ليس في سوريا أكثريه وأقلية، بل أن سوريا هي للسوريين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ! فلئن تُكذب الأقوال بالأعمال ولم يستخف بنصوص الدستور بدون حياء ؟

أهذا هو الوقت المواتي لمثل هذه الأفعال البخاثرة تنزل بقوم عزل وبعذارى ودب Yates؟  
بمثل هذا التصرف تجتمع القلوب وينشد الاخاء؟ انا عالمون بالنيات الميتة . والواقع شاهدة .

فهناك ضغط وتهديد وأغراء لحمل بعض العلوين على أن يغيروا معتقدهم ...

وستعني في أجزاءنا الآتية بتفصيل ذلك لنطلع القراء على الطريقة التي يستخدمها أرباب الحكم السوريون في تطبيق دستورهم ونبه الرأي العام الى الكذب السياسي الذي يموهون به عليه .

لقد روجعت الحكومة المحلية في بلاد العلوين وروجعت وزارة الداخلية بأمر هذه الإعتداءات فكان في الأجوية إيهام ، وكان فيها مراوغة وكانت فيها تنصي من التبعات فجتنا

اليوم نستصرخ عدالة فخامة السوري الأول شكري بك القوتلي الذي نكن له كل احترام وتقدير وإجلال . فمن فخامته نتظر أن يضع حداً لكل هذه الأمور المستهجنة المنافية للدستور ولروح فخامته الديقراطية والمناقضة لما عرف به وعنده من تعشق الحرية وحب لرعاياه ، بل جميع رعاياه . ففي كلمة فخامته الفصل بيننا وبين الحكومة السورية قبل أن نقدم على ما عزمنا عليه من تبيان وشرح لكل ما لدينا من وقائع ومستندات ثبت الظلم والجور اللذين عوملت بهما رسالتنا الكاثوليكية في بلاد العلوين « ١ ) .

\*

على أن المعاهدة التي ألغيت في الجمهورية السورية ونسخت قولًا ” عملاً ” لا تزال مع الأسف تافدة في لبنان . وقد سألنا شخصياً عن ذلك ، فإذا وزارة الخارجية اللبنانية تقول بأن المعاهدة موجودة من زمن وانها صحيحة . فلما أحيناها أن نعرف إذا كانت هذه المعاهدة التبشيرية قد ألغيت في لبنان كما ألغيت في الجمهورية السورية كان الجواب : « لا نعلم » ، مع اننا كنا ، يوم سألنا هذا السؤال ، على خطوات من المستندات المحفوظة .

---

١) إن هذا العدد من مجلة الشراع قد وزع ، مع أعداد أخرى من هذه المجلة ، على أعضاء الوفود المختلفة إلى المؤتمر الثالث لمنظمة الاونسكو الذي انعقد في بيروت ١٩٤٨ . ولقد وزعه مكتب المطبوعات المذكور مع الوثائق الرسمية والدوريات التي كانت توزع يومياً على الأعضاء .

## الفصل الرابع

### السياسة طريق التبشير

(٤) الحياة القومية والاقتصادية

الدعوات الأقلية والصهيونية

لم يكتف الأجانب بالنزول في الشرق واستغلال خبراته واحتلال موقعه الحربي وبالتصريف في مناصبه ووظائفه كما تعلق عليهم مصالحهم هم وكما يريد هو لهم أرادوا أن يضمونا مستقبلهم فيه وأن يحولوا دون كل تنبأه ويقطفوا في المستقبل . ولذلك عزموا على أن يفسدوا حياة الشرق القومية والاقتصادية ويفكروا عرى وحدته الوطنية ويخدموا جلوته الروحية حتى يصبح الشرق بين أرجلهم أشلاءً لا تستطيع حراكا . ولقد استعانت الدول الأجنبية على ذلك في الشرق بالرهبان السود (اليسوعيين) وخلق الحركات الشعوبية كالفرعونية والأشورية ، ثم باليهود والصهيونية ..

### مدار الستين

ان البلاد الشرقية يجب أن تبصر وتحذر الآباء اليسوعيين خاصة ، فلأنهم لا يألون جهداً في التدخل في السياسة المحلية وحيث الموارد (١) حتى أن البابا نفسه قد غضب عليهم عليهم مرات كثيرة من جراء ما جروه من الفساد وأحدثوه من القلاقل السياسية (٢) . ولقد فطنت الدول الغربية كلها الى دسائس اليسوعيين ومضارهم فأخرجتهم حكومة البرتغال من بلادها ومن مستعمراتها عام ١٧٥٧ . ثم أنهم طردوا من فرنسة عام ١٧٩٥ وعام ١٧٦٧ ، ومن إسبانيا عام ١٧٦٧ أيضاً . وكان قد بقي في فرنسة نفر من اليسوعيين

(1) Enc. Br. xv , 345 c, d.

(2) ibid . 445. f.

باسم رهبان القلب الأقدس ، ولكن قabilيون أخرجهم منها عام ١٨٠٤ . ولما تكاثر اليهوديون في أوروبا عادت فرنسة فطردهم عام ١٨٨٠ وعام ١٩٠١ . وكذلك عادت إسبانيا أيضاً فطردهم عام ١٨٢٠ . ثم أخرجتهم نهائاً عام ١٨٣٥ . وكذلك عادت البرتغال إلى طردتهم عام ١٨٣٤ . ولقد قضت الروسية سبع سنوات ، من عام ١٨١٣ إلى عام ١٨٢٠ ؛ حتى استطاعت إخراجهم من جميع أنحاء بلادها .

وكذلك فعلت هولندا وسويسرا وألمانيا في الأعوام ١٨١٦ و ١٨٤٨ و ١٨٧٢ على التوالي (١) .

ولم يكتف اليهوديون باغتصاب السياسة ، بل عملوا على اضعاف الحياة الاقتصادية العامة جرأً لتفعيلهم هم ، فان تاجرً يهودياً يدعى لافالت (٢) كان في المارتينيك ، من جزائر الهند الغربية ، فأفلس على مليونين ونصف مليون من الفرنكـات الذهبـ . وهكذا سبـرـ الحـرابـ على بـيـوتـ تجـارـيةـ شـهـيرـةـ (٣) .

فعـىـ أنـ يـسـفـيدـ العـرـبـ وـالـمـسـلـمـونـ مـنـ هـذـاـ الـاخـتـيـارـ المـرـ الذـيـ لـقـيـهـ الـعـالـمـ الـمـسـيـحـيـ نـفـسـهـ عـلـىـ أـبـدـيـ الـيـهـودـ .

### الهروب والتبشير

والهروب تؤثر في كل شيء تقريباً ، وتؤثر في الأديان أيضاً . ولقد زعم نفر من المبشرين أن الحرب العالمية دلت أنه ما من ديانة تستطيع أن تتقى العالم إلا النصرانية . إن هذا يوجب على المبشرين النصارى أن يضططعوا ببعض عظيمة (٤) . لقد قالوا ذلك فناً في عضد أهل الشرق وإنجاء لهم بعنصر التقى ، وتزييناً للمدنية الغربية التي أرادوا أن يخضعاً لها توصلـاً إلى استعمارـهـ .

على أن هؤلاء مخطئون ، فإن الحرب العالمية الأولى قد أعلنت فيما أعلنته اندحار ألمانيا والنمسـةـ وـهـمـ دـوـلـانـ مـسـيـحـيـاتـانـ ، وأعلنت نصر اليابـانـ وهي دـوـلـةـ غـيرـ مـسـيـحـيـةـ . ثم جاءـتـ الحـربـ العـالـمـيـةـ الثـالـثـيـةـ فأعلنتـ اـهـزـامـ أـلـمـانـيـةـ وـهـيـ مـسـيـحـيـةـ وـانتـصـارـ الـرـوـسـيـةـ وـهـيـ دـوـلـةـ لـاـ دـيـنـيـةـ . أـضـفـ إـلـىـ هـذـاـ كـلـهـ أـنـ الدـوـلـ مـسـيـحـيـةـ الـتـيـ اـنـقـنـتـ لـهـ أـنـتـصـرـتـ فـيـ الـحـربـيـنـ لـمـ تـتـصـرـ

(1) Ibid 345 ff.

(2) Lavalette .

(3) Enc . Br. xv 345 .

(4) Missionary Outlook 51 .

بالمبادئ المسيحية التي يبشر بها المسيح ليصبح لها أن تدعي أن المسيحية عامل من عوامل النصر في الحروب.

ومع أن هؤلاء المبشرون يرون أن الإسلام قد تجلى منذ مطلع القرن العشرين قوياً في مظاهر مختلفة ، منها انتشاره الواسع في إفريقيا وفي حركة الوحدة الإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى ، ثم قيام المملكة الحجازية ، فإنه قد تبدى لهم ضعيفاً في خيبة الجهاد الذي أعلنه ملوك المسلمين في الحرب العالمية الأولى وفي إلغاء الخلافة في تركية (١).

وهكذا نجد أن ثمت اتجاهات واسعة في الغرب لتفسير كل شيء على أساس ديني ، وعلى أساس ديني معد للإسلام ، بعيد عن العلم كل البعد ، حتى في وضع المبادئ العلمية ، أو التي يدعون أنها علمية .

### التعاون بين التبشير والبابرة

كانت السياسة الاستعمارية تلجمـاً إلى كل وسيلة لخدمة مآربها . ولقد استغلـت ، فيما استغلـته ، رجال الدين الوطنيـن في بلاد الشرق والأجانب الطارئـن على الشرق . وقد يكون ثمت دولة علمانية كفرنسـة تقـاوم الدين والجماعـات الدينـية في بلادها ثم تشجـع هذه الجماعـات وتساعـدها في الخارج .

بعد انتشار الإسلام في الشرق أصبحـت الكنائـس النصرـانية قليلـة مشورة كأنـها جزر صغارـ في بحر متسع الأكـاف . وكانت هذه الكنائـس على قـلتها أيضاً متعادـية مـتخاـصة (٢) لا سـبيلـ إلى تعاـونـها في حـقلـ من الحقوقـ . حتى إنـها كانت تستعملـ في صـلوـاتـها وفي تحـاطـبـها لـغـاتـ مـختلفـة كالـعـرـبية والـسـرـيانـية والـيـونـانـية . ومعـ الأـيـامـ بدأـ هذا السـوءـ يـزـدادـ ثمـ تـبعـهـ انـخـطـاطـ أـخـلـافـيـ وـاـقـتـصـاديـ وـعـلـميـ فيـ الـكـنـائـسـ وـالـأـدـبـرـ عـلـىـ السـوـاءـ ، حتىـ بـعـدـ أنـ تـصـرـمـ الـرـبـعـ الأولـ منـ الـقـرـنـ الثـانـيـ عـشـرـ . فـفيـ عـامـ ١٨٢١ـ كانـ مـائـةـ وـثـمانـونـ قـسـيسـاً أـرـثـوذـكـسـياًـ فيـ الـقـدـسـ لـيـسـ فـيـهـ سـوـىـ عـشـرـ قـطـعـ علىـ شـيـءـ ماـ منـ التـشـيـفـ الـلاـهـوـتـيـ (ـالـدـينـيـ)ـ (٣)ـ . وـكـانـ أـولـ ماـ فـكـرـ فـيـهـ الـمـبـشـرونـ إـصـلاحـ هـذـهـ الـكـنـائـسـ الـمـخـلـفةـ مـنـ الدـاخـلـ لـيـسـ طـبـيعـواـ

(١) ibid 65 - 6.

(٢) Gairdner 276.

(٣) Richter 63. f.

أن يستعينوا بها في آخر الأمر على التبشير بين المسلمين أنفسهم (١). من أجل ذلك شعر البروتستانت مثلاً بأن جهودهم يجب أن تصرف أولاً إلى التبشير بين أتباع الكنائس الشرقية (الأرثوذكسية) (٢). وعلى هذا نرى أن البروتستانت لما نزلوا في سوريا ولبنان استمaloاً أول ما استمaloاً ، نقرأ من الأرثوذكس وخصوصاً من أبناء ضهور الشوير وأبناء الكورة وبعض أبناء فلسطين .

إلا ان تعرض البروتستانت للتبرير بين الأرثوذكس خاصة وبين الكاثوليك قليلاً لم يمر سلام. إن العداوة سرعان ما تسببت بين المبشرين البروتستانت وبين الكنيسة الكاثوليكية التي كانت هي أيضاً تود أن ترد المطراف الفضالة إلى حظيرتها (٣). أضاف إلى ذلك أن الكنيسة الأرثوذكسية وقفت من البروتستانت موقف الدفاع عن النفس حينما رأت أتباعها يتهاون على المنافع الدينية التي كان البروتستانت الأميركيون على الأخص يلوحون بها أمام العيون . ومكذا استحكم الخلاف بين البروتستانت وبين الأرثوذكس والكاثوليك أيضاً (٤) .

ولكن سرعان ما تذكرت الدول الأجنبية أنها لم تأت للتبرير حتى تختلف على نتائجه . أنها جاءت للسيطرة السياسية ، وما التبشير سوى وسيلة إلى هذه الغاية . فليس من الحكمة اذن أن تنسى غايتها وتنمازع على الوسيلة . وهكذا قال جسب : يجب ألا يكون ثمة نعوت مثل هذه : أميركي ، انكليزي ، اسكتلندي او الماني ، تنتع اعمالنا التي تقوم بها في سبيل (المسيح) . ان الخصم المشترك متعدد في مقاومتنا .. فليكن اسمنا « نصاري » (٥) . وعلى هذا الأساس من التفاهم بدأت الدول الأجنبية تقتسم مناطق النفوذ في الشرق ثم تقدّف فيها بمبشرتها ليشقوا لها الطريق إلى الاستعمار .

لما عقد المبشرون مؤتمر لندن (المهد) عام ١٩١١ ، أخذوا يدرسون الأحوال السياسية في العالم الإسلامي . فلما وجدوا ان هذه الأحوال على شيء من الاضطراب قال أحد هم زويير : ان الانقسام السياسي الحاضر في العالم الإسلامي دليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ واستئثاره للديانة المسيحية (لكي تقوم بعمل) ، إذ أن ذلك يشير إلى كثرة الأبواب التي أصبحت مفتوحة في العالم الإسلامي على مصاريعها . ان ثلاثة أرباع العالم الإسلامي يجب أن

(١) Gairdner 277.

(٢) Richter 66.

(٤) cf. Richter 67 - 80.

(٥) Jessup 229.

(١٢)

(٣) تعيد الذين تركوا الكاثوليكية إلى الكاثوليكية ثانية .

تعتبر الآن سهلة الاقتحام على الارساليات التبشيرية . إن في الامبراطورية العثمانية اليوم وفي غربى شبه جزيرة العرب وفي ايران والتركستان والأفغان وطرابلس الغرب ومراكش سدوداً في وجه التبشير ، ولكن هنالك مائة وأربعين مليوناً من المسلمين في الهند وجاوة والصين ومصر وتونس والجزائر يمكن أن يصل اليهم التبشير المسيحي بشيء من السهولة (١) .

ولا يخفى المبشرون نياتهم الحقيقة ، فقد قال جسب (٢) : من العناية الاليمه العظيمة ان المطبعة الاميركية والمدارس الاميركية في سوريا كانت وسيلة لاعداد رجال ونساء كثار ليكونوا مواطنين اميركيين . أما انكلترة التي كانت دائماً ت يريد الاحتفاظ بقناة السويس لأنها طريق الامبراطورية البريطانية الى الهند واستراليا والصين (٣) ، فقد توسلت الى تثبيت قوتها برجال الدين من قومها . من ذلك أنها عهدت الى القسيس روبسون ، وهو من الارسالية المشيخية الايرلندية (٤) ، بأن يثقف ابني سعيد بك جنبلاط ( احد رجال الاقطاع الكبار من الدروز في لبنان ) على ثققتها ، وعدت ذلك ضماناً بجعل الدروز في المستقبل أكثر هدوءاً نحوها (٥) .

وكانت ايطالية ترمي الى بلوغ أغراض سياسية في الشرق فزرعت البلاد بمدارس دينية مع أنها كانت قد صادرت أموال الأديرة في ايطالية نفسها (٦) . وكذلك فعلت الروسية حتى استطاعت هي أيضاً أن تنفذ الى الامبراطورية العثمانية المتداعية الأركان (٧) .

على أن أكثر الدول الأوروبيه نشطاً تبشيرياً سياسياً في سوريا ولبنان خاصة كانت فرنسة ، فرنسة التي كانت تطرد الرهبان من أرضها ثم تحضنهم في الخارج ليتحققوا لها شهواها الاستعمارية (٨) .

واعتقدت فرنسة أن اللغة هي التي توجه الثقافة ، ولذلك أنفقت على مدارسها وعلى المدارس التي تعلم اللغة الفرنسية بسخاء (٩) . ولم يضع اليسوعيون خاصة هذه الفرصة فوضعوا مدارسهم رهن الدعاية لفرنسا . لقد أخذوا على عاتقهم أن يحببوا الانتداب الى

(1) cf Islam and Missions 22.

(2) Jessup 756.

(3) ibid 748.

(4) Irish Presbyterian Mission.

(5) Jessup 267.

(6) Richter 226 ; Jessup 680 etc.

(7) Richter 226 . f.

(8) ibid 226.

(9) ibid 25.

النفوس وأن يجمعوا السكان المتنابذين على فرنسة بواسطة الدين الكاثوليكي (١) . واليسوعيون يفاخرون بهذا ، فقد قالوا ان قسماً كبيراً من نشر الآراء المدعاة المستمدة من العالم المسيحي والفرنسي يعود الفضل فيه إلى ارساليتهم . وان فرنسة مدينة لهم بالمكانة التي تمثلها اليوم (أي عام ١٩٣١) في سوريا (٢) (ولبنان) .

لقد اتصل تفوذ فرنسة في سوريا بأسوأ أنواع المكائد اليسوعية (٣) . حتى العلم ، لقد سخره اليسوعيون في سبيل فرنسة بالباطل وبالحق الذي يراد به الباطل . ويقول اليسوعيون ان مدرسة الهندسة في بيروت الفرنسية قد استمرت في اداء ما أخذته على عاتقها ، فإنها استطاعت أن تساهم في رسالة فرنسة المدينة (٤) . وما يقال عن مدرسة الهندسة يقال عن مدرسة الطب . يقول اليسوعيون ان دارس الطب بالفرنسية يحتاج إلى اتقان اللغة الفرنسية ، ثم هو يصف الأدوية الفرنسية ويقرأ الكتب والمجلات الفرنسية ثم يذهب للتخصص في فرنسة (٥) . وكلية الطب والصيدلية الفرنسية مؤسسة يسوعية ، ولكنها ليست مؤسسة حرة بمعنى أنها تعتمد في ميزانيتها على دخلها الخاص ، بل ان رئيسها وأساتذتها يتناولون راتباً من حساب وزارة الخارجية الفرنسية (٦) .

وبعد هذا كله يستغرب رشتر (٧) لماذا كان الأتراك يسيئون معاملة النصارى اذا بحثوا الى الاستعانت بدولة غربية .

ان الأتراك لم يسيئوا معاملة النصارى . ولكن عاقبوا المتصلين بالدول الأجنبية – كما تفعل كل دولة أخرى – سواء كان هؤلاء من النصارى أو من المسلمين – وليس أولى على ذلك من أن الأتراك قد شنعوا عام ١٩١٦ شباباً من العرب النصارى والمسلمين على السواء

وفي تموز من عام ١٩٠٨ أعلنت الحرية العثمانية ، وكان اعلان الحرية في تاريخ الامبراطورية العثمانية يوازي الثورة الفرنسية في تاريخ فرنسة . ومع ذلك فان المبشرين لم يهتموا بهذا الحادث العظيم الا بقدر ما سيخدم غایاتهم التبشيرية ويسهل عليهم التفوذ إلى

(1) *Les Jesuites en Syrie* 10 : 36 .

(2) *ibid.* 6 : 70 .

(3) cf. Jessup 656 .

(4) *Les Jesuites en Syrie* 4 : 32 .

(5) *ibid.* 2 : 41 .

(6) *ibid.* 2 ; 31 .

(7) Richter 62 .

أرجاء الامبراطورية . لقد فرحوا على الأخص لأن سورية ولبنان سيفتحان في وجه المبشرين البروتستانت (١) .

### الحركة القومية في الامبراطورية العثمانية

وبعد اعلان الحرية عام ١٩٠٨ اتسعت الحركة القومية في الامبراطورية العثمانية . وما ان الديانة المسيحية كدبابة تبشيرية مناقضة للقومية ، فان التبشير لم يرض أن يوقظ الروح القومية ولا أن يخدمها اذا رآها يقظى ، ولكنه أراد أن يمحوها الى خدمة أهدافه . كذلك لم يجتن المبشرون أمام الأهمية أيضاً ، بل أحبوها أن يستغلواها قائلين : ان ابوة الله تشمل جميع الشعوب . وان الاخوة تضم جميع البشر . واذا لم تكن الأهمية نصرانية فيجب أن تنصرها . كل ذلك حتى يستطيع المبشرون أن ينتصروا جميع الشعوب على السواء (٢) .

وكذلك لما انتهت الحرب العالمية الأولى وأنشئت عصبة الأمم زعم المبشرون ان التبشير يساعد عصبة الأمم ويحقق أهدافها (٣) . ولكن عصبة الأمم ماتت ثم خابت أهدافها . كل هذا يدلنا بوضوح على أن التبشير كان يرمي الى استعمار الشرق ، حتى قال رشرن ان أساس الاستعمار مسيحي . ثم انه فتح فاه قائلاً : لقد مر زمن كان الملوك المغول (المسلمون) في عاصمتهم دلهي يحكمون المند ما بين جبال حملايا الى رأس كورمورين .. ولكن منذ زمن بعيد حتى آخر مهراجا (سلطان) عنقه المتکبرة امام بريطانية المسيحية (٤) . والمبشرون لم يتخلدوا موقفاً صريحاً من القومية ، شأنهم في كل أمر . ولكنهم كانوا يودون أن تبقى الأمور غامضة وعلى شيء من الفوضى حتى يتسلّكوا من القيام بالتبشير ثم يربطوا الصابرين الى مذهبهم الى عجلة الأمة التي يخدمون أهدافها .

فالروم الأرثوذكس مثلًا كانوا يعتقدون ان انتشار البروتستانتية بينهم يضعف وحدتهم ويفقدتهم كثيراً من الشعور التوبي الذي يربطهم بأبناء الكنائس الشرقية . ولكن رشرن يذكر ثلاثة اعتراضات على هذا الخوف ، كلها – اذا نظرنا اليها نظرفة فاحصة – خاطئة ، ولكنها في الحقيقة موافقة لموي المبشرين . يقول رشرن (٥) : إن القومية خطير على الحياة

(1) cf. Richter 78 f , 229 : Islam and Missions 127- 142 .

(2) cf. Missionary Outlook 3,5, 7,39 ff. 43 ff .

(3) ibid 71 ff .

(4) Richter 22.

(5) ibid 76-60 .

الكنسية . ثم يعود فيقول ان البروتستانتية لا تعارض القومية . ثم يذكر أيضاً ان الدولة العثمانية تحفظ انتشار الروح القومي بين رعاياها . أما ما ي يريد رشر فهو أن يتحصل الروم الأرثوذكس - في هذا المقام - من تضامنهم مع أبناء الكنائس الشرقية الأخرى حتى يجتذبهم هو إلى البروتستانتية .

والمبشرون عند البحث في القومية أبعد الناس عن التصرير بما يعرفون من حقائق القومية وصلتها بالدين.. لاشك أبداً في أن الدين عنصر من العناصر التي تتصافر مجتمعة حتى تخلق القومية . ان البروتستانتية جزء لا يتجزأ من القومية الهولندية والإنكليزية، بينما الأرثوذكسيّة جزء أصيل في القومية اليونانية والبلغارية . ومن ذا الذي يستطيع أن ينكر ان الإسلام كان ولا يزال جزءاً أساسياً في القومية التركية والإيرانية والأفغانية والمصرية والعراقية ، بل من ذا الذي يستطيع أن ينكر أن الزراع الداهي في عدد من بلدان الشرق ، وإن كان قومياً في ظاهره ، هو في الحقيقة نزع بين الملل الدينية العليا . هنالك في لبنان مثلاً تياران عظيمان: تيار يرى أهله أن يقيموا حول لبنان سداً يحول بينهم وبين العالم العربي ، على شرط أن يظل تحت هذا السور دهليز يصل بين لبنان وبين السوول الكاثوليكيّة عامة وفرنسا خاصة . ثم هنالك تيار يرى أصحابه أن هذا السور حول لبنان ليس ضروريّاً اذ لا حاجة بهم اليه ، وانما هم محتاجون الى أن يتسلوا بكل سهل لمنع عودة الاستعمار الأجنبي بكل أنواعه الى لبنان . ان هذين الشعورين جذوراً كثيرة ، بعضها بلا ريب مغروس في العاطفة الدينية الموروثة ، بقطع النظر عن اختلاف نظر الأديان الى القومية وحقائقها .

والبشرون يقاومون القومية لسبب آخر . ان القومية في ظاهرها على الأقل حركة غير دينية (٢) ، فالرجل القومي قبل الاحتفال بالمؤثرات الدينية قليل الانجداب نحو الأحوال

(1) cf. Addison 107.

(2) Miligan 64 f.

المذهبية . فايمن الشعوب بالحقيقة القومية اذن يصر فيها عن إلقاء السمع الى المبشرين .

### التبشير والوطنية

ولقد خشي المبشرون النهضة الوطنية في مصر لأن القومية المصرية اسلامية في حقيقتها . ويغبط هؤلاء المبشرون مصر والمصريين حقوقهم ويختلفون الواقع بقوتهم ان الوطنية المصرية قد نشأت لأن الانكليز كانوا يخابون المسلمين في معاملتهم فأفشل ذلك حب الاستقلال في صدورهم (١) .

وان أيسر نظرة في التاريخ تدل على أن الانكليز لم يعاملوا المسلمين في مصر معاملة تتفق مع كرامة الشعوب ، حتى قال حافظ ابراهيم عن ذلك في مصر :

اذا شئت ان تلقى السعادة بينهم فلا تك مصرياً ولا تك مسلماً .

فاليوناني والأرمني واليهودي الغرباء كانوا يتمتعون في مصر بأعظم مما يتمتع به المصري المسلم . وأما أن الوطنية المصرية فتاج محاسنة الانكليز للمصريين فخلاف ايضاً للواقع .

ولقد أجهل المبشرون لما سمعوا النداء الوطني « مصر للمصريين » ، فقالوا ان هذا يعني « مصر للMuslimين » . ولذلك رجا البشر صموئيل زويمير في ذلك الحين من بريطانية أن تبدل سياستها تبديلاً أساسياً في وقت قريب وأن تعلن حياداً تاماً يُشعر مصر بقوة بريطانية وبنعمها (٢) . ومعنى ذلك عند زويمير بلا ريب « فتح مصر للتثبيت بالقوة » .

ولما خاب المبشرون في وقف تيار القومية الصحيحة عمدوا في كل بلد الى أقلية غير مسلمة في الأكثـر وحاولوا أن يضموا إليها أحياناً نفراً بارزاً من المسلمين ، كما اتفق لهم في مصر فقط ، ليلفتوا لأهل كل قطر مسلم قومية وهمية جديدة . لقد أرادوا أن يعنوا « الفرعونية » من خلال حجارة الأهرام في مصر ، و « الفينيقية » من خراب الساحل الممتد من يافا الى اللاذقية على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . ثم انهم لفقوا في العراق دعوة أشورية لم يكتب لها أن تولد حية (٣) .

ان كل ما أراده المبشر جسـب هو أن تولد « فينيقية » جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشاراً . ولقد أكد جسب أن المدار من التبشيرية والصحافة شبة التبشيرية والكنيسة ستتضافـر

(1) Islam and Missions 25.

(2) ibid 25 f.

(3) راجع ص ١٩٣ وما يليها .

كلها على تحقيق هذا المدف (١). ولكن الفينيقية لم تستطع أن ترى النور في سوريا . وإذا كانت قد غذت في لبنان طول عهد الانتداب ، فإنها ماتت على عتبة الاستقلال اللبناني . هذا مع العلم بأن جماعة من اللبنانيين ما يزالون يتعنون بها .

ولا أحب أن أنوسع في تاريخ « الحركة الفرعونية » في مصر لأنها تختلف في اساسها عن الحركة الفينيقية في لبنان في عهد الانتداب . أما « الحركة الأشورية » في العراق فقد كانت أقل المحاولات القومية المفرقة حظاً من النجاح . ولقد قفي عليها وعلى أتباعها في معركة واحدة كما مر معنا من قبل في هذا الفصل من هذا الكتاب . وأما الحركة البربرية في المغرب فلم يستجب لها أحد من أهل البلاد ، بل بقيت غصة في حلوق المبشرين والمستعمرات إذ قاومها أهل تونس وأهل الجزائر وأهل مراكش بلا استثناء .

ولما تنتصر هذه الدعوات الاقليمية الضيقة وقع الاستعمار على فكرةعروبة وألبسها ثوباً جديداً . لقد أريد من « العروبة » أن تكون رابطة قومية مناقضة « للإسلام » : سياسة العروبة لا صلة لها بالاسلام ، والمسلمون من غير العرب لا صلة لهم بالعروبة . وما يوسع له أن نقرأ من الشبان العرب قد اعتنقا فكراً العروبة المجردة من الاسلام ، ثم أخذوا وهم يدعون للعروبة يقاومون الحركات الاسلامية .

## الفصل الثامن

### التبشير والحركات القومية

جميع الحركات القومية التي قامت في البلاد العربية اتسمت في أول أمرها بميل بارز إلى التسامح الديني . ثم ان هذا التسامح بدأ يتضور حتى انتهى في أيامنا هذه ميلاً ظاهراً عن الدين ، ثم ظهر بوضوح ان هذه الحركات القومية ترمي إلى اضعاف الشعور الإسلامي خاصة بين البلاد الإسلامية ، وإلى قصر الصلات بين بلادنا على العنصر القومي وحده . فالصلة بين سوريا ولبنان ومصر والجزائر ومراكش تقوم ، في رأي الأحزاب العربية القومية ، على « العروبة » ، أو على اللغة العربية وعلى شيء من التاريخ العربي مجرداً من كل صلة له بالاسلام . أما تركية وايران وباكستان وأندونيسية فهي عندهم كالأرجنتين والمكسيك وهنغارية والدنمارك وإنكلترة وفرنسا سواء . وبعض الأحزاب القومية أو الوطنية كالحزب القومي السوري وحزب الكتائب اللبناني تنظر إلى اليمن ومصر وتونس كما تنظر إلى اسوج ونروج وفنلندا . أما البرازيل والولايات المتحدة وفرنسا نفسها فهي أقرب إلى هذين المخربين من اليمن وطرابلس الغرب لكثره المهاجرين واتساع المصالح الاقتصادية بين سوريا ولبنان وبين البرازيل والولايات المتحدة وفرنسا والمناطق التي تستعمرها فرنسة ، بينما هذه الصلات مع اليمن وطرابلس الغرب قليلة وضعيفة جداً .

ولقد كان نفر من أركان الأحزاب القومية ، ومن أنبياء تلك الأحزاب ، يعلّون انهم لا يقفون من الاسلام موقفاً غير وديٍ حتى كان مهرجان الجزائر في بيروت في مساء السابع من أيار عام ١٩٥٦ ، في باحة كلية المقاصد الاسلامية في المخرج ، فإذا سلوك النظارة من أنبياء الأحزاب القومية لم يكن ودياً تجاه الاسلام فقط . بدأ المهرجان بكلمة للدكتور جورج طعمة ، من أساتذة الجامعة الاميركية في بيروت ، فكانت كلمة طيبة فيجهاد « الجزائر

العربية » وفي فظائع الافرنسيين في الجزائر . ولقد كان من المعمول ، ومن المتظر أيضاً ، أن يؤكد الدكتور جورج طعمة جانب العروبة من الجزائر لأن الجزائر قطر عربي ولأنه هو مستشار للنادي العربي في بيروت . ومع ذلك فإن جماعة من المتمم إلى حزب البعد العربي الاشتراكي قد أفسدوا عليه كلامه بهتافهم المتواصل : « الجزائر عربية » ، « جهاد الجزائر جهاد العرب » ، مما لفت انتباه السامعين إلى هؤلاء المهاجرين — وقد جاءوا إلى المهرجان وهم عارفون بالتيارات المختلفة في هذا البلد ومعدون للأمر عدته — ي يريدون أن يوجهوا الأنفاس إلى الحانب العربي من قضية الجزائر وأن يلتفتوا الأفكار عن الحانب الديني الإسلامي . ولقد ظن هؤلاء أن هتافهم هذا يتفق مع الخطاب الذي كان يلقى . وازداد هتافهم حتى كاد يحدث بلبلة ، أو هو أحدهم البلبلة فعلاً ، حتى أن عدداً من القوميين العرب — وهم غير العبيدين ومن الذين يخالفون العبيدين في بعض آرائهم — قد طلبوا من هؤلاء المهاجرين أن يهدأوا ، فقد كان القوميون العرب هم المشرفين على المهرجان عملياً . وبلغت الحدة في أحد القوميين العرب مبلغأ حمله على أن يصعد إلى المنبر وأن يخاطب المهاجرين بلهجة جافية ويخيرهم بين أن يسكنوا وبين أن يغادروا المكان . وكذلك توقف الدكتور جورج طعمة مرات ليرجو المهاجرين ، تلميحاً وتصرحياً ، ويطلب إليهم أن يسكنوا قليلاً حتى يتمكن من متابعة كلامه فلم يوفق .

وتكلم بعد الدكتور جورج طعمة الأستاذ عمر الحكيم ، أحد أساتذة الجغرافية في كلية الآداب من الجامعة السورية بدمشق . والأستاذ عمر الحكيم يعرف الجزائر ، وقد كان فيها في الثامن من أيار عام ١٩٤٥ وشاهد بأم عينه جانباً من المذايق البربرية التي قام بها الافرنسيون في ذلك اليوم . ومن أجل تلك المذايق في ذلك اليوم جعل « الثامن من أيار » من كل عام يوماً للجزائر تقام فيه الاجتماعات للكلام على فظائع الافرنسيين في تلك البقعة من وطننا وعلى تطور اليقظة فيها وعلى جهادها وبطولتها . ثم ان الأستاذ عمر الحكيم يدرس جغرافية المغرب (شمالي إفريقيا) في الجامعة السورية .

ولقد كان من المتظر ، ومن المعمول أيضاً ، أن يتكلم عمر الحكيم عن الجزائر العربية المسلمة ، فالجزائر بلاد عربية وأسلامية في وقت واحد . ثم انه هو شاب مسلم . وتتكلم عمر الحكيم فملك الموقف بروحه الوثابة وبعلمه الغزير وباحتاطه بالموضوع الذي يعالجه . ولكن الحمية القومية عادت إلى المهاجرين فاستأنفوا هتافهم للجزائر العربية يتبعون به كلامه عن الجزائر العربية المسلمة . وأدرك عمر الحكيم ، كما أدركنا نحن ، ما يقصد أولئك المهاجرين ، فكان ، كلما هتفوا هتافهم ذلك عاد هو في كلامه فأكيد الحانب الإسلامي من

### جهاد الجزائر حتى انتهى مما يريد قوله .

هذه المتفاوتات كشفت لنا في تلك الليلة عن ناحية خطيرة من الحياة الجزيرية في بلادنا . ان الذين يذهبون مذهب القومية في الحياة السياسية من العرب يسقطون الدين من حسابهم كثيراً او قليلاً . ان بعض القومين لا يرون في الدين مقوتاً من مقومات الحياة السياسية ، بينما بعضهم الآخر يخاصمون الدين مخاصمة شديدة . والمقصود بالدين هنا الاسلام . وحجة هؤلاء القومين ان البلاد العربية تتضم مذاهب وأديانًا مختلفة ، ففيها مسلمون ونصارى ويهود .

من أجل ذلك يقتضي للتعايش السياسي في البلاد العربية الا يكون العنصر الديني في الحياة العامة بارزاً . على أن هذا شيء ونصب العداء للإسلام شيء آخر . وكذلك الدعوة القومية شيء ، بينما الانكار على غير القوميين أن يكون لهم رأي في الأمور العامة شيء آخر أيضاً .

هذا من الناحية النظرية . أما من الناحية العملية فان العنصر الديني في جهاد الجزائر الحالى بارز جداً . ولقد أعلن غنى موليه ، رئيس الوزارة الفرنسية ، بأن الحركة الاسلامية التي تسع فى افريقيا هي التي تهدى الامبراطورية الفرنسية فى المغرب . وكذلك أعلن جورج بيلو ، الذى سبق له أن تولى وزارة الخارجية الفرنسية ، انه لن يترك الملال يتغلب على الصليب (١) . ويقول الكاتبان كوليت وفرانسيس جانسون ان الحرب الحاضرة فى الجزائر ليست حرباً دينية أو جنسية أو حضارية ، ولكنها حرب جموع مظلوم ي يريد أن يتحرر من رقعة جموع ظالم . الا أن الاسلام عنصر فعال فى دفع الجزائريين الى طلب هذا التحرر ... لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الاسلام . من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالاسلام حتى يقدروا على التحرر . الواقع ان الاحتلال (الفرنسي للجزائر) كان منذ البدء يحمل هذا المعنى من «الحرب الصليبية» (٢) .

لا نرى بعد هذا أن نمضي في الاستشهاد او الاستنتاج للدلالة على أن الأفرنسيين يحاربون الجزائريين كمسلمين في الدرجة الأولى . ولكن هذا لا يمنع احداً من قبول الجهود التي يبذلها القوميون في نصرة الجزائر ومن شكرهم عليها .

(1) L'Algérie hors de loi 267 268 .

(2) ibid, 269 .

النشر يتعاون مع الصحفية

واستغل المبشرون الصهونية لأنهم كانوا يتفقون معها في عداهم للعرب وال المسلمين . ولم يضرّ المبشرون على انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين الا لأن انشاؤه يضعف العرب أضعافاً شديداً ويفتح أبواب فلسطين العربية أمام التبشير ، والا لأن فلسطين احدى نقاط الهجوم على العالم العربي الاسلامي .

والقورة اليهودية قوة هدامة عظيمة حافظتها الامبراطوريات القديمة فأرادت القضاء عليها . وليس من ضرورة هنا لبسط موقف تلك الامبراطوريات القديمة من اليهود . ان كل قاريء عام يعرف ما كان شأن المصريين والأشوريين والكلدانيين واليونان والرومان وشأن اليهود . أما اليوم فان الاتحاد السوفييتي قد أخذ يحاول القضاء على الحركة اليهودية في مناطق نفوذه لارتكابهم أ عملاً هداماً ولقياهم بالنجانات والتتجسس (١) وانها بورأة للفساد (٢) . بعد أن تشرد اليهود على أيدي الرومان تفرقوا في الأرض فنزل قسم منهم في بلاد العرب ، في اليمن وفي الحجاز حول يرب . وعند يرب أنشأوا لهم قرية زراعية اسمها خير . فلماء جاء الاسلام كان هوّلاً مصدر إقلاق كبير للاسلام والمسلمين : كان منهم المتفاقون الذين يدعون انهم مسلموون ثم يكونون عيوناً وجواسيس للمشركين . وكان منهم التجسسون الذين كانوا يعقدون الحلف تلو الحلف مع رسول الله ثم يحملون أخباره الى أعدائه ويتهرون الفرصة للثوب على الاسلام والمسلمين . وكذلك كان منهم المتأمرون الذين يجمعون أعداء الاسلام ويختوّهم على مقاتلة المسلمين ثم يمولوهم بالأموال والسلاح . وهكذا ضاق محمد صلى الله عليه وسلم باليهود ذرعاً ونظم غزوات على الأماكن التي يسكنونها فاستطاع أن يخضعهم ويضعف مقاومتهم . ونظر كثير من المستشرقين بشهواهم وعصبياتهم وجهلهم أحياناً الى تلك الغزوات ، فكانوا يقولون بأن محمدآ عامل اليهود معاملة خشنة قاسية (٣) . على أن هذه المعاملة لم تكن ظالمة ولا كانت ، مع عدالتها ، شديدة كمعاملة المصريين والأشوريين والرومان مثلاً ، ولا كمعاملة اليهود أنفسهم لسائر الشعوب اذا وحدوا اليها سبيلاً . وما أمر فلسطين منا يبعد !

(١) راجم ما نشر في الصحف منذ او اخر عام ١٩٥٢ وما يعده .

(3) Wismar 60 cf. 51 - 61.

ولا ريب في أن مُحَمَّداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقاتل اليهود لأنهم يهود . إن هذا يبيّن من القرآن الكريم ، فإن القرآن الكريم عَدَّ اليهود والنصارى أهل كتاب سماوي فلم يحملهم على اعتناق الإسلام (١) ولم ينتصُرُوا لهم حظهم من الإيمان ولا من نعم الله . قال القرآن الكريم : « يا بني إسرائيل ، اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم وأني فضلتكم على العالمين ». وكذلك ذكر القرآن الكريم الأمم التي هي أهل كتاب سماوي بالرحمة والفوز في الآخرة ، فقال : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢) ».

ولأنَّا قاتلَ مُحَمَّداً صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليهود لأنهم كانوا يخونونه كلما عاهدوه ، وهذا أيضًا يبيّن من القرآن الكريم :

— أو كلما عاهدوا عهداً نقضه فريق منهم ؟ (٢ : ١٠٠) .

— الذين عاهدوا منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة (٨ : ٥٦) .

— وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . وآخرين من دونهم (أي المنافقين واليهود) لا تعلمونهم نحن نعلمهم (٨ : ٦٠) .

وتوفي الرسول (سنة ١١ هـ = عام ٦٣٢ م) واليهود كلهم لا يزالون في الحجاز مطهتين إلى أموالهم وأرضهم وعقيلتهم . فلما جاء عمر بن الخطاب (سنة ١٣ هـ = عام ٦٣٤ م) أدرك أن الدولة الإسلامية لا يمكن أن ترسخ في شبه جزيرة العرب ما دام اليهود فيها يثيرون أهلها على الدولة ويفقرونها بالربا الفاحش فأمر باخراجهم . ولكن عمر لم ينتزع أموال اليهود بل ثمنتها ثم دفع لهم نصف ثمنها ، فهاجروا إلى سوريا (٣) .

أما في سوريا فكان اليهود يلقونَ من الدولة البيزنطية اضطهاداً بالغاً . فلما أخذ العرب بفتح الشام (سوريا) جعل اليهود يرحبون بهم استبشاراً بالنجاة من نير بيزنطية (٤) .

إن العرب والمسلمين لم يضطهدوا اليهود لأنهم يهود ، بل لم يضطهدوهم في أول الأمر على الأطلاق . ولكن لما كثُر اعتداء اليهود على العرب والمسلمين سراً وعلانية لم يبق بد من دفع هذا الاعتداء ، ولقد دفعه العرب بالحسنى أيضاً وبالحق . أما الذين يعرفون تاريخ

(١) السورة الثانية (البقرة) ، الآية ٤٧ و ١٢٢ راجع ٤٠ .

(٢) السورة الثانية (البقرة) ، الآية ٦٢ .

(3) cf . Wismar 98 .

(4) idid 82 .

اليهود السري في أوروبا وأميركا ، ثم شهدوا اليهود في فلسطين فا لهم يعلمون ما يكنّ  
اليهود للعالم من الحقد وما يضمرون له من إثارة القلاقل والاقفار واضحة الأخلاق .

ومنذ قرن ونصف قرن فكر المبشرون باستغلال اليهود لنشر النصرانية بينهم ولقاومة  
العرب والمسلمين بهم . ففي عام ١٨٠٩ أسس الانكليز الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين  
اليهود ، ولقد كانت آمالهم عند تأسيسها عظيمة جداً ، كانوا يرون أن العمل يجب أن يبدأ  
بأن يساق اليهود المتفرقون في الأرض إلى فلسطين . وهكذا بدأوا يشجعون اليهود على  
المigration ، وعزموا على أن يبدأ التبشير بينهم عد ذلك مباشرة . وظن المبشرون أن الفرصة  
سانحة لتحقيق هذا المدف حيثما أرسل الخديوي المصري الثائر (١) محمد علي ابنته إلى الشام  
(سوريا) واستولى على فلسطين ، ذلك لأن موقف محمد علي من الارساليات التبشيرية  
كان موقف صدقة وتسامح . وهكذا انتهز المبشرون هذه الفرصة السانحة ووضعوا أساس  
ما دعوه «كنيسة صهيون» ، أول كنيسة بروتستانتية في الامبراطورية العثمانية . ولكن فأـلـ  
المبشرين قد خاب ، فان محمد علي انسحب عام ١٨٤٠ من الشام ، فعاد الأتراك إلى موقفهم  
الشديد الأول من الارساليات التبشيرية (٢) .

على ان المبشرين حاولوا مرة ثانية أن يستغلوا القضية اليهودية في سبيل أهدافهم الدينية :  
فقد أسس الملك فريدريك ولهلم الرابع ملك بروسية (١٨٤٠ - ١٨٦١) الأسقفية الانكليز  
البروسية في القدس لتكون مركزاً بروتستانتياً لأصلاح الكنائس الشرقية عامة ولتنصير  
اليهود خاصة (٣) . ان المبشرين كانوا جد مقتنيين بأن جمع اليهود في فلسطين يسهل لهم  
مهمتهم في الوصول إلى المسلمين . من أجل ذلك أرادوا أن يفتحوا أبواب فلسطين على  
مصالحها لمجرة اليهود (٤) . فليس من المستغرب اذن أن تجد سبعاً وعشرين جمعية تبشيرية  
مختلفة الجنسيات كانت تعمل بلا ملل في فلسطين (٥) .

وهكذا نجد عوامل دينية مختلفة كانت ترمي إلى استعمار فلسطين توصلاً إلى أهداف

(١) التبشير لصاحب النص الذي نشهد به .

(2) Richter 263 .

(3) ibid 237 .

(4) Christian Mission 188 .

(5) Richter 238 .

خاصة : كانت البابوية والبروتستانية والصهيونية تتنافس فيما بينها في فلسطين ، وكان روتشيلد الممول اليهودي يساعدهم جميعاً (١) .

ومع أن هذه الحركات كانت دينية في ظاهرها فإنها كانت سياسية في حقيقتها : كانت الدول الأجنبية ت يريد تحطيم الامبراطورية العثمانية حتى تستطيع بسط نفوذها على بلاد الشرق . ولقد بحثت الدول الأوروبية إلى استغلال الأقليات الطائفية في الامبراطورية العثمانية كالأقلية اليهودية على الأخص . ثم دفعت الأقلية الأرمنية للثورة على العثمانيين مراراً ، لاضعاف الادارة العثمانية في البلاد العربية (٢) . من هذه السبيل كان الأوروبيون يأملون أن ينفذوا بمشاريعهم الاستعمارية إلى العرب والمسلمين .

ويبدو بوضوح من مراجع مختلفة أن الأوروبيين لم يكونوا يربدون إنشاء دولة يهودية على النحو الذي حدث الآن ، ذلك لأنهم لم يكونوا يربدون أن يهودوا فلسطين ، بل كانت غايتهم الأولى أن يتخلوا اليهود فراغة (العرب) . وأمام موافقة الدول الأوروبية على جمع اليهود في فلسطين فلا يجب أن يُفهم إلا على أن هذه الدول الأوروبية قد أرادت التخلص من يهود أوروبا (٣) . هذا الرأي الذي مر عليه إلى الآن نحو خمسين عاماً أو تزيد (٤) . لا يزال وجيهآ عند الدول الأوروبية بوجهه : للتخلص من اليهود في أوروبا خاصة ثم لتحطيم وحدة الشرق بوضع عدو للعرب والمسلمين في أقدس بقعة لهم على الشاطيء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . هذا مع العلم بأن اليهود سبّرون للعرب والمسلمين من مركزهم القوي الجديد قلاقل سياسية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية يمكن بها الأوروبيون من التدخل في كل جين بين الخصوم للسيطرة عليهم جميعاً . وهكذا رأينا بأم أعيننا أن الدول الغربية كانت ترى من مصلحتها الاستعمارية أن تساهل مع اليهود في فلسطين إلى الحد الذي وصلت إليه معهم في عام ١٩٤٨ . وعلى مثل هذا سار المبشرون أيضاً منذ احتلال الانكلزيز لفلسطين .

ذكر وليس كاش (٥) أن في القدس مدرستين عاليتين تديرهما ثلاثة ارساليات مختلفة إدارة مشتركة : مدرسة البنات العالمية ثم الكلية الانكلزيزية . إن اليهود والعرب (٦) والنصارى يلعبون في ملاعب هذه المدارس لعبة كرة القدم ويُبدون في اللعب من ضروب التعاون ما

(١) Jessup 657.

(٢) Bury 118 - 120.

(٣) Richter 231 .

(٤) طبع رشت كابه الذي استشهدنا به آنفاً عام ١٩١٠

(٥) Cash 149.

(٦) يقصد المؤلف : المسلمين .

يساعد على أن يخلق لهم نظرة جديدة إلى مشاكلهم القومية الحاضرة . إن القاريء ليجد في هذا القول قرينة ظاهرة تدل على أن مدارس التبشير كانت تعمل على أن تهيء الطلاب العرب من المسلمين والنصارى في فلسطين ليقبلوا بنزول اليهود في الأرضي المقدسة . ولعلهم لم يفعلوا ذلك حباً باليهود ، بل اضطراراً لتفوز المسلمين في هذه البقعة المقدسة من الأرض ، وتوصلاً إلى زيادة تفوذهם في الشرق من هذا السبيل .

ويظهر أن الألعاب الرياضية كانت تخدم قضية المبشرين وتخدم الصهيونية في فلسطين خدمة عظيمة ، حتى اندفعت مدارس التبشير <sup>توله</sup> الروح الرياضية وتشجع التسامح في ميادينها إلى أبعد الحدود ، تسامحاً كان يراد منه قتل الشعور القومي الثمين من طريق التسلية . قال ولبرت سميث (١) : إن الألعاب تبرهن على أنها من أحسن الوسائل لتقريب وجهات النظر بين المختلفين ، بل بين المتعادلين . لما أعلن العرب أضرابهم العام في القدس عام ١٩٢٩ (احتياجاً على مالكة الانكليز لليهود ) قامت جمعية الشبان المسيحية بحملة تخدم بها التعاون الودي بين العرب واليهود فأقامت مباراة في لعبة التنس كان اللاعبون فيها مسلمين ويهوداً . وكان الحضور فيها من جماعات مختلفة فيهم الفلسطينيون والإنكليز والأميركيون والالمان . سادت الروح الرياضية ، فكان اليهود يحيون كل نجاح يصيّر اللاعبون العرب ، وكان العرب يردون التحية لللاعبين اليهود اذا أصروا نجاحاً . وتبع المباراة حفلة شاي حضرها نحو خمسين من الفلسطينيين والإنكليز والصهيونيين نعموا ساعة بكلم مضيفيهم النصارى .

وهكذا نجد دائناً بوضوح ان المبشرين وأشياعهم ليسوا خطراً على الاطمئنان الديني في الاسلام ، بل هم خطير على الحياة القومية في الشرق العربي أيضاً .

\*

ولم تكن الارساليات التبشيرية وحدها صديقة لليهود في سبيل تحقيق أهدافها الدينية ، بل ان بريطانية ، الدولة المتبدلة على فلسطين ، كانت صديقة لليهود (٢) في سبيل تحقيق أغراضها الاستعمارية . وما يدلنا على ذلك ، بعد الأدلة التي لمستها في خمسة واربعين عاماً منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ، ان انكلترة أعلنت الوطن القومي لليهود في فلسطين قبل استيلاؤها على فلسطين ، وان المندوب السامي البريطاني الأول في فلسطين ، السير

(1) MW. Apr. 1933, p. 153 .

(2) MW. Oct. 1935, 354, f.

هربرت صموئيل ، كان يهودياً .

وكان تأسيس الدولة اليهودية أمراً مقرراً عند المشرين ، فقد كتب المبشر جون فان أنس (١) يذكر في عام ١٩٤٣ « اسرائيلية » ويعلن حدودها فيقول بأنها الدولة التي ستألف من معظم أراضي اليهودية (الجليل) جنوباً إلى خليج العقبة ، ثم « أردنية » ويجعلها القسم العربي من فلسطين مع شرق الأردن الحالية . هذا يدلنا دلالة واضحة على أن أخبار هذه التقسيمات السياسية كانت في متناول المشرين ، أو ان المشرين كانوا يحضرون عليها في سبيل تسهيل مشاريعهم الدينية .

ويتساءل أحدهما : لماذا يفضل المشرون أن تقوم دولة يهودية في فلسطين ، ولماذا هم يخافون العرب ولا يخافون اليهود ؟

يرى لورنس براون (٢) - وأكثر المشرين على رأيه - ان القضية الإسلامية تختلف من القضية اليهودية : ان المسلمين يختلفون من اليهود في دينهم أن دين دعوة . ان الإسلام يتشرى بين النصارى أنفسهم وبين غير النصارى . ثم ان المسلمين كان لهم كفاح طويل في أوروبا فأخضعوها في مناسبات كثيرة . على أن الفرق الأساسي بين المسلمين واليهود ، كما يراه المشرون ، هو أن المسلمين لم يكونوا يوماً ما أقلية موطدة بالآقدام . ثم قولون : إننا اذا نظرنا الى العالم لم تر مكاناً يمكن أن يصبح المسلمين فيه أقلية مثل هذه الا فلسطين والمهد . من أجل ذلك فرى المشرين ينصرون اليهود على المسلمين في فلسطين .

ثم يعلن لورنس براون رأيه الخاص فيقول : لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة ، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً ملائلاً لهذا الخوف . لقد كنا نخاف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر (باليابان وتزعمها على الصين) وبالخطر البلشفي . الا أن هذا التحرير كلهم لم يتحقق (لم نجده ، لم يتحقق) كما تخيلناه . إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد . ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا (٣) . أما الشعوب الصفر فإن هنالك دولـاً ديمقراطية كبيرة تتكتـل بـمقـاومـتها ..... ولكن الخطـر الـحـقـيقـي كـامـنـ فيـ قـاسـمـ الـاسـلامـ وـفيـ قـدرـتـهـ عـلـىـ التـوـسـعـ وـالـاخـضـاعـ ، وـفيـ حـيـوـيـتـهـ : انهـ الـحدـارـ الـوحـيدـ فيـ وجـهـ الاستعمار الأوروبي (٤) .

(1) John Van Ess , 192.

(2) Browne 7 ff.

(4) Browne 9, 10 .

(3) اصدر المؤلف كتابه عام ١٩٤٤

وما دمنا هنا ، فإن فلسطين تستحق صفحتين أو ثلاث صفحات آخر . نشر الدكتور بيارد ضودج ، رئيس الجامعة الاميركية في بيروت من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٤٨ مقالاً عنوانه : « أمن الضروري أن تنشب حرب في الشرق الأوسط ؟ (١) يبسط فيه رأيه في حل قضية فلسطين ، قال : (٢)

« ان قيام حكومة اتحادية في فلسطين تحت اشراف هيئة الأمم يسلب العرب سيطرتهم المطلقة على فلسطين ، كما يضع حدأً لأدعاء اليهود بهجرة غير مقيدة ، الا ان الفريقين يرتكبان بذلك ربحاً ثابتاً : ان اليهود يحتفظون بوطن قومي واسع جداً يستطيعون به ، لتفوقهم الفي الحديث ، أن يتولوا – بالخطى الاقتصادية السلمية – زعامة الشرق الأوسط كله .اما العرب فانهم سيعجنون ربحاً من ذلك التقدم التجاري والصناعي الذي يأتي من هذا السبيل » .  
وما دمنا في حديث فلسطين فلتتوسع قليلاً في مساعي الغربيين لانشاء إسرائيل توسيعاً يفصح عن بعض غاياتهم .

منذ عهد بعيد ، منذ القرن التاسع عشر ، كانت بريطانية تود استعمار فلسطين وإقامة الحامية فيها لحراسة طريق الهند . ولم يكن بإمكانها أن تفعل ذلك إلا من طريق التبشير . جاء في كتاب « التوراة والسيف » (٣) في صدد نقل فلسطين الى المذهب الانكليزي ( مذهب الدولة في انكلترة ) فصل كامل على اللورد شافتسبيري (٤) الذي كان يمثل فكرة تصدير فلسطين ورد اليهود منصرين اليها ، أو تنصيرهم بعد ردهم اليها ، واعلان الحماية ( البريطانية ) عليها . ولقد روج اللورد بالمرستون (٥) ، وزير الخارجية البريطانية ، هذه الدعوة بر رسالة وجهها الى جريدة التايمز اللندنية فنشرتها الجريدة المذكورة في السابع عشر من آب عام ١٨٤٠ .  
ومن الشخصيات الانكليزية التي عملت بما فكر به شافتسبيري وسعى اليه بالمرستون ، ومن اشتهروا ودارت أسماؤهم في السياسة الشرقية والعربية ، رئيس الوزارة البريطانية غلادستون ، والقائد البريطاني الجنرال غوردون ، والمستكشف البريطاني ليونغستون ، والمرة الشهيرة فلورانس نايتنيغيل . كل هؤلاء ، على اختلاف نزعاتهم وعلى اختلاف البراقع التي وضعوها على وجوههم ، كانوا ذوي اتجاه تبشيري استعماري ، وكلهم كانوا ي يريدون اختراع الوسائل للدفاع عن « الامبراطورية » ولتوسيع رقعتها .

(١) Must There Be war In The Middle East ?

(٢) Reader's Digest , April 1948 , pp. 44 - 5 .

(٣) راجع ص ١١٣ وما يليها .

(٤) أنطوني أشلي كورب شافتسبيري ( ١٨٠١ - ١٨٨٥ ) من الذين اهتموا بالتبشير .

(٥) اللورد بالمرستون ( ١٧٨٤ - ١٨٦٥ ) .

ويرى الانكليز ان فلسطين لم تكن مهمة لهم في ذاتها فقط ، بل كانت عندهم وسيلة ضرورية للدفاع عن الامبراطورية . « لقد كانت أيضاً الصلة الجغرافية بين الشرق والغرب ورأس الحسر بين ثلاث قارات ، وعقدة الدفاع العسكري عن الامبراطورية ، والمنطقة الضرورية للدفاع عن طريق السويس وعن الطريق الى الهند وعن آبار النفط في الموصل » (١) . وتعددت العوامل في السياسة الانكليزية في شأن فلسطين ، ولكن كان بعضها ستاراً ، فقد ألمت بربارة توخمان (٢) - وهي يهودية من الولايات المتحدة - كتاباً سماه « التوراة والسيف ، او انكلترة وفلسطين منذ العصر البرونزي الى بلفور » (٣) ، ذكرت في مقدمته غایتها من تأليفه فقالت (٤) :

« هذا الكتاب محاولة لتبني الأهداف المزدوجة في تطورها منذ البداية : الهدف الثقافي مع الهدف الاستعماري ، والهدف الأخلاقي مع الهدف المادي . وبكلمة واحدة : أريد أن أتبع فيه خطوات التوراة والسيف الى أن تنتهي بفلسطين الى الانتداب » .

ولم يكن في محاولة الاستيلاء على فلسطين تلك العوامل التي ذكرت فحسب ، بل كان ثمة العامل الصليبي الديني في أجل مظاهره ، تقول بربارة توخمان (٥) :

« وهكذا دخل الجنرال اللنبي الى القدس عام ١٩١٨ ، فنجح حيث كان ريتشرد (ريكاردوس قلب الأسد) قد أخفق . ولو لا ذلك الانتصار (انتصار النبي) لما كانت إعادة اسرائيل ، الى الآن ، قد أصبحت حقيقة واقعة . وكذلك لم يكن بإمكان النبي أن ينجح لو لا محاولة ريتشرد : أي لو لم تكن النصرانية قد أقامت ، في الأصل ، الأساس الذي يحمل النصارى على التعليق بالإرض المقدسة . وإنّ من غريب التهمم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم ، وإلى حد ما ، بفعل الدين الذي أعطوه للأمينين » (٦) .

ووعد بلفور أيضاً لم يكن العامل الأساسي في إنشاء دولة اسرائيل . ان السياسات التي استمرت وراء هذا الوعد هي التي أرادت خلق اسرائيل ، سواء أتقى من هذا الوعد في التاريخ أم تأخر وسواء أكان أم لم يكن . قالت بربارة توخمان (٧) :

(1) Bible and Sword XIII .

(2) Barbara W. Tuchman . يمكن لفظ هذا الاسم « توشمان او تشمان »

(3) Bible and Sword, England and Palestine from the Bronze Age to Balfour .

(4) Bible and Sword XIV .

(5) idem .

(6) الأئمّون هم غير اليهود . قسم اليهود الناس في أيامهم قسمين : يهوداً وآميين .

(7) Bible and Sword, 217 .

«أن الانتداب ، لا وعد بلفور ، هو الذي فسح في القانون العام مجالاً لاعادة اسرائيل في فلسطين . ان وعد بلفور كان اعلاناً لسياسة فقط ، وكان بإمكان كل وزارة (بريطانية) تالية أن تتجاهله ، أو أن تدع الزمن يمر عليه ، أو أن ترفضه ، ولكن الانتداب أي ادخال وعد بلفور في صك الانتداب ) كان التعهد الدولي الذي وقعته دول الحلفاء الكبرى التي كانت تعمل باسم عصبة الأمم ثم أكدته فرقته بذلك ، بعد أن وضعته في صلب صك الانتداب ، إلى مستوى المعاهدات » .

والوطن القومي اليهودي لم يكن يعني ملجاً لليهود المضطهدين في أوروبا ، كما كان يزعم الصهيونيون والسايرون في ركب الصهيونية ، بل كان يعني إقامة دولة على غرار دول العصر الحديث . « فلما استفهم الوزير لانستن (١) من وزير مان أمام المجلس الأعلى مؤتمراً باريس عما يعني تماماً بالوطن القومي أجابه بجوابه المشهور : أن تناح لنا الفرصة لنبني بالتدريج قومية في فلسطين هي لليهود بمقام الأمة الفرنسية للفرنسيين والأمة الأنكليزية للأنكليز (٢) » .

ومع كل ما يمكن ان يقال في تقصير العرب ، في فلسطين وفي خارج فلسطين ، فإن سياسة بريطانية في عهد الانتداب كانت العامل الأول في اضعاف القوى العربية . ان التحسس القومي من ناحية والتحسس الديني من ناحية اخرى كانوا قويين بين الشبان العرب في كل مكان ، وفي فلسطين ايضاً . غير ان الانتداب – الذي كان شكلاً آخر من اشكال الاستعمار او اسمياً آخر للاستعمار على الأصح – حاول ان يخدر هذا التحسس ، وفي فلسطين خصوصاً . لقد ألمت حكومة الانتداب نفراً من عرب فلسطين لا يزيدون في العدد على خمسة عشر بالمائة من مجموع السكان بمناصب ذات رقابة اسمية في الحكومة المحلية (٣) . ولما تطور النزاع بين العرب واليهود ولم يبق متذوحة عن الاصطدام في الحقل الداخلي وعلى الصعيد الدولي ، كانت بريطانية خاصة تلعب دورها الصهيوني من وراء ستار .

تجمع المصادر الأجنبية التي تناولت فزاع العرب واليهود في فلسطين ، وخصوصاً في السنتين اللتين سبقتا التقسيم ، على أن العرب كانوا ضعافاً مادياً وعسكرياً ، وعلى أن العرب

(١) روبرت لانستن (١٨٦٤-١٩٢٨) سياسي اميركي ، تولى وزارة الخارجية في الولايات المتحدة (١٩١٥) وكان عضواً في الوفد الأميركي الى مؤتمر الصلح في باريس (١٩١٩-١٩١٨) .

(٢) *Bible and Swotd*, 219.

(٣) Cf. Mott , 65 , 185 .

لم يكونوا حازمين أمرهم على خطة معينة أو هدف معين . وكذلك كان زعماء العرب وحكامهم تتنازعهم الأهواء والمصالح الشخصية والإقليمية . على أن هذه المصادر لا تخفي ، أو لا يخفى فيها ، تواطؤ الدول الأجنبية كلها — وخصوصاً الدول الكبيرة : الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي — على العرب .

نشرت مجلة كومترني التي تصدرها اللجنة الأميركيه اليهودية في نيويورك في عددها الصادر في نيسان من عام ١٩٤٧ تقريراً سنوياً في ما يلي (١) :

ان فلسطين لم تكن تستغرق اهتمام ترومان ، رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، مع كل ما كان فيها من الاضطراب ، ذلك لأن فلسطين لم تكن بقعة دفاعية في الجبهة الانكليزية الأميركيه ، كتركية واليونان مثلاً ، ولكنها كانت خطأً من خطوط المواصلات الداخلية .. غير أن مشكلة فلسطين كانت أكثر تعقداً مما يبدو عليها . ويبدو أن بريطانيا كانت تريد أن تغمس الولايات المتحدة في مشكلة فلسطين ، فلم تجد — وهي المتذبذبة على فلسطين والمسؤوله وحدها عنها — خيراً من أن تحيل تلك المشكلة إلى هيئة الأمم . ومع أن الوزارة البريطانية كانت قد اتخذت قراراً باحالة قضية فلسطين الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فإنها لم تتخذ في ذلك خطوة إيجابية سريعة . ففي السادس والعشرين من آذار أعلن تريغفهلي ، الأمين العام للأمم المتحدة ، انه لم يتلق من أحد بلاغاً عن هذه القضية . ولقد ذكر في ذلك الحين أن تريغفهلي كان يفضل تأليف لجنة للدرس الموقف . غير أن الولايات المتحدة لم تكن واثقة من أن القانون يحيط تأليف مثل هذه اللجنة . ولكن تبين في الوقت نفسه ان لجنة فرعية كانت قد تألفت في الامم المتحدة لجمع المعلومات للجنة المزمع انشاؤها للدرس الموقف في فلسطين . في تلك الاثناء كان عبدالرحمن عزّام ، الأمين العام لجامعة الدول العربية ، قد صرّح في القاهرة بأن اللجنة السياسية في الجامعة العربية قد رفضت الاقتراح القائل بتأليف لجنة للدرس الموقف .

ويذكر التقرير الذي فوجزه في هذا المكان ( وهو يعبر عن رأي اليهود ) ان المفتاح لكل حل يمكن ان يكون مرضياً عنه اما هو في يد الولايات المتحدة . فالولايات المتحدة وحدها تملك الامكانيات التي تجعل تساهل زعماء العرب في (قضية) فلسطين مجدياً ( لهم ) . ثم ان لها من الدالة ما يجعلها قادرة على عقد هذه الصفة .

---

(1) Commentary , New York , vol . 3 , No . 4 , April 1947 , pp. 257 - 62 .

ولما قامت دولة اسرائيل وتعقدت الأمور في الشرق العربي من أجل ذلك بدأت الاقتراحات للتهدة ترد من كل مكان ، وكلها تستند إلى أساس من السياسة والدين ، من الاستعمار والتبيير . من تلك الاقتراحات رغبة فرنسة في العودة إلى الشرق لضبط الأمور وتصريفها بين العرب واليهود .

يُزعم القائد الفرنسي الجنرال بورر مزاعم غريبة ، هو يقول (١) :  
لَوْلَمْ تَكُنِ الْأَحْقَادُ الْجَنْسِيَّةُ وَالدِّينِيَّةُ قُوَّيَّةً جَدًا لَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَحْلِ التَّفَاهُمُ بَيْنَ الْأَرْدُنَ وَإِسْرَائِيلَ تَلْكَ الْمُشَكَّلَةِ . وَلَكِنْ يَبْدُوا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَنْ يَقُومَ بَيْنَهُمَا تَفَاهُمًا دَائِمًا . وَسَيَأْتِي يَوْمٌ تَرُولُ فِي إِحْدَى هَاتِينِ الدُّولَتَيْنِ . أَمَّا الْمُلْكَةُ الْأَرْدُنِيَّةُ الْمَهْشِمِيَّةُ فَيُمْكِنُ أَنْ تَنْطُوَ فِي الْجَمْهُورِيَّةِ السُّورِيَّةِ . وَأَمَّا فِيمَا يَتَعْلَمُ بِإِسْرَائِيلِ وَلِبَنَانٍ فَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَقْتَرَحاَ التَّحَادُّ فِي شَرْقِ الْبَحْرِ الْأَيْضِيِّ الْمُوْسَطِ » .

هذا الرعم ليس من السياسة ولا من التاريخ في شيء . ولكن الجنرال بورر استعماري ، وقد حل محل الموقف في هذا الجزء من العالم بالرغبة الاستعمارية التي في صدره . وسنجد أنه يقول بعد خمس وعشرين صفحة من كتابه أن نظرية الحكم الاهلي في البلاد الإسلامية ، وخاصة عند العرب ، تتمسك بالشكل الملكي على الأنصار . وعلى الرغم من الجهود التي بذلت لاقرار المبدأ العلماني في الدولة ، فإن هذه الملكيات لم تستطع أن تتخلى بعد عن المبادئ الأساسية من الدين الإسلامي ، ولا عن المبادئ الأساسية من النفسية الإسلامية العربية : لا خلاص بغير الإسلام (٢) ... ثم إن إسرائيل نفسها قامت على أساس الدين اليهودي . وهكذا يتضح في الوقت الحاضر أن الشرق لم يفقد بعد فكرة الأمم الدينية التي كان يأخذ بها من قبل ... لذلك يبدو من كل ما تقدم ... أن فرنسة هي التي احتفظت ، بما لها من التفوذ الثقافي والأدبي ، بمهمة الدلالة والمشورة والمساعدة لهذه الدول الفتية من ورثة الأمم القديمة حتى تستطيع هذه الدول أن تتحتل مكاناً في هذا العالم المتبدل . لقد كانت فرنسة من قبل حامية لنصارى الشرق ، فيجب عليها أن تحمييتها النيرة البريئة من الأغراض إلى جميع الذين يسكنون هذا الشرق ، سواء أكانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين ... وإن رسالة فرنسة بصفتها حامية للنصارى قد أضفى عليها دائماً ، في تلك

(1) Ce que devient l'Islam p 70, 95-96.

(2) يقصد أن التفكير السياسي التقديم كان يجعل من أهل كل دين أنه قائمة بنفسها .

البلاد الاسلامية — في الشرق — بهاء لا نظير له » .

ولم يكتف التبشير بالدعوة السافرة الى الاستعمار ، بل كان يسلك سبيل التجسس أيضاً خدمةً لاسرائيل وحقداً على العرب . نشرت مجلة الشرطة والأمن العام (١) مقالاً عن داعية اميركي لاسرائيل يدعى انه يدير جمعية للتقارب المسيحي ، مع لان اسم جمعيته الحقيقي : جمعية التقارب المسيحي اليهودي . ولم يكن عمل هذا الداعية ، واسمها رالف باني ، سوى مساعدة اليهود والدس على العرب بتشويه سمعتهم والتجسس عليهم . ومع أن هذا الداعية كان يرتدي ثياب المبشرين فإنه كان يقوم بأعمال تنافي الدين ، ونشاطه يضر بالعرب . وقد أخرج من الأردن بهذه التهم كلها . والمبشرون الذين يقومون بمثل نشاط رالف باني كثيرون ولكن اقامة البيئة عليهم عسيرة أحياناً لانفائهم فن العمل الصامت ولدفاع حكوماتهم عنهم اذ انهم يخدمون الغaiات الاستعمارية التي ترمي اليها دولهم .

---

(١) دمشق ، السنة الاولى ، العدد ١٢ (٩ ربيع الآخر ١٣٧٣ و ١٥ كانون الأول ١٩٥٣ ) ، الصفحتان ٣٩ ، ٧٥ - ٧٤

## الفصل التاسع

### الأعمال الاجتماعية طريق التبشير

•

الأعمال الاجتماعية هي المناسبات التي تربط بعض البشر بعضهم عرضاً ، أو تتيح بعض الناس أن يعرفوا بعضهم الآخر . إن البشر عادة مقسمون حسب اعماهم ، فقلما ينال للطبيب المنصرف إلى علمه و عمله أن يجتمع بالناجر أو بالصانع أو بالفنان . وكذلك يعتذر على رجل من المدينة ، أو من حي معين في المدينة ، أن يجتمع برجل من مدينة أخرى أو من حي آخر في مدنته هو . من أجل ذلك يلجم الناس عادة إلى خلق جو اجتماعي يجمع بينهم في مناسبات مختلفة : في الحفلات الرياضية والخطابية ، وفي الأندية الأدبية والسياسية ، وفي الاتصال فيما بينهم من طريق الصحف والمجلات وأعمال البر والاحسان ، وفي الاجتماعات المختلفة بين الجنسين رجالاً ونساءً .

والمبشرون يعرفون هذه كلها في بلادهم فأحبوا أن ينقلوها إلى بلادنا ، لا حباً بنا نحن لكي تكون الصلات بيننا أوthon والحياة عندنا أكثر فائدة وأكثر مرحاً ، بل توصلنا إلى اختراق السور الذي ضربه العُرف الشري حول الأسرة المسلمة كي يُفتح لهم باب جديد يلجمونه للتبرير بينما . تلك كانت غايتها الأولى من النشاط الاجتماعي الذي أحبوا أن ينشئوا في بيتننا بواسطة المدارس الامريكية خاصة ، ومن طريق الخدمة الاجتماعية بين الفلاحين أيضاً .

جاء في كتاب اسمه مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين (1) : « نحن نتعني بالعمل الاجتماعي المسيحي تطبيق مبادئه يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية . إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر ، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينياً بالأسلحة الروحية . فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده

---

(1) Conference of Christian Workers Among Moslems , N. Y. 1924 .

ويتمه ... فلنبدأ بالصلات اليومية ، تلك التي تتصل بالطفل وبالمرأة ثم توسع في تلك الصلات حتى تبلغ الى المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم .. فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتبع (للمبشر المسيحي) أن يتصل برجال ونساء في البيئة (الاسلامية) الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم ...

«من أجل ذلك نحن ننصح بالسير في الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية : «ايجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصاً الطلبة منهم ومنهن – ايجاد أندية – الاعتناء بالتعليم الرياضي وأعمال الترقية – حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال .

«وبما أن جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات قد نصبتا نفسها للوصول الى الشباب المسلم في النواحي الآنفة الذكر وفي غيرها أيضاً ، فالواجب يقضي ان تُشجعَ لتنسخ دائرة عملها فتشمل الجماعات المسؤولة من المسلمين ومن الذين يرجحون بمثل هذه الجهد (من غير أن يفطنوا ، طبعاً ، الى الغرض التبشيري) .

«وعلى المبشرين أن يتعرفوا الى احوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حوصل ثم يسعوا الى الاصلاح (في الظاهر) ، سعياً الى التأثير على الرأي العام (بأن غايتهم شريعة مجردة من الغرض التبشيري) . وما يجب أن يهم المبشرون به (في الظاهر) : اصلاح الاحداث – الخيلولة دون الزواج الباكر – الخيلولة دون تشغيل الأطفال – محاولة اصلاح الاحوال العامة للعمال فيما يتعلق بساعات العمل وبالأجور وبالامور الصحية في المعامل – الرفق بالحيوان ... (ص ٣٤ - ٣٦) ».

من أجل ذلك نرى في الدرجة الأولى أن الجدران قد امتلأت في بلادنا بالدعوه الى «الرفق بالحيوان» وبحملة «ال الطفل للمدرسة لا للعمل» ، وبالدعوة الى «انصاف العمال» . ولكننا لا نرى اصلاً حقيقياً في هذا السبيل ، بل نرى مقابل ذلك «ظلمًا للانسان» و «تشريدًا للأطفال (١)» و «استغلالاً للعمال» . فالذين يقومون بهذه الدعوات الظاهرة لا يقصدون الاصلاح الحقيقي ، بل يقصدون التسلل بالتبشير الى الجماعات المسلمة .

والمسلمون خاصة لم يتقبلوا أعمال التبشير الاجتماعية (في ظاهرها) بسرور ، لأسباب مختلفة ، منها ان الاسلام نظام اجتماعي كامل ، وكل ما يأتي به هو لاء المبشرون ، باعترافهم

(١) كشريد أطفالاً الفلسطينيين من بلادهم وظلمتهم في خيانتهم باتفاق المال المخصص لهم على موظفين أجانب ووطنيين .

هم ، موجود في الاسلام وفي اشكال اتم وأحسن (١) . وهذا حق ، فالدين الاسلامي ليس عقيدة فقط بل هو عقيدة ونظام اجتماعي أيضاً . أما النصرانية فليست كذلك . وان ما يأتي به المبشرون على انه اصلاحات اجتماعية ، إنما هي نتاج مشوه لمبادئ اجتماعية نشأت في القرون المتأخرة . وما كان أغنى المسلمين عن أن يتناولوا هذه المبادئ الاجتماعية ملونة بلون التبشير ! إن ثمة حاجة الى تجديد اجتماعي بين المسلمين ، لا ريب في ذلك . من أجل ذلك يحسن اللجوء الى المذاهب الاجتماعية ، اذا كانت موافقة ، من غير أن تمر بين أيدي المبشرين .

وهناك أمر آخر يمنع المسلمين من تصديق أقوال المبشرين ، حتى في الاجتماع . يقول المبشر و . رايد :

«إن الوصول الى المسلمين صعب ... ذلك لأن المسلمين يشكون في من يتبرع لهم (من المبشرين) ويتعززون عمله الى مأرب ما ... اني أنا (والكلام للمبشر رايد) أحارو ان انقل المسلم من محمد الى المسيح ، ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصة . أنا لا أحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لي في الانسانية . ولو لا اني أريد ربحه الى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأسعاده » (٢) .

والمسلمون يعرفون هذا ، ولذلك قلما يثقون بالمبشرين وبأعمالهم الاجتماعية ، لا كرهاً بالأعمال الاجتماعية ، بل لأن هذه الأعمال تأتي دائمًا ناقصة مشوهة لأنها في الحقيقة وسيلة تبشير ديني ، هو بدوره وسيلة أخرى إلى استعمار سياسي واقتصادي .

### الرسانة طريق التبشير

الاحسان في حقيقته عطف من القوي على الضعيف ، عطف يتبدى في صور مختلفة أبرزها وأشهرها دفع المال . ولكن الاحسان قد يجري مجرى آخرى كالتعليم المجاني ، وهبة الثياب والكتب ، والمساعدة على ايجاد عمل وما يجري هذا المجرى . فلتبدأ هنا بالمال : لم يكن المبشرون محسنين بالمعنى النبيل الذي نفهمه من هذه الكلمة ، ولكنهم كانوا يستغلون ما بأيديهم من وسائل الاحسان حتى يصلوا الى أهدافهم التبشيرية فالاستعمارية . ولقد كانوا فوق ذلك مقتضدين جداً لا ينفقون ولا ينفدون إلا بمقدار ما ينتظرون من فوائد

(1) Christian Workers 34 f., 68. ff.

(2) Quoted in Gairdner 264.

عاجلة . أَلْفُ جماعة من المبشرين كتاباً اسمه « أَسْسٌ جديدة للتبشير » (٢) قالوا فيه : كان الطبيب والعلیم من وسائل التبشير ، ويجب أن يقیاً كذلك . أما أعمال الخیر فيجب أن تستعمل بحكمة فلا تتفق الأموال إلا في سبیلها : يجب أن تعطی الأموال أولاً للبعداء ، ثم يقل دفعها تدريجياً كلما زاد اقترب هؤلاء إلى الكنيسة (أي كلما زاد الأمل باضمامهم إلى المذهب الجديد ) ، فإذا دخلوها منعت عنهم أعمال الخیر . ثم يجب ألا يبالغ في الناحية الخیرية على كل حال (٢) .

### ابن زهہب سقطم اموال الرمان

وذكر دانيال بلس ان اموالاً أرسلت عقب فتنة ١٨٦٠ الى خوري قرية في لبنان ليوزعها على أهل قريته فاحتفظ بالأموال لنفسه . هذا فضلاً عن أن الكثيرون من الأهلين كانوا يدعون بأن الدروز قد قتلوا أقاربهم وهدموا بيوتهم ليحصلوا على على أموال لا حق لهم بها ، أو ليحصلوا على أكثر مما هو حق لهم . وكان ثمة أفراد أقوباء الأجسام ظلوا يعتمدون على أموال الاحسان زمناً طويلاً بعد فتنة ١٨٦٠ ويعيشون منها (٣) .

كان المبشرون يعرفون كيف تتفق هذه الأموال والى أين تذهب ، وكانوا يغمضون أعينهم لأنهم لم يكونوا يودون الاحسان إلى البائس والمحروم ، بل كانت كل طائفة منهم تصبّد بتلك الأموال خرافاً جديدة لحظيرتها .

أما كيف يستغل المبشرون أعمال الخیر في سبیل التبشير فتمثله القطعة التالية :

كتب آمر دوغلاس مقالاً عنوانه « كيف نضم اليانا أطفال المسلمين في الجزائر » (٤) ، ذكر فيه أن ملاجيء قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال افريقيا لإطعام الأطفال القراء وكسائهم وايوائهم أحياناً . ثم قال إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى ، لكنها لا تقيهم مسلمين كآباءهم . ومثل هذه الجهود يبذلها المبشرون في شمالي افريقيا ومصر (٥) ولقد صدر في « نشرة الأخبار للمجلس المسيحي في الشرق الأوسط » (٦) مقال عنوانه

(1) Re - Thinking Missions ( cf . Bibliography ) .

(2) ibid 67 f. , cf . 70 f

(3) Bliss 159 ff ,

(4) MW , July 1935 pp . 283. f .

(5) cf . MW . Oct . , 1935 , pp . 1936 ff . ; Oct . 1936, pp . 392 ff .

(6) News Bulletin of the Near East Christian Gouncil, Beirut, Oct . 1945. pages 12 - 16 .

« جمعيات المتطوعين والخدمة الاجتماعية في مصر » ، جاء فيه أشياء كثيرة عن استغلال الحاجات الاجتماعية في الشعب المصري للتبسيط في العمل المسيحي في القطر المصري كله . وكاتب المقال يريد أن تستأثر الجمعيات التبشيرية بكل نواحي الخدمة الاجتماعية ، وهو يضمن بأن تقوم على ذلك الحكومة المصرية نفسها .

\*

ويظهر أن الارساليات الكاثوليكية أكثر استخداماً للاحسان في سبيل التبشير . ولقد أهتم بباباوات رومية في الحقبة الأخيرة بنشر النصرانية بين المسلمين ، حتى أن البابا بندكتوس (١٩١٤ - ١٩٢٢) عرف باسم بابا الارساليات .

والارساليات الكاثوليكية كغيرها تتبع طريقتين في التبشير : التبشير المباشر بمخاطبة غير النصارى (أو غير الكاثوليك أيضاً) رأساً بأمور العقيدة وبالتعليم المسيحي . أما الطريقة غير المباشرة فتقوم على الاحسان المادي وعلى العناية بالمرضى والتعليم وما أشبه ذلك . ويندر أن تستعمل الطريقة المباشرة مع المسلمين ، فان المبشر الكاثوليكي قد اتبع في كل مكان نزل فيه بين المسلمين الطريقة غير المباشرة (١) .

كتب صموئيل زويمر صاحب مجلة « العام الاسلامي » (٢) مقالاً في مجلته (٣) عنوانه « استخدام الصدقات لاكتساب الصابرين » . ومع أن المقال كله يبحث في أن الاسلام أجاز اعطاء الزكاة للمؤمنة قلوبهم ، أي أولئك الذين دخلوا في الاسلام في عهد الرسول وكانوا ذوي حاجة وذوي اتجاه مادي ، فان المقصود من المقالة استخدام الاحسان في سبيل التبشير المسيحي أيضاً .

أما البروتستانت خاصة فانهم لا يرون أن توزع الارساليات إعانت من ماهما هي ، وإن كانت أحياناً تقوم بتوزيع الاعنات الواردة اليها من أماكن مختلفة (٤) .

وما جعل المسلمين ينظرون بحذر الى الاعمال الاجتماعية التي كان المبشرون يتظاهرون بها رثاء الناس أمرٌ على غاية من الأهمية . كان المبشرون يحسّتون أن عملهم الاجتماعية بقوتهم أنها اعمال الغرب المتقدم المتحضر في الشرق المتأخر ، وأنها نعمة مسيحية بين المسلمين متقهقرین . ولكن المسلمين رأوا فساد الأخلاق يمشي مع هؤلاء الغربيين خطوة خطوة .

(1) MW. July 1936. pp. 223 f.

(2) The Moslem World , editor : Samuel M. Zwemer .

(3) pp. 141 ff.

(4) MW. 1933 , pp. 124 f.

وأخذ الاحسان بعد الحرب العالمية الثانية شكلًا جديداً وطريقة جديدة . لقد أصبح مساعدات فنية للأمم المتختلفة ، ثم لم يبق من حاجة لبذلها من طريق التبشير ما دام قد أصبح بذلك ممكناً من طريق الحكومات المستعمرة نفسها ، ولا غرو فإن التبشير لم يكن سوى وسيلة إلى الاستعمار ، فما الفائدة إذن من الاحتفاظ بوسيلة إذا كان الاستعمار قد وجد خيراً منها ؟

أجمل عبدالعزيز فهمي أهداف المساعدات الفنية وأغراضها الحقيقة أجمالاً جيداً في كتابه « الاستعمار عدو الشعوب » (١) واستشهد بالحقائق التالية (٢) :

.... لقد أجاب مسؤول ترولمان ، الرئيس الأميركي السابق ، على أسئلة طرحت عليه في مؤتمر الحزب الديمقراطي الذي عقد في أثناء الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية ، في أوائل عام ١٩٥٢ ، فقال : « إن مشروع النقطة الرابعة يعني بالنسبة للولايات المتحدة توسيع نطاق التجارة وزيادة أسواق التصدير وتمويل أميركا بالمواد الأولية ». وكذلك ذكر أحد زعماء الحزب في المؤتمر نفسه أن مشروعات النقطة الرابعة من شأنها أن تضع البلاد المختلفة في خدمة الخطوط العسكرية للولايات المتحدة الأميركية لأنها ستكون منابعاً للمواد الأولية الاستراتيجية . وقال وزير الخارجية الأمريكية السابق ، المسؤول دين اتشنسون : أن الدافع على الرغبة في نجاح المشروع ليس حب أميركا للنوع البشري ، بل هو مصلحة أميركا العملية . وبعيداً عن ستكلر ، وزير التجارة الأمريكية في حكومة الرئيس إيزنهاور أهداف مشروع النقطة الرابعة فيقول : « أني أرجح (٣) أن أرى رؤوس الأموال الخاصة لا القروض الحكومية ، هي التي ستتدفق على الخارج . وإذا ما ذهبت قروض خاصة إلى الخارج فمن رأيي أنه يجب على الحكومة الأمريكية أن تسهر على تأمين نجاحها كما يجب أن تتمتع (رؤوس الأموال هذه) بقسط من الحماية ». وليس من الخفي على أحد أن هذه المساعدات لا تبذل إلا مع خبراء ينفذون في الدرجة الأولى اتجاه حكوماتهم في البلاد المختلفة لا حاجات تلك البلاد المختلفة .

وأقرب مثال على التدخل السياسي مع المساعدات الفنية مشروع بناء السد العالي على نهر النيل في مصر . عرضت الولايات المتحدة على مصر تمويل بناء سد على النيل بأموال بعضها

(١) ١٤١ - ١٢٧ .

(٢) مجلة الترقى التجارية (في الولايات المتحدة) - السنة العاشرة ، مارس (آذار) ١٩٥٣ ، العدد ٣ ،

من ٩٦٩ (الاستعمار عدو الشعوب ١٣١) .

(٣) أفضل ؟

هبة وبعضاها قرض طويل الأمد، ولكنها اشترطت شروطاً كثيرة مختلفة رأى الجاذب المصري أن يدرسها بإنعام نظر . وطال الأخذ والرد بين الجاذبين المصري والأميركي ، واتفق أن السياسة العربية عامة والمصرية خاصة كانت قد اقتنعت في تلك الأثناء - خطأ أو صواباً - بالتقرب من المعسكر الشرقي وشراء الأسلحة من الدول المتصلة بالاتحاد السوفيتي بعد أن رفضت دول المعسكر الغربي بيع الأسلحة للعرب إلا بشروط قاسية جداً منها لا يُستعمل هذا السلاح في محاربة إسرائيل . ولما رأت الولايات المتحدة أن لا أمل باعادة مصر الى قبضة الدول الغربية ، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، أعلنت أنها في الوقت الحاضر لا تستطيع تمويل هذا السد لأسباب منها أن ثمة دول لاً لها مصالح في مياه النيل فيجب أخذ رأيها في توزيع تلك المياه . ومنها أيضاً أن الولايات المتحدة تشک في أن مصر ، في الوقت الحاضر أيضاً ، تستطيع أن تقوم بقسطها المالي لإنجاز هذا السد . كان الولايات المتحدة لم تكن تعرف ذلك قبل اليوم . وفي اليوم نفسه أصدرت بريطانيا بياناً تذكر فيه الصعوبات التي تحول دون مساهمتها في تمويل السد العالمي لأسباب لا تختلف عن الأعذار التي اتحلتها الولايات المتحدة (١) . وبعد فان القسم الأوفر من المبالغ التي تدفع في البلاد المختلفة يذهب إلى الموظفين . وغنى عن البيان أن المرتبات الضخمة يتناولها الموظفون الدوليون (أي الأميركيون في الأكثـر) لا الموظفون المحليون الذين تنفذ المشاريع في بلادهم .

وفيما يلي مثال واحد بسيط على العمل البسيط الذي تقوم به وكالة الإغاثة لللاجئين الفلسطينيين والداعية الضخمة التي تراافق ذلك العمل . جاء في نشرة «الأمم المتحدة» (٢) تقرير جعل عنوانه «اعمال وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين خلال عام ١٩٥٤» . غير أنها اذا طالعنا التقرير وجدناه يتناول السنوات الخمس من ١٩٥١ إلى ١٩٥٥ . وهكذا يرزا في العنوان العنصر الأول للدعـاعة الضخـمة ، وهو ان المبلغ الذي ذكر في التقرير والذي يقرب من مائة وخمسة وأربعين مليوناً من الدولارات لم ينفق على اللاجئين في عام واحد ، كما يوهم العنوان بل في خمسة أعـام . فالوكـالة قد أنفقت على اللاجـئـين اذن تسـعة وعشـرين مليون دـولـار في كلـ عامـ كانتـ الحكومـاتـ العـربـيةـ تـدفعـ منهاـ مـليـونـ دـولـارـ فيـ العامـ . وإذا رجـعواـ النـظرـ فيـ التـقرـيرـ رأـيناـ أنـ فيـ وكـالةـ الإـغـاثـةـ نحوـ تسـعةـ آلـافـ موـظـفـ يتـناـولـونـ روـاتـبـهمـ منـ هـذـاـ المـلـبغـ . ولاـ يـعـقـلـ أنـ تـقلـ روـاتـبـ هـؤـلـاءـ وـنـفـقـاتـ الـادـارـةـ عنـ عـشـرـةـ مـلـاـيـنـ دـولـارـ

(١) جريدة الحياة (بيروت) ، السنة ١١ ، العدد ٣١٣٣ ، الجمعة ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٥٦ ، ١٢ في الحجة ١٣٧٥ .

(٢) نشرة أسبوعية يصدرها مكتب الأمم المتحدة للأقباء في الشرق الأوسط ، المجلد الثاني ، العدد ٣٧ ، القاهرة في ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٥ .

بحال من الأحوال . ولكن لنفرض أن رواتب الموظفين ونفقات الأدارة تدفعها الأمم المتحدة ، وان المبلغ المذكور كله ، وهو ٢٩,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، ينفق على إغاثة اللاجئين المسجلين في سجلات وكالة الأغاثة ، وعدهم ٩٦٠,٠٢١ لاجئاً ، فيكون ما يصيب اللاجيء في العام نحو ثلاثة دولارات . الواقع انه لا يصيب اللاجيء في العام إلا نحو خمسة عشر دولاراً أو دولار وربع فقط في كل شهر . أما تقرير وكالة الأغاثة فقد تبجح ذكر (٣) « ان جميع النفقات والمصروفات (لكل لاجيء) تبلغ ٢٢٥ دولاراً (مائتين وخمسة وعشرين دولاراً) في كل شهر بالإضافة الى المؤن الخاصة التي وزّعت علينا على المرضى والأطفال والمرضى والمصابين بسوء التغذية » . ان مائتين وخمسة وعشرين دولاراً تساوي نحو ستة وتسعين جنيهاً أو ألف ريال سعودي أو نحو سبعين وخمسين ليرة سورية لبنانية . هذا المبلغ يوازي في الشرق الأوسط راتب موظف كبير في الدولة ، ولكن وكالة الأغاثة ذكرته تبجحاً ودعاه .

وبما أن نشرة الأمم المتحدة هذه كانت نصلني ، فقد لفت هذا التقرير وما فيه من المغالطات نظري . فكتبت الى رئيس تحرير النشرة رسالة (٤) أستوضح فيها عما جاء في التقرير المنشور . ولقد ورد علي جواب (٥) ينسب « ذكر الرقم ٢٢٥ دولاراً » الى خطأ آلي . ولكني لا أذكر أن نشرة الأمم المتحدة قد صحتت « هذا الخطأ الآلي » في عدد من أعدادها التالية . ثم انقطعت هذه النشرة عن الوصول إلي .

غير أن ما هو أدهى من ذلك وأمر أن وكالة الأغاثة تسمم اللاجئين سوء العذاب بالاهمال والاذلال والتعذيب والتنكيل حتى سميت في الصحف المحلية « وكالة الابادة » . وأخبار سوء معاملتها لللاجئين تماماً الصحف العربية . أما ما يقال عن تحيز الوكالة لأعداء اللاجئين ولأساليبها التبشيرية والاستعمارية فكثير مشهور في الصحف المحلية ، وليس هذا الكتاب موضع له .

### نشر الفساد

بعد فتنة سنة الستين (عام ١٨٦٠) م أرسلت فرنسيّة جيشاً لتحتل جبل لبنان دفاعاً عن الموارنة . « ولقد كان الاحتلال الفرنسي لعنة في سورية ، فقد فتح الافرنسيون يومذاك في

(١) نشرة الأمم المتحدة الآئنة الذكر ، الصفحة ٢ ، في الوسط ، والصفحة ٣ ، في الوسط .

(٢) بتاريخ ٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٥ .

(٣) بتاريخ ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٥ .

لبنان خمسين حانة وعددًا كبيراً من بيوت الدعاارة . وكذلك تفضي السكر إلى حدم لم يكن من قبل معروفاً . ثم زال الاحتلال الفرنسي ، ولكن سياته لم تُزل « (١) » . ولم يكن الأفرنسيون في ذلك وحدهم مَثَلَّ السوء ، بل جاراهم الانكليز كخيل الرهان . وصلت إلى بيروت سفينة حربية انكليزية فنزل بمحارتها إلى المدينة – على عادتهم – وجاء خمسة من هؤلاء سكارى إلى حانة يديرها مسيير ترويه (٢) وطلبوا خمراً فلم يعطهم . عندئذ اندفعوا إلى الحانة يحطمون ما فيها ، فأخافوا وسجنا . ويقول المبشر جسب بصراحة أن هذا العمل قد حط من قدر الانكليز في عيون أهل بيروت ، وكان مما يقلل الثقة بالمبشرين (٣) .

وما يستحق الذكر ويساعد على فهم هذه السياسة من الأفساد الجدي الذي كان يرافق الأعمال الاجتماعية التي كان الغربيون يقومون بها في بلادنا رباء وتغطية لمارفهم « أنه كان في بيروت عام ١٨٥٦ حانة واحدة يديرها رجل يوناني . غير أن « الباشا » – المحاكم – أغفلها . ولكن القنصل اليوناني احتاج على ذلك ثم فتحها لأن أصحابها يتمتع بحماية دولية مسيحية ... وكذلك كانت الحمر تشن من انكلترة إلى الامبراطورية العثمانية لتفتك بالشعوب العثمانية كما هي الآن (٤) تفتك بالقبائل الأفريقية » (٥) .

والانكليز قد يمو العهد في صناعة الأفساد الخلقي الولوج بالاستعمار إلى مناطق العالم المختلفة . في عام ١٨٣٩ ثارت بين انكلترة والصين حرب عرفت باسم حرب الأفيون ، ذلك لأن الشركات البريطانية كانت قد أنشأت في البنغال – شرق الهند – مزارع ومعامل للأفيون وأخذت ترسله إلى الصين جهراً وسرأ . ولما حاولت الصين أن تمنع دخول الأفيون إلى بلادها حرصاً على صحة أهلها ، هبت انكلترة لمحاربة الصين دفاعاً عن حرية التجارة (٦) وانتهت حرب الأفيون بانتصار انكلترة وعقد معااهدة نانكين (١٨٤٢) واستيلاء الانكليز على جزيرة هونغ كونغ . واستمر تهريب الأفيون إلى الصين احتكاراً تماماً للأنكليز وللشركات الانكليزية (٧) . وهكذا فرض الانكليز هذا المخدر بقوة السلاح على أهل الصين تنفيذه .

(١) Jessup 233 ff. , 730 .

(٢) Mr. Troyet.

(٣) Jessup 235 .

(٤) في زمن المبشر جسب : Jessup

(٥) في زمن المبشر جسب : Jessup

(٦) راجع الاستعمار عن الشوب : ص ٤٩ وما بعدها .

(٧) قصة العقاقير للدكتور محمود سلامة (سلسلة أقرأ رقم ١٢٤) ، ص ٩ .

ولا ريب في أن تهريب «حشيشة الكيف»، (الحشيش) إلى مصر لم يكن سببه براءة المهربيين المحليين فقط وعجز الانكليز عن اكتشاف وسائل التهريب . ولقد ظهر الآن وراء كل شك ان عمليات التهريب الكبرى تستند إلى مساعدات دولية هامة .

أما لماذا يستعجيز الأوروبيون أفساد الشعوب في آسيا وأفريقيا فليس ذلك فقط لأنهم يحبون الكسب والسيطرة ، بل لأنهم أيضاً يعتقدون أن الشعوب الملونة أقل منهم قدرأً في سلم الإنسانية . من هذا الاعتقاد نشأت فلسفة أوروبية في الاسترقاق والاستعمار .

منذ أوائل القرن السادس عشر للميلاد بدأ البرتغاليون تجارة الرقيق ، ثم تبعتهم في ذلك دول أوروبية . وبلغ الاتجار بالزنوج مداه في بريطانية ، حتى أن الملكة إليزابيث الأولى شاركت الجنانين في تجارة هؤلئه وأغارتهم بعض سفن أسطولها . وتطلبت الانكليزية عثراً للاتجار بالرقيق الأسود فغيرت لها به رجال الدين . لقد وجدوا في التوراة (١) أن حام بن نوح كان قد أغضب آباء ، قيل أن نوح حس克 يوماً ثم تعرى ونام في خيائه ، فاتفق أن ابنه حاماً أبصره على هذه الحال . فلما استيقظ نوح وعلم أن حاماً قد أبصره عاريًّا دعا عليه ولعن نسله الذين هم كنعان وقال بلفظ التوراة : « ... ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لأخوه ». وقال مبارك الراب آله سام . ول يكن كنعان عبداً لهم (٢) . ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام . ول يكن كنعان عبداً لهم ». وبما أن الأوروبيين يعتقدون أنهم أبناء يافث وان الزنوج هم أبناء كنعان بن حام فقد أفتوا بأن استعباد الزنوج مباح أو هو واجب بلفظ التوراة ، والتوراة أساس الدين . والغريب في ذلك ان الأوروبيين قد وصلوا إلى القرن العشرين من تاريخ المدنية ولا يزالون يعتقدون ، وخصوصاً الانكليز والأميركيين ، ان الرقيق مباح وان الاتجار بالبشر كالاتجار بالقطن والدجاج . على أن الأوروبيين يحرمون الرقيق في المؤتمرات والصحف والمجلات ، ولكنهم يسترقون الناس ويهدرون الكرامات فعلاً كل يوم . ومعاملة الانكليز والمولنديين للزنوج والمنود معروفة (٣) . أما معاملة الأميركيين للبيض للأميركيين السود في الولايات المتحدة نفسها فقد بلغ من السوء والفظاعة والهمجية ما خرج عن طوق الخيال ، وامتلأت به الصحف والمجلات والكتب ، الا الضمير الأميركي فإنه لا يزال متسعًا هادئاً ، لا هو يطمح بتلك القطائع ولا هو يتحرّك عند روتها تمثل كل يوم أمام عينيه .

(١) سفر التكريم ٩ : ١٨ - ٢٧ .

(٢) سفر التكريم ٩ : ٢٦ .

(٣) بطالع القاريء بلا ريب كثيراً من أخبار النزاع المنصري الشعبي وال رسمي في جنوب إفريقيا .

## جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات

ما لا ريب فيه أننا أصبحنا مقتنيين الآن بأن للتبيشير ظاهراً وباطناً ، وبأن المبشرين يتسلون بظاهر الأعمال الاجتماعية الرحيمة إلى باطن التبيشير الاستعماري . فمن أوجه النشاط الاجتماعي التي تُستغل في التبيشير : جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات (١) ، المخيمات ، مؤتمرات الطلاب ، الألعاب الرياضية ، بيوت الطلبة ، ملاجئ الأطفال ثم نشر الكتب (٢) ؛ مظاهر كلها بريئة مفيدة ولكنها تحمل في طياتها التبيشير الذي يقود إلى الاستعمار . وبما ان الكلام على هذه كلها معناه إعادة الكلام على التبيشير كله ، فاننا سنشير إلى ما لم تسبق الإشارة إليه من قبل اشارة موجزة .

إن فروع جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات قد نشرت في الشرق تكون عوناً على تغفل التبيشير المسيحي . يقول أديسون (٣) :

ان عوامل التعليم المسيحي في مصر ، تزيد قوة على قوتها بمُؤسسي جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات ، وهما مؤستان غير طائفتين (٤) ... إن هاتين الجمعيتين مراكز نشطة ، وخصوصاً في القاهرة والاسكندرية . هذه الفروع تقدم (للمسلمين) مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية .. وتهبّ في المجتمع أولاناً من النشاط تندر في الشرق ... وفي هذا اقرب من المسلمين (بالتبشير) .

ويصرح الكاتب نفسه بجهة جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات في اواخر كتابه ، وحينما يتكلم عن فلسطين خاصة ، فيقول :

منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين اتسع التبشير البروتستانتي واخذ المبشرون يستخدمون

(١) لقد تبدل اسم هاتين الجمعيتين فأصبح : الجمعية المسيحية للشبان والجمعية المسيحية للشابات . وفي هذا التبدل غرض غير خفي . إن معناها النقلي الأول كان : جمعية للشبان المسيحيين وحدهم والشابات المسيحيات . وحدثن . أما الآن فالمفهوم قد أصبح : جمعية مسيحية (يدبرها المسيحيون) للشبان (لكل الشبان) والشابات (لكل الشابات) . على ان المقصود الحقيقي كان من قبل كما هو الآن . وهو الآن كما كان من قبل .  
 (2) Christian Workers 23 - 26 , 61 ff .  
 (3) Addison 159 , cf . 110 .  
 (4) ibid 328 f .

لما قال أديسون عن جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات أنها (غير طائفتين) عن أنها تقبلون أعضاء من جميع الأديان والمذاهب ، ولم يعن أنها لا تشترطن بالأمور الدينية الطائفية .

كل شكل من اشكال التبشير استخداماً فعالاً. من ذلك التبشير الاجماعي والفردي ، ومن ذلك توزيع الأنجليل والكتب المسيحية الأخرى ، وكذلك التعليم الابتدائي والثانوي ( حتى أصبح في فلسطين واحدة وأربعون مدرسة فيها اربعة آلاف وثمانمائة تلميذة . ثم هنالك الأعمال الطيبة والمستشفى والمستوصفات . ومن ذلك ايضاً الأعمال الاجتماعية التي تقدمها مؤسسات مثل مؤسستي جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات ) .

ولقد كان ولبرت سميث اشد صراحة في مقال له عنوانه « جمعية الشبان المسيحيين في الشرق الأدنى » (١) ، قال :

« إن جمعية الشبان المسيحيين قد جاءت الى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية . أما هدفها الرئيسي فهو تنشئة الشبان على اسس مسيحية . ولفروع هذه الجمعية منهج دائم ، وهو اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحويل . وهنالك ايضاً سلسلة من الاجتماعات التبشيرية » .

ومع كل هذه الأدلة الظاهرة على ان جمعية الشبان المسيحية وجمعية الشابات المسيحية آلات للتبشير ، فإن نفراً من أصدقائنا قد أنكروا ذلك وأنكروا علينا حشر هاتين الجمعيتين بين المؤسسات التي تعمل في التبشير ، وكانوا يدعون دائماً – ويصرّون على دعواهم – بأن الجمعيتين المذكورتين تقومان بنشاط اجتماعي فقط وليس لهما صلة بالتبشير البتة . على أن النص الآتي من كتاب « عمل الارساليات » تأليف كورنيليوس باتون صريح في هذا الشأن كل الصراحة (٢) :

« ان تقسيم العمل بين العاملين المسيحيين (في حقل التبشير) قد اقتضى ، بناء على الترتيب الحكيم ، ان يعهد الى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل في المدن ، وخصوصاً بين الطالب والطبقات المثقفة في المدن . أما الصين فأنا افضل المبادرين الموافقة في العالم لمثل هذا النوع من التقرب من شعب غير مسيحي ... ان هذه الجمعية ، تستطيع ، بواسطة نشاطها الجانبي في الحياة الاجتماعية والرياضية ، ان تجتذب رجالاً ليس بالأمكان ان يتقبلوا التنصيرانية بطريقة شخصية ..... ان جمعية الشبان المسيحيين قد قامت بخدمة قيمة جداً .... من طريق الاجتماعات الخطابية العامة . فقد طاف بعض الخطباء بشيء من وسائل الإيصال المتعلقة بالتلفارف اللاسلكي وبغيره من الاختراعات مما يمكن ان يثير فضول الصينيين واهتمامهم . وقد سمع محاضرات الاستاذ روبرتسون ما لا يقل عن مائة ألف شخص وشاهدوا

(1) The Y.M.C.A. in the Near East, by Wilbert B. Smith, M.W. Apr. 33, pp. 148ff.

(2) باتون ٧٩ - ٨٣ .

تجاربه العلمية .... وكان الاستاذ روبرتسون يضيف الى كلامه على العلم عرضاً للنصرانية على أساس من الحياة الشخصية والقومية في الصين . ولقد تعود عدد من الخطباء ايضاً ان يهتموا بالجانب الروحي . وكان الذين يحضورون هذه الاجتماعات الدينية الحالصة يزدرون على عدد الذين يأتون الى المحاضرات العادمة . وفي أثناء رحلة ( خطابية ) مثل هذه خطأ نحو ستة عشر ألف شخص خطوهم الأولى نحو تقبل النصرانية . وهكذا يبرز النشاط الاجتماعي والفكري لجمعية الشبان المسيحيين بين وسائل التبشير في الصين .  
اما جمعية الشابات المسيحيات فانها تحاول ان تصنع لنساء الصين ما تحاول جمعية الشبان المسيحيين صنعه للرجال » .

ولا ريب في ان عمل هاتين الجمعيتين في سائر بلاد العالم ، وفي البلاد العربية بطبيعة الحال ، لا يختلف عن عملهما في الصين في شيء البتة .

### المرأة : فتاة وأما

ويهم المبشرون خاصة بالمرأة . إن المرأة مدار الحياة الاجتماعية ، والوصول بالتبشير اليها وصول الى الاسرة كلها . من أجل ذلك كانت جمعية الشابات المسيحيات بفروعها ، ومن أجل ذلك كانت المنازل والمعاهد التي يعدها المبشرون للفتيات خاصة (١) .  
ويصف المبشرون باليدن لأن المرأة المسلمة قد تخطت عتبة دارها . لقد خرجت الى الهواءطلق ، لقد نزعت عنها حجابها . ولكنهم لا يصفقون لأن المرأة المسلمة قد فعلت ذلك ، بل لأن فعلها هذا يتبع للمبشرين ان يتغلبوا عن طريق المرأة في الأسرة المسلمة بتعاليمهم التبشيرية . وهذا السبب خاصة اخذ المبشرون منذ أمد يأتون بالنساء المبشرات ليتصلن بالنساء المسلمات وهم يصيرون : لقد ستحت لنا فرصة جديدة (٢) .

وللمرأة عند المبشرين أهمية عظيمة ، قال نفر منهم (٣) :  
« بما ان الأثر الذي تحدثه الأم في اطفالها - ذكوراً وإناثاً - حتى السنة العاشرة من عمرهم ، بالغ في لاهمية ، وبما ان النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة ، فانتا نعتقد ان المهنات التبشيرية يجب ان توّكّد جانب العمل بين النساء المسلمات على انه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية » .  
من أجل ذلك اهتم المبشرون بالتبشير بين النساء اهتماماً خاصاً ، ووضعوا له البرامج

(1) cf. Supra ; cf. too MW. Oct. '37, pp. 362 ff.

(2) Milligan 64 f.

(3) Christian Workers 40 .

المفصلة واكثروا من ارسال المبشرين والمبشرات لهذه الغاية ، ثم استعانوا على ذلك بكثير من الجمعيات النسائية في اميركا (١) .

وتبدّى موضوع المرأة في صورته الحقيقة من ان المرأة عنصر فعال في الحياة الدينية ، فاذا بالمؤتمر التبشيري الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦ يتخض ، فيما تخض عنه ، عن هذا النداء الذي وضعه الاعضاء المبشرات في ذلك المؤتمر :

« ... لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات الى المسيح . إن عدد النساء المسلمات عظيم جد لا يقل عن مئة مليون ، فكل نشاط مجدٍ للوصول اليهن يجب ان يكون اوسع مما بذل إلى الآن . نحن لا نقترح ايجاد منظمات جديدة ، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية ان تحمل فرعها النسائي على العمل واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل .. (٢) » .

ومنذ زمن قديم والمبشرون يرون ان يهاجموا هذا المعلم الحصين في الاسلام ، فزعموا ان المرأة المسلمة متأخرة ، وانها لا تتحرر إلا اذا دخلت في النصرانية (٣) . ثم انهم يزعمون ايضاً ان الدين الاسلامي نفسه مصدر ألمٍ للمرأة المسلمة ؛ انها تتألم بسببه طبيعياً وروحياً وعقلياً : انها تخاف من زوجها ومن الموت ومن الطلاق (٤) .

على ان الذي يفتريه المبشرون على المرأة المسلمة كثير لا سبيل الى حصره ولا الى تعداد وجوهه ، فلماذا يفعلون ذلك ؟ إن لذلك عندهم غايتين (٥) :

- ١ - ان يثروا عاطفة الاغنياء من النصارى في اوروبا واميركا للبذل في سبيل التبشير .
  - ٢ - ان يخطموها من عزيمة المسلمين ويحملوهم على الشعور بالنقص في أنفسهم .
- ويبالغ بعض المبشرين فيزعم ان المسلمين لا يستطيعون ان يتخيلاً ان بامكان المرأة ان تتعلم الدين . فمن أجل ذلك يريد هذا المبشر الذكي ان يستغل المبشرون كلهم هذه التاحية فيرسوا إلى افغانستان خاصة نساءٌ مبشرات منهم . من هذا السبيل تستطيع هؤلاء المبشرات ان يدخلن الى الحرير (٦) فيبشرن بين نسائه من غير ان يتسرّب شئ الى الافغانيين بحقيقة مهمتهن (٧) .

(١) *Re - Thinking Missions* 271. 273, cf. 285 .

(٢) *Gairdner* 305 .

(٣) *Methods of Missions* 21 .

(٤) *ibid.* 111 f.

(٥) *ibid.* 110.

(٦) لا يزال كثيرون من النريين يعتقدون بأن البيت الاسلامي دائرة مسؤولية على نساء يتمنع بهن الرجل على هواه .

(٧) *Islam and Missions* 182 .

وبعد ان تدرّب هؤلاء المبشرات الأجنبيات نساءً وطنيات يتوجب عليهن ان ينسحبن من ميدان التبشير ويتركن مكانهن لمبشرات وطنيات من ابناء البلاد. على ان المبشرات الأجنبيات يجب ان يبقين مدیرات للعمل وبمشرفات من وراء ستار (١). والمبشرة عندهم على كل حال امرأة ذات شخصية مسيحية مشعة موحية (٢).

وحيثما ينظر المبشرون من خلال الأعصر والحوادث لا يستطيعون ان يرروا الا التبشير. يرى المبشرون ان الحرب العالمية الاولى قد اثرت في كل صدق وشعب ، وكذلك فعلت بالمرأة المسلمة فنهبت فطرتها الى طلب الحرية . ان هذا التبدل الطارئ على المرأة المسلمة منهم قيمة خاصة : ان نساء العالم الاسلامي قد اصبحن الآن — بعد هذا التبدل الجديد —

اكثر تعرضاً لوصول المبشرين اليهن بالتعاليم المسيحية (٣).

اما طريق التبشير بين الفتيات والنساء ، اللواتي تعانضهن الحاجة خاصة ، فقد تلخصها مؤتمر قسطنطينية (في الجزائر) بما يلي (٤) :

« ان الحاجة الملحة المستعجلة اما هي إنشاء بيت او بيوت للفتيات المطلقات والآرامل الصغار . ويجب الا تكون هذه البيوت مؤسسات كبيرة ، بل اماكن ينحيم عليها الجو العائلي ، ثم تفرق النساء فيها حسب احوالهن وحاجاتهن . وكذلك مكث هؤلاء النساء في تلك البيوت يجب ان يطول او يقصر حسب المقتضيات الشخصية لكل واحدة منها . ثم ان كل فتاة يجب ان تعلم من الصناعات المحلية ما يمكنها العيش به بعد ان تغادر تلك البيوت ».

« وانجيراً نرى ان امثال هؤلاء النساء يكن في اثناء مكثهن في هذه البيوت تحت تأثير الانجليز . ثم اننا نختار منها اولئك اللواتي يرجى ان يمرن أكثر من سواهن ليكن بدورهن مبشرات بين قومهن . ولقد اعتنق الافرنسيون ايضاً هذا الرأي في التبشير بين النساء ».

ويبدو ان تشجيع الشبان غير المسيحيين على الزواج بالفتيات الأجنبيات المسيحيات من وسائل التبشير ايضاً . هذا الموضوع شائك يحتاج الى شيء من البسط حتى تفهم مقاصدنا من طرقه . ان للزواج بالأجنبيات ، في جميع الشعوب ، عوامل مختلفة . من هذه العوامل استظراف الجمال الغريب ، وإن كان في بعض الأحيان أقل قدرًا من الجمال المألوف . ان الآسيوي الأسمري يميل الى الأوروبيه المقهاء (٥) او التي أوتيت بسطة في الجسم وإن كانت بنت جلدته

(1) Re - Thinking Mission 182 .

(2) ibid 283 .

(3) Missionary Outlook 66 ff .

(4) Christian Workers 71 .

(5) المقهاء هي البيضاء الحالقة اليابس (كلون الكلس) أي التي لا يغالط يناسها حرارة او صفرة .

احسن منها في الناحية الروحية والالفة في الحياة البيتية وتوفير السعادة . ولكن لما انتشرت الحضارة الغربية في الشرق وانتشر معها شيء يسير او كثير من الثقافة الأجنبية والذوق الأجنبي وأساليب الحياة الاجتماعية المألوفة في الغرب ، ثم ظل جانب كبير من الحياة في الشرق موصدًا دون هذه الأساليب التي اتفق أنها اوثرت صلة بالغربية البشرية وأكثر تساهلاً في سلوك الأفراد الشخصي والاجتماعي ، مال المثقفون بالثقافة الغربية من الشرقيين إلى الانفلات من البيئة الشرقية المغلقة للانطلاق في البيئة الغربية المشرعة إلى كل جهة . ثم لما أكثر ايضاً التردد بين الشرق والغرب للتجارة والاسفار وطلب العلم والبعثات المختلفة نشأت دواع من الالفة والحب والمصلحة واتفاق الأذواق بين الشرقيين والغربيات في الأكثر .

ولقد أجاز الاسلام الزواج بالكتابيات من اليهوديات والنصرانيات بعد أن سكت عواصف العداوة بين الاسلام وبين اليهود والروم النصارى . ثم جئنا نحن اليوم نقيس الفرنسيات والبريطانيات والأميركيات على الروميات في صدر الاسلام بجامع النصرانية بينهن ، فنتزوج بهن من غير حرج ، مع ان الأميركيين والبريطانيين والإفرنسيين هم ألد أعدائنا اليوم . فإذا نحن عرفنا ان زواج المسلم بالنصرانية واليهودية كان حرمًا في بدء الدعوة الاسلامية لاشتداد اوar الحرب والعداوة بين المسلمين وبين اليهود والنصارى ثم جاز الزواج بالنساء منهم لما زالت دواعي العداوة وال الحرب ادركتنا ان الزواج بالفرنسيات والبريطانيات والأميركيات يجب ان يكون اليوم من نوعاً حكماً ، للعداوة التي يحملها الغربيون للإسلام وللحروب الدافرة فعلاً بين المسلمين والغربيين في كل مكان . ولا ريب ابداً في ان الزواج بالإسرائيليات ، وباليهوديات اللواتي لا يسكن اسرائيل ايضاً ، يجب ان يكون حرمًا قطعاً (١) .

ونأتي الآن الى الصعيد الشخصي ، الى الموضوع المقصود . قد تختلف اجنبية من اجنبية وقد تكون بعض الاجنبيات - في نواح معينة - افضل من الشرقيات في تلك التواهي ، في الجمال مثلاً او العلم او السلوك الاجتماعي . ولكن حينما تتضمن الجماعات اساساً لحياتها السياسية والاجتماعية والخلقية تضرب عن اعتبار الشواد ولا تلتقي بالاً إلى الأحوال النادرة بل تقصد الى القواعد العامة وتهتم بمصلحة العديد الأكثر . من الجل ذلك قد نرى مسلمين تزوجوا بأجنبيات وهم يعيشون عيشة هنية صحيحة ، بل قد نرى ايضاً اولاداً ولدوا من امهات غير مسلمات ثم هم مع ذلك ذوو محافظة على الشعائر وغيره على الإيمان . ولكن القاعدة العامة هي أن الزواج بالأجنبيات غير المسلمات يسلب البيت الاسلامي جوهـة

(١) راجع الاسرة في الشرع الاسلامي ، تأليف الدكتور عمر فروخ ، ص ٨٢

الروحي الاسلامي ويدلّ كثيراً من المثل العليا فيه . والغالب ان مثل هذا البيت لا ينشأ على اللغة العربية ، او قد ينشأ على لغة اجنبية الى جانب اللغة العربية . وإذا علمنا ان اللغة الأجنبية تكون في هذه الحال لغة الأم ادركنا تأثير تلك اللغة على الأولاد وخصوصاً حينما يكون الأب جاهلاً لتلك اللغة او قليل المعرفة بها .

ثم يجب ان ندرك وراء كل ريب ان الزواج بالاجنبيات ينشأ دائماً من دواع عارضة : من استطاف في أمر من الأمور ، او فورة عاطفية ، او ألم في رحلة ، او هرباً من نفقات الزواج في الشرق ، او من جبن اجتماعي في البيئة التي نشأ فيها الشاب المسلم وانفتاح البيئة الجديدة التي وجد فيها نفسه ، او ما يشبه ذلك من الأمور الوقتية الزائلة . وكذلك يجب ان نعلم ان اشخاصاً كثاراً لهم قيمة اجتماعية او سياسية او قيمة ذاتية على الأقل وضع في طريقهم فتيات تزوجوهن ثم وجدوا انفسهم مضطربين الى الانسلاخ من بيتهن فخسرونهم بيتهن وقدرت بفقدتهم عاماً قوياً في أنهاضها او اصلاحها .

ويتمثل الخطر من الزواج بالاجنبيات في صورة بارزة جداً حينما تكرر الزوجات غير المسلمات في البيئات الإسلامية فتتخالل حينئذ تلك البيئات وتضعف الحياة الإسلامية فيها . ويحسن ان نذكر ايضاً ان الزواج بالاجنبيات يترك آثاراً سلبة في الأسرة والمجتمع . ان الصدمة النفسية ، التي تصيب فتاتنا اذا رأت قريبتها أو مواطنها من بني امتها قد آثر عليها اخرى اجنبية ، تعظم احياناً حتى تحمل تلك الفتاة على نعمة مرة تنتهي بكتب او ثورة عنيفة او استهتار هادى ، وكل ذلك شر كبير . وكذلك يسلب الزوج بالاجنبيات مجتمعنا عدداً من الرجال فيزيد فيه عدد النساء ، فيخلق ذلك لنا مشكلة اجتماعية او يعقد المشكلة الناشئة في مجتمعنا الشرقي ، وفي المجتمع العربي الى حد ابعد ، من زيادة عدد النساء على الرجال . ان زواج الشرقيين بالغربيات يحل ، في هذه الناحية ، من مشاكل المجتمع الغربي ليزيد في مشاكل المجتمع الشرقي . وهكذا يكون الغربيون ، قصدوا هم او لم يقصدوا اورداً نحن أو لم نرد ، قد وصلوا الى اهداف لهم سياسية ودينية . وأشد من ذلك ايلاماً أن نقرأ من قادة العرب ونقرأ من القائمين على رأس الحركات القومية العربية متزوجون باجنبيات . فكيف يستطيع هؤلاء ان يكونوا ذوي بأس وصلابة في كفاحهم القومي وفي بيتهن بينما أولادهم يرثون من الخمية الفرنسية من أمهم مثلاً مقداراً كالمدار الذي يرثونه من الخمية العربية من أبيهم .

•

ويتوسل المبشرون الى التأثير في اذهان الشرقيين بالأنانية الفخمة العظيمة . ان كنائس

الإرساليات ومدارسها وانديتها يجب أن تكون في رأي هؤلاء المبشرين شاهقة غريبة المظاهر حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم (١). ان ذلك في اعتقاد المبشرين يقرب غير النصارى من النصرانية .

لا ريب في أن للمظاهر العاقلة تأثيراً في النفوس . ولكن ما علاقة البناء الجميل بصحة الدين؟ ولو فرضنا ان ثبت مثل هذه العلاقة لوجب علينا أن نعتقد ان الأهرام في مصر وقلعة بعلبك في الجمهورية اللبنانية وهياكل بورما والهند تدل على ان عبادة الثور المصري وأن الوثنية الرومانية أفضل من النصرانية . هنا من الناحية النظرية ، اما من الناحية العلمية فان المبشرين قد أقاموا في القدس بناء فخماً يضم جمعية الشبان المسيحيين ، بناء يعد من أجمل الابنية وافخمها في الشرق . ومع ذلك فان المبشرين افسحهم قد ساعدوا على تسليم فلسطين لليهود . ان المبشرين لا يشرون بالدين المسيحي بقدر ما يشارون بالسيارات الاميركية والمسووجات البريطانية . هم يدعون انهم يريدون ان يشرعوا دين المسيح في أقصى الأرض ثم هم يسلمون مهد المسيح نفسه الى اعداء المسيح .

### ماذا نفهم هزه الروبية؟

نضم هذه الأندية نشاطاً اجتماعياً مختلف الأنواع والالوان . هناك حفلات تقام ، ومحاضرات تلقى ، وليلي انس وسمر ، ومطاعم ، ومنتamas يأوي اليها محبو الاقتصاد واسباب تسليمة يغشاها الشباب . على ان الذي تضمه هذه الأندية ليس أمراً مقصوداً لذاته ، اي ان عمدة هذا النادي لا يهمها ان يأتي الناس ليتمتعوا بما في النادي من اسباب التثقيف والترويح ، بل يهمها ان تجتذب بهذه الأسباب اناساً يستمعون الى صوت البشر الانكليزي او الاميركي او البرنسي او الهولندي ، او ليجد حبه الغرب طريقه الى قلوب الشرقيين على الاقل . اما التقوى المسيحية او الانسانية الغربية فيجب ان نبحث عنهم في الولايات المتحدة وميادين اوروبا !

### ما المردف الصريح لهزه الروبية؟

هذه الأبنية الضخمة، وما تضم من اندية ومنتamas ومطاعم وما الى ذلك ، ائما هي للتأثير في اولئك الذين سيصبح لهم في بلادهم اهمية ما ، او لمساعدتهم – على الاصح – لأن تصبح .

لهم تلك الأهمية (١) ، فيتسر للغربين حينئذ من طريق هؤلاء ان ينفلتوا الى حياة الشرقيين . ومن ابرز انواع الأندية «بيوت الشباب» . وهذه في الحقيقة نزل ينزلها من تضييق في وجوههم سبل العيش من الشبان او من لا بيوت لهم ابداً . وقد اصبحت هذه النزل جزءاً من البرنامج التبشيري منذ عهد قريب — بعد الحرب العالمية الأولى — فقد اخذ المبشرون يمرون إلى هذه النزل الصبيان والبنات والذين لا بيوت لهم ، وقد كان هؤلاء يعلمون فيها او يدرّبون على الأساليب المسيحية (٢) . ويعتمد البروتستانت الفرنسيون على مثل هذه الأندية في شمالي إفريقيا ، وفي جنوب الجزائر على الأخص ، للتثليل ونشر الفوضى (٣) . اما في لبنان خاصة فيعدّ اليسوعيون أمثل هذه الأندية «حرباً صليبية مسيحية (٤) » فهم يقولون : «إن الصليبية الافخارستية تزدهر بين الأيفاع (٥) والصغراء . من هؤلاء تحشد هذه الصليبية خيراً الجنود للأخوية (٦) ، وهؤلاء هم نواة النادي الكاثوليكي الذي أنشأه في جامعة القديس يوسف اليسوعية في بيروت .

هذا النادي ، الذي لا يزال يعمل ، هو للنصارى الكاثوليك وحدهم وعلى غرار الجمعية الكاثوليكية للشبان الأفرنسيين (٧) ، ولكن يمكن ان يُقبل فيه نفر من النصارى الأرثوذكس على ان يكونوا اعضاء مشاركين ، لا اعضاء عاملين . إن بحوث هذا النادي (٨) بحوث مذهبية كاثوليكية . واما منهاج فهو في الدرجة الأولى «الحياة الروحية» الكاثوليكية . وابرز ما في هذا المنهاج القداديس والبحوث المذهبية (٩) .

### التعليم المباني

وأما التعليم الذي يظهر عليه طابع الاحسان فان المبشرين يهتمون به ايضاً . يعتقد اليسوعيون انه يجب ان يقوم الى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية مدرسة

(١) Milligan 108.

(٢) ibid 108 f.

(٣) cf. MW, Apr. '38, p. 207.

(٤) في الأصل : صلبيّة افخارستية — Croisade Eucharistique

(٥) الأيفاع : جميع يفع : الغلام في العاشرة من سنّه او فوق ذلك قليلاً .

(٦) الاخوية جمعية دينية مسيحية .

(٧) Association Catholique de la Jeunesse française ,

Foyer de la Jeunesse Catholique (٨) يعرف هذا النادي باسم :

'9) Les Jesuite en Syrie 5 : 23 ff.

صغريرة للفقراء مجانية ، لا لتعليمهم في الدرجة الأولى بل لحفظ المظهر التبشيري باديسا للعيان (١) . ان الفقراء أكثر انتقاداً لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء . هذه النزعة في التعليم المجاني لا ينفرد بها ايسوعيون الافرنسيون وحدهم ، بل يتنازعها جميع المبشرين . ولقد استطاع المبشرون المشيخيون (٢) الأميركيون ان يتغلبوا المبشرين الآخرين في هذا القرب من الاحسان (٣) . ومن الأمثلة التي تدل على اهتمام المبشرين بالتعليم المجاني ان المدارس الفرنسية والروسية (كانت ) تعلم مجاناً ثم تقدم الكتب والطعام واللباس احياناً بلا مقابل (٤) .

### المكتبات والتصور والاستكشاف والنشر

واستغل المبشرون جميع أوجه النشاط الاجتماعي للتثمير ، حتى تلك التي لا يسبق الوهم الى أنها بورات تبشيرية . من هذه الأوجه كلها انشاء المكتبات لبيع الكتب في الظاهر ولتكون ستاراً لأدارة اعمال التبشير . ولقد اتفق ذلك في اول الأمر حينما كانت الدولة العثمانية تنظر الى المبشرين نظرتها الى الجواصيس ، كما مر معنا في فصل «السياسة» . من هذه المكاتب مكتبة شارلير بازييه (٥) ، وكانت لارتفاع الى عهد قريب قائمة في السوق الطويلة في بيروت باسمها وبنائها . ثم هنالك المصور القديم المعروف باسم بونفينيس (٦) ، ولقد كان محله في بيروت مشهوراً ، وهو الذي خص نفسه باخذ مشاهد سوريا وإبان على بطاقات بريدية . على ان محل بونفينيس قد زال الآن . وهنالك نفر كثيرون جاءوا الى هذه البلاد نجاراً وأساتذة وأطباء ولكنهم كانوا طلائع للتثمير على ما عرفنا من قبل . وبهمنا ان نعلم الآن ان اصحاب مكتبة شارلير بازييه والمصور بونفينيس كانوا من البروتستانت الافرنسيين ، وانهم ظلوا يعيشون في بلادنا حتى عام ١٩٢٦ (٧) .

وهنالك نفر من المبشرين جاءوا الى بلادنا تحت ستار البحوث العلمية كالاستكشافات الجغرافية والجيولوجية . من هؤلاء ولم يغدو عالي سميث ووليم طومسن الذي ظل

(1) *ibid.* 7 : 7.

(2) المشيخيون فرق من البروتستانت *Presbyterian*

(3) Richter 222 f.

(4) *ibid.* 227.

(5) Charlier Béziés .

ولكنها بعد ذلك أصبحت نبيع الى جانب الكتب وادوات الكتابة اشياء اخرى .

(6) Bonfils .

(7) Biaugnis 26 .

يعمل مبشرًا تحت ستار العلم خمسين عاماً<sup>(١)</sup>.

ومما لا ريب فيه ان للكتب تأثيراً كبيراً في الناس . وتلك ظاهرة لم يغفلها المبشرون ، إذ هم يرون ان أشد الوسائل أثراً كان انتاج النشرات المسيحية الى المسلمين<sup>(٢)</sup> . وبقطع النظر عن قيمة هذا الأثر الذي يزعمونه ، فإن سياستهم في انتاج تلك النشرات تتبع التوجيه التالي :

يحرص المبشرون في الدرجة الأولى على نشر الكتب الدينية كالأناجيل الأربع ، وعلى نشر اشياء من التوراة . ثم انهم يطردون في نشراتهم موضوعات مختلفة ولكن يفرغونها في قالب مسيحي ديني . والمبشرون حريصون جداً على ان يتولى كتابة هذه الموضوعات اشخاص وطنيون لا مبشرون أجانب ، او اشخاص صباؤوا الى النصرانية حديثاً ، لأن هؤلاء يمكنون اقدر على فهم عقليات جماهيرهم وعلى عرض تلك الموضوعات على شكل يقرب من فهم تلك الجماهير<sup>(٣)</sup> .

وفي بعض الاحيان يختار المبشرون موضوعات اسلامية لها مقابل في الديانة النصرانية<sup>(٤)</sup> ثم يموهون الحقائق ويقفزون فوق الفروق . إن القرآن الكريم يسمى المسيح «كلمة الله» ، ومعنى ذلك ان الله تعالى ألقى كلمته ، أي أمره ، بأن يولد المسيح على ذلك الوجه المعجز في التاريخ . ولكن المبشرين يأخذون «كلمة الله» ليفسروها التفسير النصراني . ووجه الخلاف ان كل شيء في هذا العالم كما يرى المسلمون كان بأمر الله : «انما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له : كن ، فيكون»<sup>(٥)</sup> . اما النصارى فيعتقدون ان التعبير : «كلمة الله» تعبير خاص بالنصرانية يجب ان يفهم على ان المقصود به عيسى بن مريم وحده ، وانه دال على الالوهية في المسيح .

للمبشرين ان يفهموا ذلك كما يريدون ، ولكن ليس لهم ان يقولوا على الاسلام ما لا يعلمون ، ان كل موجود وكل حدث في العالم «امر» يلقى من الله : «انما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له : كن فيكون» . وفي القرآن الكريم آيات كريمات تجعل عيسى كآدم مثلاً ، وتجعل آدم يتلقى من ربها «كلمات» لا كلمة واحدة :

— ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون . الحق

(1) Wm Goodell , Elie Smith . Wm. Thomson . cf. Richter 97 f.

(2) Enc. of Missions 600 .

(3) cf. Re-Thinking Missions 180 ff.

(4) cf. Methods of Missions 79 ff.

(5) القرآن الكريم ٣٦ (سورة يس) : ٨٢ .

من ربك فلا تكون من المترىن (١) .

— فلتلقى آدم من ربها كلمات كتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم (٢) .

ومع انت لست هنا في مجال حجاج فقهى لا فائدة منه ، فإننا لا نريد ان يقول المبشرون والمستعمرون بعلمهم او بأهؤهم ما يضر بالدين والقومية والوطن ثم نظل ساكين لا نقول كلمة حق في وجه جاهم او ظالم .

ولقد تبى المبشرون الفرنسيون خاصة هذه الطريقة ، ثم اكثروا الكلام فيها المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ، الذي يقف علمه واستشراقه على التبشير الديني ل الوصول الى اهداف استعمارية ، شأن العدد الاكبر من المبشرى المزدرين بكل زى والمتلبسين بكل لباس .

ويرى المبشرون ان يتوجهوا بالكتب الى طبقتين من المسلمين على الاختص : الى طيبة الازهر في مصر ، على اعتبار ان الازهر معقل الاسلام ، وان الصابىء الازهري — إذا اتفق ذلك — يكون عوناً للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الاسلامي . وعلى كل فالتبشير بين الازهريين لا يزال تجربة فقط ، وإن كان المبشرون يتظرون ان يتسع وان يقوم في الدرجة الأولى على الجدال والوعظ (٣) .

وأما الطبقة الثانية التي يجب المبشرون ان يصلوا إليها بكتابهم الدينية فهي طبقة النساء . لهم يزعمون ان المرأة المسلمة محجوبة (عن المجتمع والعلم ...) فيجب ان توضع لها كتب تتفق مع حالها وعقليتها ودرجة تفكيرها (٤) .

### الصحافة فاصمة

منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى والمبشرون يسعون الى استغلال الصحافة استغلالاً واسعاً في سبيل التبشير . انهم يرون ان المسلمين يكثرون من قراءة الصحف ، ولكنهم يرون ايضاً ان « المادة المسيحية » قل ان يقبل عليها القراء ، وقل ان يفسح لها الصحفيون مكاناً في صدر صحفهم إلا اذا عُدت في باب الاعلانات ودفع المبشرون عنها أجراً بعدد

(١) سورة آل عمران (٣ : ٦٠-٥٩) ، المترى : الشاكين . امترى : شك .

(٢) سورة البقرة (٢ : ٣٧) .

(3) Gairdner 274 f.

(4) Methode of Missions 85 f.

مطورها (١) .

إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط او تهيه لقبول ما تنشر عليه ، بل هي تحمل الرأي العام . ويعلن المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا في اي بلد اسلامي آخر . لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة في أكثر الأحيان ، او بلا اجرة في أحوال نادرة (٢) . على ان المبشرين انشأوا في العالم صحيفاً يومية واسبوعية خاصة بهم ، فهناك « بشائر السلام » و « الشرق والغرب » في مصر . ثم هنالك النشرة الأسبوعية التي أنشأها البروتستانت في بيروت وظلت تصدر حتى الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم وقفوها عن الصدور لأنها أصبحت من المتذر عليهم أداء رسالتهم التي نذروا أنفسهم لها ، كما قالوا هم .

•

ونحن ستتناول هنا الكلام موجزاً على جريدة « البشير ». وللقارئ ان يجعل هذا الجريدة نموذجاً لجميع الصحف التبشيرية :

كانت المنافسة شديدة بين البروتستانت والكاثوليك ، فلما انتقل مركز التبشير البروتستانتي من بلدة عبيه (في الشوف ، بلبنان) الى بيروت نقل اليسوعيون مركز نشاطهم من غزير (في شمالي لبنان) الى بيروت ايضاً . ولقد كانت الصحافة هي المظهر الأول للمنافسة بين الخصمين المتفقين على الاسلام . ويظهر ان ثلاث صحف من الصحف التبشيرية الأربع التي كانت تصدر في بيروت عام ١٨٧٠ كانت ببروتستانتية ، وهنالك صحيفة واحدة فقط كانت كاثوليكية (٣) .

كانت جريدة البشير جريدة دينية في المقام الأول تقدم في مقام الشرف من صدرها اخبار رومية والبابوية . اما العمل الرئيسي لجريدة البشير فظاهر الى حد كبير في ردودها غير المترابطة على أعداء البابوية واعداء توحيد اليمان الكاثوليكي (٤) . ولقد كانت رومية دائماً تُصب عيني « البشير » وهو يتابع عمله الديني والتلمذاني . (كذا) . اما الآن ، بعد ان كثُر اعداؤه ، فان نار ردوده قد بردت قليلاً ولكنها لم تنطفئ (٥) .

(1) cf. Christian Literature 257 ff., Cach 89.

(2) cf. Cash ٤٩ ; Christian Literature 259 f.

(3) Les Jesuites en Syrie 5 : 8.

(4) ibid. 6 : 28.

(5) ibid. 6 ; 30.

وكان محررو البشير يتمتعون بحماية فرنسا ، ولذلك أخذوا أنفسهم برد هذا الدين من المعروف إلى الأمة الفرنسية التي تستحق أن تعد بنت الكنيسة البكر (١) .

ولقد اعتمد المبشرون مدربتين لنشر كتبهم وصحفهم : القاهرة وبيروت . أما القاهرة فأخذها البروتستانت مركزاً لتوزيع المشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي (٢) ، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت ، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله (٣) . أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١ ، وقاموا من طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى (٤) .

### الكشفية والمخيمات

حتى الكشفية من وسائل التبشير عندهم ، جاء في مقررات مؤتمر المشرين الذي انعقد في القدس ما يلي (٥) :

« نحب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار وللصغار قبل أن تتشكل عقليتهم وأخلاقهم تشكلاً إسلامياً . إن جميع الوسائل التي استخدمت وظهر نجاحها يمكن أن تستخدم من جديد لتوقف عقول الصغار وتجلو أخلاقهم ، سواءً في ذلك ما تعلق بالمدرسة أو ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة . فمن ذلك مثلاً : الكشفية للفتيان والفتيات — مدارس الأحد (الدروس الدينية التي تعطى أيام الأحد بصورة مباشرة أو غير مباشرة) — جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات وسواءهما من منظمات الشباب — المخيمات والمؤتمرات للطلاب والأندية والرياضة وما يتصل بذلك — بيوت الطلبة التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب (إن هذه البيوت يجب أن تكون حتى يمكن أن تحتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح) — بيوت للأطفال يشرف عليها مبشرون فقط .

ومثل هذا يفعل الأفرنسيون في المغرب العربي أيضاً ، حتى أنهم يرسلون قسيسين يشرفون على مخيمات الكشافين ويوجهونها توجيهأً ظاهراً لا استحياء فيه . ولقد عقد مؤتمران

(1) *ibid.* 6 : 32 .

(2) Gairdner 275 .

(3) Addison 123 : Gairdner 275 .

(4) *Les Jesuites en Syrie* 6 : 21 .

(5) *Christian Workers* 23 f .

قبل عام ١٩٣٨ لمنظمات الشباب المختلفة ومنها : الكشافة والمرشدات (للفتيان والفتيات). كان البرنامج فيما يدور خاصة حول هذه الموضوعات : « التوراة »، « كلمة الله »، « الكتبة »، « جسد المسيح » .

وفي عام ١٩٣٥ نظمت مؤسسة « الحزمة المغربية »<sup>(١)</sup> ، بالتعاون مع « اللجنة التبشيرية لشبان فرنسا » ، مخيماً تبشيرياً نُقل بعد مدة إلى جنوب الجزائر . وقد اشترك في هذا المؤتمر التبشيري ستون من زعماء (حزمة التبشير) في فرنسة وسويسرا<sup>(٢)</sup> .

### انماضه القرى

### والصناعة والزراعة

ان الذين يعيشون في سوريا ولبنان يعرفون شيئاً عن مشروع انعاش القرى الذي تقوم به الجامعة الاميركية في بيروت ؛ هذا المشروع الذي تجمع له الأموال من طريق المخلفات والبرعات ، وربما جند له الشبان ذكوراً واناثاً على الأخص من المسلمين احياناً .

ويختلف مشروع انعاش القرى من غيره من وجوه التبشير في ان التبشير فيه يجب ان يكون مستتراً لا ظاهراً<sup>(٣)</sup> . من اجل ذلك خاطبنا بعض الشبان المسلمين الذين اشتركون عن حسن نية في هذا المشروع فأدركنا انهم هم انفسهم لم يقطعوا الى عنصر التبشير فيه الا بعد ان دللناهم على مواطن ذلك . وهكذا يرى المبشرون ان تصرف العناية الأولى للتبشير بين النساء في القرى والدساكر ، بعد ان كاد التبشير ان يكون قاصراً على سكان المدن<sup>(٤)</sup> . ويجب ان يجري التبشير في المزارع على شكل خاص ، يعيش المبشرون مع الفلاحين عيشة فلاحية وزراعية من غير ان يتظاهروا بأنهم مبشرون ، ولكنهم يعيشون ان يحيوا حياة شخصية مسيحية . وهكذا يعتقد هولاء ان التأثير المسيحي ينتقل من هذه الطريق الى الفلاحين غير النصارى انتقالاً هادئاً غير ملحوظ . على ان هذه الحياة يجب أن تكون عندهم جزءاً من حركة التبشير العامة<sup>(٥)</sup> .

(١) Gerbe nord - africaine .

(٢) MW, Ap. '38, p. 207.

(٣) Re - Thinking Missions 277.

(٤) ibid . 177 ff.

(٥) Re-Thinking Missions 230, cf, 214, 236, 278.

ويجب ان نعتبر ان التبشير الحقيقي يقوم في هذه المؤسسات الاجتماعية كالمدارس والكليات والمستشفيات والمستوصفات النقالة على الأخص والمحطات الزراعية ودور النشر. وكل تبشير خارج عن هذه المؤسسات إنما هو شذوذ عن القاعدة الصحيحة (١). وكذلك الصناعة تستحق من عناية المبشرين ما تستحقه الزراعة تماماً. لذلك فرض المبشرون على المبشرين النصارى منهم وعلى النصارى من ليسوا مبشرين ، أن يخالطوا العمال ويعايشوهم حتى يسيطرؤا على الأوساط الصناعية بروح نصراني . وعلى المبشرين ان يؤثروا في العمال غير النصارى بسلوكهم الشخصي فيمثلوا لهم بأقوالهم وأعمالهم أن التقدم مسيحي ، وأن الاختراعات والاكتشافات مسيحية ، وأن الطرق الحديثة في الصناعة مسيحية ايضاً (٢) .

•

وهكذا يبدو لنا بخلاف ، قبل أن ننفخ القلم من مداده ، أن جميع أعمال البر والاحسان التي يقوم بها المبشرون ، إنما هي وسائل للوصول بالنصرانية إلى الشعوب غير النصرانية ، ثم التسلب بالاستعمار الغربي إلى الشعوب الشرقية . ان جميع ما يتظاهر به المبشرون من النبل إنما هو خداع وتفاقد ، حتى في تلك الأعمال التي لا يسبق إلى وهمنا أنها كذلك ، كمشروع انعاش القرى مثلاً .

---

(1) *ibid* 12.

(2) *ibid* 243, cf. 732 ff.

## الفصل العاشر

### تشويه الثقافة العربية الإسلامية

وسيلة الى الحط من شأن العرب والمسلمين في نفوسهم  
المبشرون وأنصارهم يشجعون اللغة العالمية رمياً الى تفككك وحدة العالم الإسلامي

رأينا في الفصول التسعة السابقة أن المبشرين قد درسوا العالم الإسلامي من جميع نواحيه ثم وضعوا الخطط للقضاء على كل مقاومة أو مناعة فيه ، في كل ناحية من تلك النواحي . لقد استغلوا في سبيل مآربهم كل وسيلة ، من العلم والطب والسياسة والحياة الاجتماعية ومن الثقافة والادب واللغة . لقد حرصوا على أن يسلبوا الاسلام كل مناحي الشخصية وكل أسباب الحياة . ولكن العالم الإسلامي لم يمت . لقد ظل العالم الإسلامي يستمد الحياة من ثقافته التي ما زالت حية تثير العالم منذ الف وأربعينات سنة . ان الشرقيين والعرب والمسلمين قد افتقعوا أنهم أخذوا يتأخرون منذ مطلع العصور الحديثة في ميادين الاتصالات المادية والعلوم النظرية والعملية وفي عالم السياسة الدولية وفي أسباب الحرب وآلاتها ، ولكن الشرقيين والعرب والمسلمين موقنون حق الايقان أنهم في العصور الوسطى قد أدوا للعالم كله رسالة من أعظم الرسائلات التي أدتها أمّة من الأمم ، بشهادة القرنجة أنفسهم قبل عصر التبشير وبعد عصر التبشير أيضاً (1) .

(1) Cf. George Sarton, *Introductin to the History of Science* ( 3 vols. ) ; *The Incubation of the Westsrn , Culture in the Middle East*.

وقد نقل هذا الكتاب الثاني الى العربية أحدنا الدكتور عمر فروخ باسم « الثقافة الفريدة في رعاية الشرق الأوسط » ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٥٢ ، الطبعة الثانية ، المكتب التجاري ، بيروت ١٩٦٤ .  
Aldo Miele, *La Science arabe et son rôle dans l'évolution Scientifique mondiale* ; Heinrich Suter, *Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke* ; Gustave Le Bon, *La Civilization arabe ( architecture )* ; A. R. Nykl, *Hispano - Arabic Poetry and its Relations with the Old Provençal Troubadours*. Joseph Hell, *Die Kultur der Araber* ; Edward J. Byng, *The World of the Arabs* ( Boston 1944 ) , Ch. XIV : Our debt to Arab Civilization, pp. 225-269 ; Ch. XV : what Moslem Thought Can Teach Us. pp. 269 -281 .

رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة العربية الإسلامية وانها مصدر عزة للشرق والغرب وال المسلمين . ثم انهم أيقنوا ان امة لها هذه الثقافة لا يمكن ان تخن او تذل او تباد . وهكذا انصرفت اذهان هؤلاء المبشرين والمستعمرين الى تشويه وجه هذه الثقافة والى الحط من شأنها في نفوس أصحابها . وكان العمل عليهم سهلاً ، او هكذا ظنوه ، فقسموا ذلك العمل قسمين : قسماً يتناول حقيقة الرسالة التي ادبتها نحن الشرقيين العرب المسلمين وما فيها من اوجه العظمة والحقائق التي كانت أساس الرقي الانساني او ما فيها من الآراء الصحيحة الخالدة على الدهر ، ثم قسماً من الحقائق الحديثة التي لم تُعرَف قبل العصر الحاضر .

اما القسم الأول فساروا فيه يتحلون بحاتقها الصحيحة وآراءه الصائبة غيرَ العرب وغيرَ المسلمين ، يجمع هذا كله قول ارنست رينان الافرنسي : « الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية » . فكل مظهر عزيز في الفلسفة الاسلامية عند رينان واتباع رينان اثما هو للفرس او لليونان او للنساطرة ولليعاقبة ، او انه مشكوك في . وكتب المبشرين والمستعمرين ملولة بمثل هذا التجني على العبرية العربية .

ولا نعلم نحن ما الذي دفع وزارة المعارف اللبنانيّة الى تبني هذا الرأي — غير اصوات اليهوديين المبشرين المستعمرين — وترديده في صور مختلفة في امتحانات البكالوريا . فلقد سئل هذا السؤال في أشكاله المختلفة في دورات كثيرة ( قبل الاستقلال والخروج من الانتداب الافرنسي وبعد ذلك ) :

— تشنرين الأول ١٩٣٤ : هل من فلسفة عربية ؟

— تشنرين الأول ١٩٤١ : هل أضاف فلاسفة العرب شيئاً جديداً الى فلسفة الأقدمين حتى يمكن القول ان للعرب فلسفتهم كما لليونان فلسفتهم ؟

— تشنرين الأول ١٩٤٤ : قال ارنست رينان : ليست الفلسفة العربية سوى الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية .

حزيران ١٩٤٦ : قيل : لم تستقم للعرب فلسفة لأنهم لم يوحدوا بين العناصر الأجنبية التي نقلوها ، اثما اكتفوا بعرضها متباورة لا متفاعلة .

— تشنرين الأول ١٩٤٨ : قال ارنست رينان : ليست الفلسفة العربية سوى الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية .

هذا عدد من الدورات التي سئل فيها مثل هذا السؤال . والويل للتلמיד الذي ينتصر للفلسفة « العربية » انتصاراً ظاهراً . اما كلمة « اسلامية » وحدتها ، فقد تفسح للطالب المجال

ليجرب حظه مرة اخرى في دورة تالية ، اذا ظفر بهـا « مصحح » من ذوي الاتجاه المعلوم .

وأي قول اوضح واصوب ، في العلم ، من قول الدكتور جورج سارطون ، احد ثقافة « تاريخ العلم في العالم » حينما قال في هذا الشأن نفسه :

غير ان اولئك الذين ينكرن محسن العرب ويعكسونها قيمتها ليتحجّون مرة ثانية بقولهم : ان الأخذ من مصادر متعددة ليس ، على كل حال ، خيراً من الأخذ من مصدر واحد . تلك طريقة في المجادلة مضللة وخصوصاً اذا كان الكلام يتناول الرياضيات . ثم ان الرياضيين العرب - في تلك الحالتين المذكورتين آفأـ - « لم ينسخوا من المصادر اليونانية والسننسكريتية نسخـ ، ولو انهم فعلوا ذلك لما جاءوا بفائدة ، ولكنهم جمعوا بين المصادرين ثم أقحوا الآراء اليونانية بالأراء الهندية . و اذا لم يكن هذا الذي فعله العرب ابتكاراً فليس في العلم اذن ابتكار على الإطلاق . فالابتكار العلمي في الحقيقة اى ما هو حياكة الخيوط المتفرقة في نسيج واحد ، وليس ثمة ابتكارات مخلوقة من العدم (٢) » .

هذا ما يقوله الأجانب الغربيون عن قيمة الثقافة العربية وعن الرسالة العلمية التي اداها العرب والمسلمون الى العالم . ولكن الاستعمار يريد ان يسدل دائمًا دون جهود الاسلام ستاراً كثيفاً . ونحن لا نستغرب ان يحاول الاستعمار تحطيم نفوس رعاياه – ولقد كان المتدينون الافرنسيون يفعلون ذلك قبل عهد الاستقلال عام ١٩٤٣ – ولكن ما عذر الحكومة اللبنانيّة

(٢) الثقافة العربية في رعاية الشرق الأوسط ، تأليف الدكتور جورج سارطون ، استاذ في جامعة هارفرد (بالولايات المتحدة) ، ورئيس الاتحاد الدولي ل تاريخ العلم ، نقله الى اللغة العربية الدكتور عمر فروخ ، الطبعية الأولى ، منشورات مكتبة المعرف في بيروت ١٣٧٢ - ١٩٥٢ م ، الصفحتان ٥٥ - ٥٦ .

في الاستمرار على سياسة الانتداب والأصرار على تفزيدها في هذه الناحية ، في عهد الاستقلال؟  
وإذا كان للعرب حق واضح في السير على رأس الموكب الفلسفى ، فإن حقهم في  
« أدبهم العربي » واضح . إن العرب مشهورون بالأدب ، ويكفيهم فخرًا أن الأدب العربي  
أقدم الآداب الحية إلى اليوم . فلا الأدب الهندي ولا الأدب اليوناني أو اللاتيني قد عاش بعد  
أن طلع العرب بأدبهم على العالم . وحسبنا أن نعلم أن أكثر الأدب الأوروبي الحديث قد  
قام على أساس معروفة في الأدب العربي نفسه . إن الأدب البروفنسالي — أدب جنوبي فرنسي  
في العصور الوسطى — قد بني فعلاً على ما عرفه الفرنسيون الأولون من الوان الأدب العربي  
في الشرق في أثناء الحروب الصليبية او في الأندلس (١) . أما نشوء الأدب الإيطالي خاصة  
فالمعروف ان دانيي الليغوري هو صاحب المقام الأول فيه ، ودانني نفسه قد استمد كتابه  
الحالد « الكوميديا الالهية » من مصادر إسلامية ، من « الفتوحات المكية » لمحى الدين بن  
عربي على القطع ، ومن « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري في الأغلب (٢) .

وهنالك مجال متسع للبحث في قيمة الأدب العربي الذاتية وفي اثره في الأدب الأجنبية .  
ولكن دعوة الإستعمار ينكرون ذلك ويصفون الأدب العربي بالتفص والجمود وبالتخلل  
وبأنه بعيد عن الترعة الإنسانية . ونحن لا نريد ان نستشهد باسماء تحط من قيمة كتابنا ولكننا  
سنعرض القضية عرضاً موجزاً يستطيع القارئ ان يقيس عليه .

نشرت (٣) مجلة لاروس الباريزية فصلاً عن العالم العربي فيه التمويهات التالية :

— العالم العربي هو مصر والشام والعراق والخجاز واليمن ونجد ، مساحته ثلاثة ملايين  
كميلومتر مربع وسكانه اربعون مليوناً .

— ان نصارى لبنان هم الذين بعثوا النهضة العربية .

— البربر وحدهم أصحاب المدنية في شمالي إفريقيا والأندلس .

ولقد تولى الاستاذ محمد كرد علي — رئيس المجمع العلمي العربي — بدمشق ، رحمة الله ،  
الرد على هذا المقال وبين وجه الحق في ما ذكرت مجلة لاروس :

١ — العالم العربي أوسع رقعة وأكثر سكاناً مما زعم الكاتب الفرنسي المستعمر (وذلك

(١) cf. Nykl, Hispano - Arabic Poetry .

ثم طالع مقالاً للمستشرق الدكتور الأستاذ يوسف هل : هل تأثر الشعر العربي بالأدب العربي ، مجلة  
الأمالي ، بيروت ، السنة الأولى ، العدد الأول ، ٢ ايلول ١٩٣٨ ص ٣ - ٥ ، ثم ثلاثة مقالات في  
المجلة نفسها ، السنة الأولى الأعداد ٤ - ٦ - ٥ .

(٢) cf. Miguel Asin Palacios « الإسلام والكوميديا الإلهية »

(٣) راجع « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق ، تشرين الأول ١٩٤٨ ص ٦١٧ - ٦١٨ .

راجع الى حقائق جغرافية واحصاءات لا سبيل الى دفعها : كحذف المغرب كله من العالم العربي ) . ثم ان مساحة شبه جزيرة العرب وحدها ثلاثة ملايين كيلومتر مربع .

٢ - ان النهضة العربية الحديثة بدأت في مصر لا في لبنان ، وهذا أيضاً يبين من النظر في تاريخ النهضة الحديثة . ولكن المستعمرين يريدون سلب المسلمين كل شيء حتى اللغوية التي هي عنوان لغتهم وأدبهم .

٣ - ان البربر لم يقيموا وحدتهم مدينة المغرب والأندلس ، بل شرکهم العرب أيضاً ( وعلى كل فان البربر كالعرب مسلمون ، والمدينة التي خلقوها مدينة عربية ) . ويختتم الأستاذ محمد كرد علي مقاله بهذا الحكم الصائب :

« ولذلك نرى من واجبنا أن يشك كل عربي وكل مسلم في أكثر ما يصدر من الأحكام من الأفرنسيين على الاسلام وال المسلمين ، ذلك لأنه ثبت أن من الفرنسيين من لا ينظرون الى كل أمر الا بمنظار الاستعمار » .

ويظهر أن الأب يوحنا الفاخوري البوليفي لم يرقه رد الأستاذ محمد كرد علي فنشر في مجلة « المسرة » (١) ردًا ملأه بتعابير جارفة بعيدة عن روح العلم . والاب يوحنا فاخوري من الذين وقفوا أنفسهم على انكار فضل العرب في الادب والفلسفة أيضاً (٢) ، ومن الذين يصرؤن على التعابير الجارفة التي استعملها هو أيضاً في رده على الأستاذ محمد كرد علي . ولقد تناول الدكتور عدنان الخطيب (٣) الرد عن الأستاذ كرد علي مويداً رده بذكر احصاءات وتاريخ تقطع بأن النهضة الحديثة في العالم العربي قد بدأت في مصر .



وظل هذا الموضوع يجري في لبنان وخارج لبنان على أقلام نفر من المتأدين الذين لا يملكون زمام أنفسهم ، ومن الذين لا يمكن ان يكون لرأيهم الشخصي وزن يملي بالأمور ذات اليمين او ذات الشمال حتى غمس فيه قلمه مؤرخ كبير وثقة في تاريخ العرب ، هو استاذنا الدكتور فيليب حتى ، فقال (٤) :

(١) مجلة المسرة ، حريصا (لبنان) تشرين الثاني ١٩٤٨ .

(٢) راجع ابو العلاء العربي فيلسوف الشعراء ، حريصا (لبنان) ١٩٤٤ . ص ١٤ الحاشية .

(٣) مجلة المجتمع العلمي العربي ، تموز ١٩٤٩ ص ٤٧٠ - ٤٧٨ .

(٤) Enc. Americana ( 1948 Edition ) under Arabic Literature, p. 129.

« ولم تبدأ أمارات (١) ، الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر . وكانت الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا أو استوحاها من جهود المبشرين الأميركيين » .

وبحذا ان يعذرنا استاذنا الدكتور فيليب حتى اذا قلنا ان النهضة بدأت في النصف الأول لا الاخير من القرن التاسع عشر . ثم ان حصر شرف الحركة الجديدة بنصارى لبنان فيه ظلم للتاريخ وللأدب معاً . وقد كنا نربأ بالدكتور فيليب حتى ان يساير قوماً ليسوا من نسجه ولا من أهل موكله .

ولقد رد على الدكتور حتى ناقد في مجلة الثقافة (٢) فجرّحه . وكان الأخلاق بالدكتور حتى ان لو ظل بعيداً عن هذا المجرى الضحل الذي يخوض فيه بعض من لا شأن لهم بعد في عالم الأدب والتاريخ . انه أكثر علماً من ان يضع النصف الثاني مكان النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حتى يهبيء مكاناً قلقاً لأشخاص جاءوا في الحقيقة في اعتقادهم اليقظة الأدبية لا على رأسها . ان القضية قضية تاريخ وأرقام وكتب مطبوعة قضية عواطف .

\*

بمثل هذا يحارب المبشرون والمستعمرون العرب والاسلام . اما اشد ما نلقاه نحن فهو ان هؤلاء يستخدمون في هذا السبيل افراداً متأهلاً احياناً ، افراداً لا يتورعون احياناً عن ان يسخروا العلم والضمير ويقلبو الحقائق والأرقام رأساً على عقب حباً بالزلف او الاتجار . على ان هذا ايضاً لن يفت في عضد الشرق ، وستظل الثقافة العربية على الرغم من بضعة اسئلة في الامتحانات الرسمية وعلى الرغم من افراد باعوا انفسهم في غير سبيل الله – تمثل الرسالة التي اداها العرب في تاريخهم المجيد وفي تاريخ العالم .

\*

ونحن نحب ان نأتي في هذا الفصل القصير برأي الدكتور فيليب حتى في الفيلسوف المسلم ابن رشد لنرى ، رأي العين ، ان الشخص الذي يحاول ان يغنم الثقافة العربية ويعكس

(١) علامات

(٢) مجلة الثقافة (القاهرة) . السنة الحادية عشرة ، العدد ٥٣٨ (١٨ أبريل - نيسان ١٩٤٩) ص ٤٢ - ٤٣ .

ال المسلمين حقهم لا يستطيع أن يفعل ذلك في كل مكان ، وخصوصاً في الساعات التي يكود فيها ضميره العلمي مستيقظاً ، قال الدكتور حتى (١) :

« كان اعظم فلاسفة الاسلام ، بالإضافة الى الأثر الذي احدثه في الغرب على الأنصه ، الفلكي الاندلسي والطبيب وشارح كتب ارسطو ابو الوليد محمد بن رشد . وان اعظم ما لابن رشد في الطب كتابه الجامع المعروف باسم (الكليات) ، وفيه ان الانسان لا يصاب بالحدري مرتين . كما ان عمل شبكة العين فيه مشروع بوضوح . على ان نور ابن رشد الطبيب قد كُسر بنور ابن رشد الفيلسوف الشارح ... اما بين اليهود وفي العالم المسيحي فقد عُرف ابن رشد بأنه في الدرجة الأولى شارح لكتب ارسطو . ولكن يجب ان نذكر ان المقصود بالشارح في العصور الوسطى هو المؤلف الذي كان يستعين ببعض كتب الأولين العلمية او الفلسفية ليجعل منها اساساً او إطاراً لكتبه هو ... ولقد اثار ابن رشد بشر وحه على ارسطو عقول فقهاء النصرانية وعلمائها في العصور الوسطى الى حمل يصل اليه مؤلف « غيره » ، فمنذ اواخر القرن الثاني عشر الى اواخر القرن السادس عشر - اربعة قرون كاملة - ظلت فلسفة ابن رشد هي المذهب الفكري السائد ، على الرغم من رد الفعل الديني الذي احدثه هذه الفلسفة اولاً بين المسلمين في الاندلس ، ثم بين التلامذتين من اليهود ، « واحيراً بين رجال الدين من النصارى . وما من شك في ان ابن رشد كان فيلسوفاً عقلياً ، وكان على حق في اخضاعه كل شيء - سوى الشريعة المُنزلة - لسلطان العقل . ولم يكن ابن رشد ، كما يحيّلُ الى بعضهم ، باعث الاخلاق ولا عدو للدين ... ولقد مثل ابن رشد اقرباً من الفلسفة الإرسطوطالية الى المذاهب (غير المزروحة بالذهب الاسكندراني ) (٢) . وبعد حذف اشياء لا يرضي عنها رجال الاكليروس في فلسفة ابن رشد ، غدت فلسفة ابن رشد موضوع الدراسة في جامعة باريس وفي سواها من موسّسات الدراسة العليا . ولقد بقيت فلسفة ابن رشد ، بكل حسانتها وبكل ما اضيف اليها من اخطاء ، عاملاً حياً في الفكر الأوروبي حتى ولادة العلم التجاري الحديث » .

(١) Philip K. Hitti , History of the Arabs , fourth Edition , London 1949, pp. 582 - 585 .

ان نقل النص الإنكليزي من كتاب فيليب حتى هو مؤلفي هذا الكتاب . على ان هناك ترجمة عربية للكتاب المذكور . راجع « تاريخ العرب » (مطبول) . يقلل الدكتور فيليب حتى . نقله الى العربية الدكتور ادوار جرجي والدكتور جبرائيل جبور ، بيروت ١٩٤٩ - ١٩٥١ (١٩٣٢ : ٦٩٤) . المنصب الاسكندراني مذهب فلسفى نشأ في الاسكندرية . وهو يعرف خطأ بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة او الفلسفة الأفلاطونية الجديدة . ويقوم المذهب الاسكندراني على محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية والآراء المسيحية بتشويه الفلسفة اليونانية في الأكثر وتفسير المقائد المسيحية تفسيراً رمزياً .

### اللغة العامية

ويرى اكثُر الماجمين على استعمار الشرق ان تقطيع او صالح العرب وال المسلمين لا يمكن ان يتم ما دام هنالك « لغة واحدة » يتكلّمها العرب ويعبرون بها العرب والمسلمون عن آرائهم وما دام هنالك « حرف عربي » يربط حاضر المسلمين الى تراثهم الماضي . فاذا حمل المبشر والمستعمرون العَرَب ، على الكتابة باللغة العامية اصبح لكل قطر عربي لغة خاصة به او لغات متعددة . ثم اذا هم استطاعوا ان يحملوا المسلمين على التخلّي عن الحرف العربي وإحلال الحرف اللاتيني مكانه انقطعت صلة العرب تماماً بأدبهم القديم وبالمؤلفات الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية والفكرية . حينئذ يصبح العرب « وحدات » لغوية فكرية غير متعارفة ، ثم تناقض هذه الوحدات مع الزمن فيسهل اخضاعها بجهد أيسير من الجهد الذي تحتاج اليه هذه الغاية الآن .

وكان زعيم الحركة الرامية الى الكتابة في العامية وبالحرف اللاتيني الإستعماريون الفرنسيون وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظفو في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية لويس ماسينيون . ولقد حاول ماسينيون ان يبيّث دعوته هذه في المغرب وفي مصر وفي سوريا ولبنان خاصة . وكذلك سعى لهذه الغاية مبشرون واستعماريون من امم اخرى . أما فيما يتعلق بلبنان خاصة فهناك محاولات عملية كثيرة لم تنجح – ولن نتبع ان شاء الله . من هذه :

— « قواعد اللهجة اللبنانيّة السوريّة ، تأليف الأب رافائيل نحّلة ... ويحاول الأب رافائيل نحّلة في مؤلفه هذا وضع قواعد ثابتة لهذه اللهجة ... والكتاب موضوع بالفرنسية والنصوص العربية منسوبة بالحرف اللاتيني ». والكتاب طبع في المطبعة اليسوعية ورقمه في قائمة المطبوعات اليسوعية ٢٩٦ ( ص ٣٣ ، قائمة ١٩٥٠ ) .

— « التحفة العامية في قصة فنيانوس ، تأليف شكري الخوري ، نشرها الأب لاي اليسوعي ... مؤلفة بلغة لبنان العامية وتمثل ناحية هامة من حياة اللبنانيين » ، طبع المطبعة اليسوعية ( قائمة المطبوعات اليسوعية رقم ٤٨٢ ، ص ٦٠ ، قائمة ١٩٥٠ ) .

— في متلو هلكتاب ! تأليف الخوري مارون غصن ، احد المدرسين في مدرسة عنطرة ( لبنان ) .

وهنالك محاولات كثيرة مثل هذه . ومع ان جميع المحاولات الأولى قد خرجت من المدارس الفرنسية فيجب ان نستثنى من حملة هذه الحركة نفراً من الاساتذة ليس هذا رأيهم . من هؤلاء الاستاذ جورج الكفورى مدير الدروس العربية في الكلية العلمانية الفرنسية في بيروت سابقاً والذى تولى وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة في لبنان في اوائل عهد الاستقلال . للاستاذ جورج الكفورى كتاب قيم اسمه « اللغة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها (١) ». ان للاستاذ جورج الكفورى نظرات صائبة في صلة اللغة الفصحى بالعامية ، وهو يدعى الى تسهيل الفصحى ويرى من هذا التسهيل فوائد كثيرة ، ثم يقول : ومنى سهلت اللغة وأصبحت في متناول السواد الأكبر من الشعب أصبح من اليسير إحلالها (أى احلال اللغة الفصحى ) مكان العامية .

\*

وبعد ان نامت فكرة « الكتابة العامية بالحرف اللاتيني » رجعت من جديد وتحت ستار « تسهيل اللغة » إلى الاستيقاظ . وآخر ما ظهر في هذا الباب « تبسيط قواعد العربية وتبسيطها على أساس منطقي جديد (٢) » تأليف الدكتور انيس فريحة ( احد اساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الاميركية في بيروت ) .

اما الأساس الجديد الذي يقترحه انيس فريحة فهو موضع جدال كبير ، وأنا اعتقد انه في بعض الأماكن يعتقد ما كان الى الآن سهلاً في الصرف والنحو . فنحن المتشددين نقتصر في ادوات الجواب على كلمتين : « نعم ، بلى » لما بينهما من الاختلاف في المعنى ولأنهما فائدة عملية في قراءتنا وكتاباتنا . اما الدكتور انيس فريحة فيدخل هاتين الادلين في باب : « حروف تشتراك بين الاسم والفعل » ، ثم يعدد منها ستة هي : نعم ، بلى ، اي ، أجل ، غير ( مماثلة ) ، جلل ( مماثلة ) (٣) – ويقصد بكلمة مماثلة أنها لا تستعمل اليوم . ولكن يبدو ان الدكتور انيس فريحة يريد أمراً آخر : انه يريد ان يجعل من اللغة العربية الفصحى والحرف العربي مشكلتين يستحيل حلهما ، ولذلك هو يريد أن ينتقل العرب الى الكتابة في العامية وبالحرف اللاتيني . انه يبسط رأيه هذا على منحنى كبير وبشيء من التهكم كان يجب أن يتعرف عنه من يدعى الى « أساس منطقي جديد » . انه يقول :

(١) صفحاته ١٢ ، بيروت ١٩٤٨ .

(٢) جونية ١٩٥٢ .

(٣) تبسيط قواعد العربية ، ص ٧ .

« يطالب مثلاً » ، بعض الناس بتبني الحرف اللاتيني تسهيلاً للقراءة وتحقيقاً لنفقات الطباعة ... ونحن من المؤمنين بهذه النظرية ، ولا نرى حلاً للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة ... وأما الذين لا يرون مشكلة في الأمر ، وهم من لم يمارسوا التعليم ، فيقولون : هؤلاء جماعة خارجون على العروبة والاسلام ! ويطلب بعض الناس بتيسير قواعد العربية لتقارب من العامية ، او لرفع العامية لتقارب من الفصحى ، فيتسائل البعض الآخر : وهل العربية معقدة لنبسطها او عسيرة لنيسرها ؟ إنما إنتم جماعة خارجون على العروبة والاسلام !

« لماذا يثور الناس كلما طالبنا بتيسير ؟ لماذا يتهمونا بالخروج ؟ الأمر بسيط : لا يدركون أن هناك مشكلة ! ولماذا لا يدركون : الأمر بسيط : الجهل ، الجهل عنده العرب الأكبر ! » .

وهنالك اخوان لنا في الجامعة الاميركية يرون رأي الدكتور فريحة ، ولكننا لن ثبت رأيهم هذا لأنهم لم يكتبوه بعد . فالدعوة الى العامية والحرف اللاتيني قد انتقلت الآن من اليسوعيين الى الجامعة الاميركية . أما تعليقنا المفصل على هذه الحركة الجديدة القديمة فهو قسمان : قسم هو صلة ذلك بالتبشير ، وقد مر الكلام عليه في أماكن مختلفة . ثم هناك قسم يتعلق بالأقتراح من حيث هو اقتراح وما فيه من مأخذ فليس موسعه هنا . على أن ملاحظة واحدة ضرورية في هذا المقام : أن الدعوة الى العامية والحرف اللاتيني معناها :

١ - خلق مشكلة لا حل مشكلة .

٢ - قطع حاضر العرب ومستقبلهم بماضيهم .

٣ - تفريد ملارب تبشيرية استعمارية ، لأن الأمر بدأ كذلك . ولا يمكن ان يكون سبب هذه الدعوة الآن غير سببها بالأمس .

٤ - ان كثيراً من كتاب الدكتور فريحة لا صلة له بتيسير العربية على الاطلاق ، كجداؤل ضمائر الاشارة مثلاً . ان الدكتور فريحة يقترح لاسماء الاشارة ص ٣٣ - ٣٤ ) عدداً أكبر من العدد الذي ثبته كتب النحو المدرسية . ان الدكتور فريحة يريد أن يبرر أشكالاً كثيرة لضمائر الاشارة ، كما يسميتها هو ، لكي يجسم مشاكل اللغة العربية الفصحى ومشاكل الكتابة بالحرف العربي توصلًا الى الدفاع عن رأيه في اتخاذ العامية لغة كتابة واحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في الكتابة العربية .

وفي خلال ثلاث سنوات ، أي منذ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، زاد نشاط الدكتور أنيس فريحة في حقل الدعوة الى اللغة العامية . ولستنا الآن في سبيل استخراج صورة

لنشاطه من كتبه ومقالاته وأحاديثه . ولكن الرجل كشف الآن عن اعتقاده وأصبح يقول صراحةً وعلناً باللغة العالمية المكتوبة بالحرف اللاتيني . وسنكتفي هنا بكلمة في كتابيه الآخرين في الموضوع : في كتابه « محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها » (١) وفي كتابه « نحو عربية ميسرة » (٢) ، وأحسب أنه استوفى معظم آرائه في هذين الكتابين . ومع ان خلاصة الكتاب الأول موجودة في الكتاب الثاني ، أو أن الكتاب الأول كله ملخص من الكتاب الثاني (٣) ، فإن الدكتور أنيس فريحة يتضمن في كتابه الثاني بالحقد على اللغة العربية الفصحى وبالبعض لأهلها وبالتهكم على تراثها والمفزو برجالها . وفي ما يلي جمل مختارة من كتابه « نحو عربية ميسرة » :

« ولكن لا يصح اعتماد اللغة ، كما تحدرت علينا مدوّنة ، مصدرًا للدراسة اللغة في عهودها السابقة . ذلك لأن الذين استبطوا قواعدها وضبطوا أحکامها اعتمدوا الشعر الجاهلي أولاً ثم القرآن الكريم مادة لغوية . ومني كانت لغة الشعر ولغة الأدب والدين مرآة تعكس لغة الناس في معاشهم ومكاسبهم » (ص ١١) .

« ولكن تجدر بنا الاشارة أولاً إلى أن الجمجم (جمع الكلمات في القواميس) تناول لغات عربية كثيرة ، وكان الحماس للجمع بالغاً مبلغه فأقحموا هذه الكثرة دون روية في التحقيق . وليس في قولنا هذا ما يقلل من احترامنا لأولئك العلماء الافذاذ . ولكن عمل المعجم لا يتم بالطريقة الفردية . غير أن من يعرف لسان العرب او التاج او القاموس (١) لا يستطيع إلا أن يرفع قبعته اجلالاً لجامعيها (ص ١٣) » .

« فان علينا في مواقفنا الرسمية ان نتكلّم بلغة الاجيال الغابرة ، علينا ان نعبر عن أحاسيسنا ودواخلنا بلغة وقفت في مجرها عند نقطة معينة في الزمان والمكان (يقصد الدكتور فريحة : ظهور الاسلام) عندما أححيطت بهالة من التقديس ، وعندما سبّح حولها بسياج من الاحکام ، فوتفت في تطورها عند هذه النقطة من الزمان والمكان » (ص ١٨ - ١٩) .

— « نحن نعلم ان الفصحى بعد ان أصبحت لغة الدين واللغة الرسمية أخضعت للقيود ، للقيود التي يفرضها الصرفيون والتحويون » (ص ٢٢) .

(١) القاهرة ١٩٥٥ .

(٢) بيروت ١٩٥٥ .

(٣) نحو عربية ميسرة ٧ - ٨ .

(٤) يعرض الدكتور فريحة هنا بالمعجم العربيه واضعيها لسان العرب لابن منظور ، وتابع العروس للمرتضى الريبيدي ، والقاموس المحيط للقبروزيابادي .

- «غير ان منزلة العربية قفت ان يسيّح حولها سياج من الأحكام والقواعد الشديدة» . (ص ٢٣) .

- «ولكن نشاطهم (نشاط العرب) توقف عند زمن معين» . (ص ٢٩) .

- «اذن لا يمكن الشعب السامي ان يكون قد أسمى في خلق العلم والفلسفة والفن ، لأن أساس العلم والفلسفة والفن اللذان العقلية والشغف الروحي والرغبة الملحة في استجلاء غوامض الكون» . (ص ٥٣) .

- «اللغة ... ظاهرة انسانية لا علاقة لها بالآلة ولم تحيط من عمل ، بل نشأت من أسفل» . (٧٣) .

- «وتحاول هذه المدرسة فرض هذه الفصحى بشكلها الذي وصلت به الى الناطقين بها من نقطة معينة في الزمان والمكان ، على مجتمع يبعد عن هذه النقطة ، او قل على مجتمع يسير مع الحياة فهو لا يعرف الجمود» . (ص ١٢٣) .

- غير ان القرآن الكريم نزل بلغة الأدب والشعر والدين لذلك العصر ، ومن الطبيعي ، بل من الضروري ، ان ينزل بلغة الأدب والشعر والدين . ونعتقد ان المجتمع الإسلامي الأول ، نسبة لإعجابه بهذه اللغة ونسبة لمقام القرآن الكريم في نفوسهم ، جهدوا ان يجعلوا من هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لغة الناس اليومية . بذلك على ذلك مبلغ الجهد الذي اتنق في سبيل ضبط احكام هذه اللغة ، وفي محاربة اللحن ، وفي اصرار المقامات العليا على ان تكون هذه اللغة لغة الدواوين والكتاب والمنشئين . ووضع سياج حول اللغة للحفاظ عليها امر طبيعي ، لا بل ضرورة ، لكل امة ناشئة» . (١٢٥ - ١٢٦) .

- «اقول لنفسي انه يجب ان تخضع العربية لي وان تلين لتفكيرى ، لا ان يخضع فكري وعلمي لقوالب معينة تروق (١) لأذواق جيل من الناس ماتوا منذ مئات السنين» . (١٤١)

- «اننا نقومون على القواعد ... ان وضع الأحكام يقيد اللغة ... انه يقف في مجرها الطبيعي ويسد عليها الطريق كما حدث للغة العربية الفصحى . فان وضع الأحكام لها اوقف عمل التواميس اللغوية عند نقطة معينة في الزمان والمكان» . (١٩٤) .

- «ولكن للناس أن يسألوا : ماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ وماذا سيحل بالأدب القديم : وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد ، سيفنى على ما هو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم انحراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب» . (ص ١٩٨) .

ان هذه الشواهد التي استقىتها من كتاب الدكتور انيس فريحة تدل على ان الدافع الحقيقي

(١) يقصد : راقت ، او كانت تروق .

لدعوته الى أن يهجر العرب لغتهم الأدبية (الفصحي) والمكتوبة بالحروف العربية الى لمحجة من هجاءهم العامية مكتوبة بالحرف اللاتيني ليس تيسير العربية ، ولكن قطع العرب صلتهم بالقرآن الكريم ، إلا ان يبقى ليقرأ في المساجد كما تقرأ اللاتينية في الكنائس الكاثوليكية . وكذلك يريد الدكتور فريحة أن يقطع العرب صلتهم بالأدب القديم لأنه هو لا يستطيع ان يفهم الأدب البهائي أو رسالة الغفران لأبي العلاء العربي ولا ان يجد قيمة لشعر المتنبي .

كلنا نريد ، في حياتنا العصرية ، أن نيسر القراءة والكتابة في اللغة العربية ، كما يسرنا حياتنا المزليبة بالاحتراكات الأميركية ، وكما يسرنا انتقالنا بالطايرة والسيارة بدلاً من امتطاء الإبل والخيل والبغال والحمير . على ان الأمم لا تنزعج عادة تراثها الروحي بالحياة الراهنة ، ذلك لأن الأمم تستمد بقاءها من التراث الروحي . نحن نعلم كالمؤمنون كالمؤمنون في اللغة الالمانية واللغة الاسانية أهون من الاملاء باللغة العربية ، ولكن الاملاء العربي أهون من الاملاء الانكليزي والفرنسي . ونحن لا نذكر شيئاً عن اللغة اليابانية أو الصينية . ولكن اللغة العربية بالإضافة اليها إلى قومنا ليست واسطة للتفاهم فقط ، بل هي رابطة قومية أيضاً وجامعة دينية وخزانة للثقافة الأدبية والروحية . فتحن العرب والمسلمين جميعاً تحتفظ قواعد النحو العربي والكتابة بالحروف العربي ، ان صع أن في النحو العربي والحرف العربي كل هذه الصعوبات والمشاكل التي يدعي الدكتور فريحة وجودها ، في سبيل الحفاظ على هذه الصلة بعلمنا الذي بلغ ذروة تطوره عند نقطة في الزمان والمكان . وبعد ، فتحن شاكرون لأسلافنا أنهم أقاموا سياجاً حول اللغة العربية ، ذلك لأنهم أقاموا هذا السياج حولنا نحن . ثم ان مشاكل اللغة العربية ، في النحو والخط ، ليست أكثر من مشاكل اللغة الانكليزية كثرة تقتضي هذه الحملة العنيفة على اللغة العربية والاسلام .

يحمل الدكتور فريحة على الرسم العربي (١) لأنه لا يثبت الحروف المصوتة (الدالة على الحركات) في صلب الكلمات . غير أنه اتفق في التاريخ أن الساميين اختاروا أن تتألف الكلمات من الحروف الساكنة وأن تعين حركات تلك الحروف بعلامات تسمى «شكلاً». فكتابة الحرف العربي مشكولاً يسقط حجج الدكتور فريحة كلها ، إلا إذا ظل متمسكاً بأن طبع الكتب والمجلات بالحروف العربي ليس مشروعًا اقتصادياً ، وأن الطبع بالحروف اللاتينية أكثر توفيراً للوقت وللمال .

ولكن غاب عن الدكتور فريحة ان اللغات ، كل اللغات ، تصل اليها بالرواية أكثر مما

نصل اليها بالكتابة . ان الطفل الفرنسي يلفظ العدد « الفين وسبعمائة وثمانية وتسعين (٢٧٩٨) كما يتلقاه بالرواية :

de mil sét sa' katr ve' diz uit

لا كما يراه مكتوباً في كتب القراءة والنحو في القواميس :

deux mille sept cent quatre - vingt dix - huit

ثم ما فائدة اثبات الاحرف المصوتة في الكلمات الانكليزية مثلاً؟ ان الحرف « » يلفظ في كل كلمة من الكلمات الانكليزية التالية بلفظاً خاصاً. ان هذا الحرف « » يقع ثلث عشرة مرة في الكلمات الاحدى عشرة التالية ، ويلفظ على ثلاثة عشر وجهأً :

but , full, build, four, noun, muse, fur, furniture, furlough, funk, fruit .

انا لا استطيع ان اصدق ان الدكتور فريحة استاذ اللغات السامية لا يعرف هذه الاشياء ، وهل يعقل انه كتب ما كتب « من عقله » ومن غير ان يرجع الى القاموس . ولكن الدكتور الدكتور فريحة يروج غاية للمبشرين ارادوا بها ان يكون لكل بقعة عربية لغتها المستقلة . ونحن نرجو الله ان يهدى صديقنا الدكتور فريحة وألا يتحقق له ولا للمبشرين أملاً .

ولقد فضح الدكتور فريحة نفسه لما ألقى السؤال الذي يقع وراء دراساته وتعليماته واقتراباته ، ذلك السؤال الذي يفسر نقمته على اللغة الفصحى ويعلّم حقه على الحرف العربي وعلى الادب القديم . وبعد أن دعا الدكتور انيس فريحة للهجات العامية والحرف اللاتيني ما شاءت له الدعوة وما شاءت له الدعوى قال ( نحو عربية ميسرة ١٩٨ - ١٩٩ ) « ولكن للناس ( يقصد المسلمين ) أن يسألوا : ماذا سيحل بالقرآن الكريم؟ ..... وجوابنا هو أن القرآن الكريم سيخلد على ما هو عليه كما بقيت كتب دينية عديدة رغم اخراج لغة الناس عن لغة هذه الكتب . ورغم اخراج لغة الناس عن لغة هذه هذه الكتب فإن ( لغة هذه الكتب ) حافظت على روعتها وجلالها ومقامها الديني . هاك لغة التوراة الانكليزية المعروفة بترجمة الملك جيمس (١) . فانها على قدمها تعتبر في الانكليزية ، الى جانب مقامها الديني ، قطعة أدبية رائعة ... ولكنها تختلف لغة الناس . وقل ” مثل هذا في لغة شكسبير فانها حافظت على كيانها ومقامها . وفي لندن اليوم مسرح مشهور يعرف

(١) اوائل القرن السابع عشر الميلادي .

Old Vic لا يمثل فيه الاروایات شکسپیر بلغتها القديمة وبشعرها القديم ويعابيرها القديمة. وانك اذا قست هذه اللغة بلغة جرائد لندن ، او اذا قستها بلغة الشارع في اوكسفورد او كمبريدج وجدت فروقاً شاسعة . وها هي الكنيسة الكاثوليكية فاًسها تعتبر الترجمة الالاتينية للتوراة لغة الكنيسة الرسمية ، ولا يكون القدس الا باللغة الالاتينية . وقل مثل هذا في الكنيسة الارثوذكسيّة التي حافظت على اللغة اليونانية التقليدية ، والكنيسة المارونية التي احتفظت باللغة السريانية ، والكنيسة المسيحية الحبشية التي احتفظت باللغة السامية القديمة المعروفة بلغة الحزur . (على) أن الفارق بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة وبين الاسلام عظيم جداً ، ذلك لأن العامية المهدبة المحكية لا تختلف عن لغة القرآن الكريم اخلاف السريانية عن العربية او الإغريقية عن العربية او الالاتينية عن الفرنسية (١) . فلن تكون لغة القرآن الكريم غريبة عن افهم الناس . وسيظل الناس يتعلمونه ويخفظونه غبياً ويدرسون صرفه ونحوه وسحر بيانه كما يفعلون اليوم . وسيظللون يقرأونه ويستظهرون به تبركاً ... هذا فيما يتعلق بالمستقبل القريب . ولكن ما سيحدث في المستقبل البعيد ، بعد مئات السنين ؟ هنا ندخل في نطاق الحدس والتخيين . ولكن يتراءى لي ان في ذلك الزمان لن تكون الحياة الروحية وفقاً على الكلمة ولفظ الكلمة وشكل كتابة الكلمة ... عندها يكون للناس الحرية ان ينظروا الى الدين من خلال نظاراتهم لا من خلال نظاراتنا نحن ... نحن زائلون والحياة للأجيال القادمة ... لا تخرس ان تفرض على ابنك عقائلك وعاداتك ومقاييسك وذوقك ونظرتك الى الحياة ... قد يسايرك (ابنك) بعض الطريق ، ولكنه في قراره نفسه يضحك من حوصلك هذا ويسير في طريقه الخاص ... »

وهكذا نجد بوضوح ان الحملة على العربية الفصحى ائماً هي في حقيقتها حملة على اللغة التي تجمع بين العرب والمسلمين ، وحملة على العروبة والاسلام ، وأمنية في ان يصبح القرآن كتاب دين لا صلة له بالحياة : يستطيع نفر من المسلمين أن يقرأوه من غير أن يفهموا منه شيئاً ومن غير أن يشعروا بما فيه إلا كما يشعر الوثنى اذا نظر الى صورة معلقة في الجدار او الى وثن قائم على قاعدة من الحجارة .

غير ان الله الذي جعل في القرآن من عناصر الخلود ما حفظه الى اليوم ، بينما جميع اللغات التي كانت في عصره أو بعد عصره أيضاً قد بادت وانقرض المتكلمون بعدها كثيرون منها ، س يجعله خالداً ابداً .

(١) التركيب ضعيف وبهم .

اننا عرفنا في الفصول السابقة عدداً كبيراً من الوسائل التي يتسلل بها المبشرون الى الوصول الى الاسلام وال المسلمين ، كما ادركنا أن التبشير انما هو في الحقيقة تمهد الى السيطرة السياسية على بلاد الشرق لاستغلالها اقتصادياً .

فالتبشير اذن خطر ديني بالغ فوق ما هو خطر سياسي واقتصادي : انه خطر على كيان الامم الشرقية ، ان القضية بالنسبة اليانا قضية بقاء او فناء .

١٣٧٢ جمادى الاولى ٩ بيروت

١٩٥٣ كانون الثاني ٢٥

١٣٧٥ ذي الحجة ٢٢ شتورا

١٩٥٦ تموز ٣٠

## الفصل الحارِي عشر

### حقائق من افريقيا \*

لما استقلت البلدان الافريقية التي كانت خاضعة للاستعمار وضع لنا الى اي حد كان الاستعمار يطوي عنّا من أخبار تلك البلاد : في عدد السكان ، وفي نسبة المسلمين الى سائر سكان تلك البلاد ، وفي الاحوال الروحية والاجتماعية السائدة في تلك البلاد . ثم وضحت لنا أيضاً حقيقة مهمة جداً : هي أن المستعمرات كانوا يعتقدون أن الصابئين الى التصرينية سيكونون أكثر ميلاً الى الدول الغربية الأجنبية منهم الى أقوامهم الباقين على الوثنية أو على الاسلام (١) .

وسرى في الصفحات التالية القليلة من هذا الفصل دلائل من الصلة الوثيقة بين التبشير وبين الاستعمار أكثر صراحة ، في بعض وجوهها ، من بعض ما كنا قد رأينا من قبل . كنا من قبل نشهد بكتاب ألفها أصحابها في النصف الثاني من القرن الماضي أو في الرابع الاول من القرن الحاضر ، يوم كان العقل الباطن في الاوروبيين يتمتنى الاماني أو يشير الى

\* هذا الفصل مأخوذ في الاكثر من الكتب التالية، ومن عدد من الصحف الاجنبية ثبت بعضها في الموسوعة : Dempsy , James : *Mission on the Nile*, London, London 1955 .

Dorman, Harry Gaylord, Jr. : *Towards Understanding Islam*, New York 1948.

Fontaine, Pierre : *Dossier secret de l'Afrique du Nord*, Paris 1957 .

Grove, C. P. ; *The Planting of Christianity in Africa*, London 1958 .

Grunbaum, G. F. Von : *Modern Islam, the Search for Cultural Identity*, University of California Press, Berkeley and Los Angeles 1962 .

Kerekes, Tibor : *The Arab Middle East and Muslim Africa*, New York 1961 .

Frimingham, J. Spencer : *A History of Islam in West Africa*, Oxford University Press, London, Glasgow and New York 1962 .

-- -- : *The Christian Approach to Islam in the Sudan*, London 1948 .

-- -- *Islam in Ethiopia*, Oxford University Press 1952 .

Watt, W. Momtgomery ; *Islam and the Integration of Society*, London 1961 .

Westermann : *Islam in the West and Central Sudan* ( Extract from the International Review of Missions, October 1912 ) .

موقفه المُقبل من طرف خفيّ وهو على مثل اليقين في نفسه أن استعماره قد أصبح جزءاً من البلاد التي قضى فيها أجيالاً. أما الآن فأمامنا عدد من الكتب التي ألفت والكارثة على وشك أن تتحلّ بالمستعمرات، أو بعد أن حلّت فيهم فعلاً، فإذا في تلك الكتب غضبة شديدة وفقرة ضاربة على الشعوب التي خرجت من ملوك يدها وقد كانت من قبل في يدها كالانعام.

### في المغرب

الافرنسيون يسمون المغرب شماليّ إفريقيّة ثم يجعلون سكان المغرب قسمين : مسلمين وأوروبيين . أما المسلمين فهم العرب والبربر والسكان الذين هم من أصل تركي أو زنجيّ هم يدينون بالاسلام . وأما الاوروبيون فهم الافرنسيون والانكليز والاميركيون وسائر الذين هم من أصل أوروبتي أو أميركي ومن أهل المشرق من الذين يدينون بالنصرانية أو باليهودية . ولقد كان للأوروبيين في المغرب في أيام الاستعمار الفرنسي مركز ممتاز في السياسة والإدارة والمجتمع . وأما المسلمين فكانوا يعاملون معاملة المستعبددين في كل شيء (١) . الواقع أن فرنسة ترى ، كسائر الدول المستعمرة ، أن الوعي الإسلامي خطير على التفؤد الاجنبي في البلاد الاسلامية . وهؤلاء الذين كانوا يستعمرون البلاد العربية خاصة كانوا يرون أنعروبة تحول عملياً « حركة اسلامية » ثم تعمّ البلاد العربية والبلاد الاسلامية غير العربية على السواء .

في عام ١٩٥٧ صدر في باريس كتاب اسمه « الملف العربي لشمال إفريقيّة » ألفه بيار فونتين وملأه بالمحقّد والمغالطات ، ولكنّه كشف عن عقدة الخوف من العروبة والاسلام وعن عقدة الخوف من الدور الذي يقوم به الرئيس جمال عبد الناصر .. قال بيار فونتين (٢) : « إن جنون العظمة ( ولتشتت للكاتب الفرنسي التعبير الذي اختاره ) في ناصر ( عامل ) مساعد تقلب به حركة العروبة حركة جامعة اسلامية . وفي رأي المصري (٣) أنه من الواجب عليه أن يجمع في اتحاد واسع جميع الدول العربية المستقلة ما بين الدار البيضاء وبين طهران وأن يصبح هو لذلك الاتحاد رئيساً روحياً على الأقل ». على أن هذا لا يعني

(١) راجع وثبة المغرب للدكتور عمر فروخ ، من ٨٢ ، ٩٢ - ٩٨ ، ١٠١ - ١٠٧ ، ١٠٨ - ١١٣ ، ١١٤ - ٢٢٢ ، ٢٣٧ - ٢٤٢ .

(٢) Fontaine 126 ss.

(٣) بدأ الكاتب الفرنسي كلمة « المصري » يُعرف كثيّر لأنّه يشير بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، كما يبدو من القراءة بوضوح .

أنه سينجح ؛ إننا نعلم أن دولاً عربية تقبل المعونة المصرية ثم هي تكافع نفوذ القاهرة سرًا . أما في الوقت الحاضر فإنه يجب علينا ألا ننظر إلا في مخطط الحركة الإسلامية ، بقطع النظر عن امكان نجاحه أو خيته ، لأن ذلك المخطط هو سبب الضجة في شمالي إفريقيا .....

« إن فرنسة تسهل في كل عام للمسلمين الراغبين في الذهاب إلى الحجّ طريق حجّهم باستئجارها لهم سفينة خاصة . وهكذا ما تقلب إليه هذه الرحلة إلى الحجر الأسود في برنامج ناصر . إن الحجّ يمكن أن يكون قوة عظيمة في يدنا لو أننا عرفنا كيف نستغلّها ... في مؤتمر سياسي دولي يجمع في كل عام قادة الدول الإسلامية ورجال الرأي والعلماء والكتاب والتجار وملوك الصناعة كما يجمع الشبان أيضًا » .

« إن الحركة الإسلامية قد انتقلت إلى الميدان العملي » ، وإن الشمال الإفريقي ليس سوى لقمة (تنظر) الابتلاع .....

« لا تبتسم أبداً ! إن شاد (١) يعمل اليوم فيها رسل الشيوعية والدعائية للجامعة الإسلامية . وفي الحق ، لو أن البيض (٢) أرادوا لوقف ذلك كله في لحظة . ولكنهم يتناهشون ويترتبص كل واحد منهم بجاهه حتى يحصل محله في الوقت المناسب ؛ وأنه لخطير عليهم كبير ألا يُلْقِوا أذناً صاغية إلى أصوات المساجين المحمومة . إن حياة الرومي (٣) لا ترن في الحقيقة إلا قليلاً — مهما كان أصله ومهما كان دينه — حينما يقود اللهب الأخضر أتباعه المتعصبين .

« والوحدة العربية (٤) موطئ قدم أقامته بريطانية ، ولم يكن أحد (من العرب) يُلْقِي إليه بالاً في زمانه . وإننا نجد في أعلى السلم من حركة القومية العربية حركة الجامعة الإسلامية التي تولتها مصر ، مصر التي تتمتع بقسط أكبر من التطور ومن التمدين الأوروبي والتي تنعم بقسط أوفر من خبرة البيض الذين يظنون أنهم يتخلون من مصر تابعاً لهم . والجنون المصري يشجّعه عجز هيئة الأمم عن حل مشكلة سبعمائة ألف لاجيء عربي منذ نهاية الحرب الإسرائيليّة الإسلاميّة (عام ١٩٤٨) ، تلك المشكلة التي ما زالت

(١) شاد كانت مستعمرة فرنسية في غرب إفريقيا ثم استقلت .

(٢) البيض : الأوروبيون ، الدول الأوروبية .

(٣) الرومي : الاجنبي ، الأوروبي المسيحي .

(٤) في الأصل الفرنسي : Panarabisme

شعاراً دائماً للتحريض على الأوروبيين . ان قضية السيطرة الاسلامية قضية رئيسية بالاضافة الى شمالي افريقيا ، وستكون غداً قضية أكثر ثقلًا فيما يتعلق المسلمين في القارة السوداء ، أولئك المسلمين الذين يقومون بعبادات محبة جداً الى ( أصحاب ) عدد من المذاهب الفطريه والوثنيه . ان الدول العربية مجتمدة في صفوف الجامعة الاسلامية التي يقودها الرئيس الكولونل ناصر الذي أعد منهاجه للاستعمار اعداداً واضحاً . ان الدول الاسلامية غير العربية ترى في مصر قاهراً للبيض ( الأوروبيين ) .

ليس من عادتنا في هذا الكتاب أن نعلق على مانورده من أقوال رجال التبشير والاستعمار . ولكن التعليق هنا واجب لأنه يكشف عن وجه جديد من السياسة الاستعمارية : ان الخوف الحقيقي في نفوس المستعمرين ليس من الوحدة العربية ، بل من الوحدة العربية التي ستتقلب في رأيهم الى وحدة اسلامية . انهم يرون أن القوة الكامنة في الاسلام هي التهديد الصحيح للاستعمار .

ولقد سبق لنا القول بأن في المقاطع الآتية كثيراً من الحقد والمع Gallagher والميل الى اسرائيل ، ولكن الذي يهمنا في هذا النص الذي جتنا به هنا أن الاستعمار زائل عن البلاد العربية وعن البلاد الاسلامية غير العربية ، وأن التبشير الذي كان القوم يقومون به منذ مطلع القرن الماضي لم يكن لنشر النصرانية بل لبساط النفوذ الاجنبي على المناطق الواسعة في العالم العربي والعالم الاسلامي من وراء التبشير بالنصرانية .

### في السودان

السودان هو المنطقة التي تمتد في أواسط افريقيا من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسي والتي يغلب على جلد أهلها السود . ويحسن في معالجة موضوع التبشير هنا أن نقسم تلك المنطقة قسمين شرقياً وغرياً .

اما القسم الشرقي فتتناوله هنا ملاحظتان :

- ١) ان قسماً من أهل هذه المنطقة مسلمون ، بينما أهل القسم الآخر غير مسلمين ، بل وثنيون عامه أو نصارى في الجبهة خاصة .
  - ٢) ان قسماً من أهل الشواطئ من هؤلاء كانوا قد امتهنوا منذ أقدم الازمنة بالعرب ، وخصوصاً بعرب اليمن ، ثم زاد ذلك الاختلاط كثيراً بعد الاسلام .
- واما القسم الغربي من السودان فان أهله لم يختلطوا بالعرب الا بعد الفتح الاسلامي في

المغرب ، وبعد قيام حركة المرابطين في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للميلاد خاصة وفي الجاحب الشمالي منه على الأخص .

### في السودان الشرقي

حينما نقول السودان اليوم فاننا نعني بقعة من الأرض ، جنوب مصر ، تبلغ نحو مليونين كيلومتراً مربعاً في مساحتها ، وهي التي أصبحت جمهورية مستقلة عام ١٩٥٦ .

منذ جاء ليفينغستون (١) إلى إفريقيا ، في منتصف القرن التاسع عشر ، تمزج في نفسه عوامل التبشير بعوامل الاستكشاف ، جعلت دول الاستعمار تتسلق إلى أواسط إفريقيا بالتبشير ظاهراً وبالاستيلاء على الاراضي الغنية في القارة التي كانت يومذاك لا تزال سوداء مظلمة مجهلة في الحقيقة .

وسبق الرهبان<sup>أ</sup> الكاثوليك من النمسة إلى السودان ، في شباط (فبراير) من عام ١٨٤٨ . « ومع أن المهدى الرئيسي لتلك الارسالية كان التبشير بين الوثنين ، فإن أولئك الرهبان قد احتتجوا على قرار الحكومة المصرية بتحريم التبشير بين المسلمين » (١). ومع أن مراكز أخرى للتبشير قد أنشئت في السودان في السنوات التالية ، فإن جميع تلك المراكز قد أغلقت في عام ١٨٦٠ لأن الرهبان كانوا يتعرضون للاغتيال (٢) .

وظل الأمر على ذلك حتى احتل<sup>أ</sup> الانكليز مصر ، سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢ م) ، ثم كانت الحملة الانكليزية المصرية على السودان لاخماد حركة المهدى ، سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) .

وفي عام ١٨٩٩ جمع المبشرون البريطانيون والمبشرون الأميركيون جهودهم في السودان واتخذوا مراكز لهم في الخرطوم وأم درمان . غير أن التبشير بين المسلمين ظللَّ ممنوعاً ، فإن اللورد كتشنر ، وكان يومذاك الحاكم العام في مصر والسودان باسم بريطانية ، رفض أن يقوم المبشرون بأعمالهم في بلادِ أهلها مسلمون ، بينما الحكومة البريطانية لا

(١) راجع فوق ، ص ١٥ ، ١٨٥ .

(2) Tringhan, Approach 9.

(3) ibid 9 ff.

(4) ibid 12 f.

ترغب في عرقلة أعمالها السياسية في المناطق التي كانت قد بسطت عليها نفوذها أو لم تستطع بعد أن ثبتت هذا النفوذ .

عند ذلك التفت المبشرون إلى التعليم وأعانهم على ذلك اللورد كرومر الذي خلف كتشنر . فقد أسس المبشرون الانكليز مدرسة للبنات في الخرطوم ، عام ١٩٠٣ ، وأسس المبشرون الأميركيون في الخرطوم نفسها مدرسة للصبيان بعد عامين . ثم وسع كل فريق منهم جهوده التبشيرية من خلال التعليم . على أن هذه المدارس كانت قاصرة في أول الأمر ، وفي فترة غير قصيرة بعد ذلك ، على أولاد الحاليات المصرية والسودانية وعلى المولدين ( الذين كان آباؤهم من الأجانب ) ، وكان معظم هؤلاء غير مسلمين (١) .

ثم ان الحكومة الانكليزية قسمت السودان قسمين : قسماً شمال خط العرض ١٢ عدته قسماً إسلامياً لا يجوز السماح فيه للمبشرين بالقيام بأعمالهم علينا . وكذلك أوجبت الحكومة الانكليزية على المدارس التبشيرية ألا تعلم الدين المسيحي لتلميذ اختارولي أمره أن يدخله فيها إلا إذا حصلت من الوالي على إذن خطبي بذلك . على أن هذا كله لم يمنع شيئاً من التبشير بوسائل مختلفة من طريق التعليم والتطبيب والسياسة ووظائف الحكومة مما عرفنا أشباهه في هذا الكتاب .

أما جنوب خط العرض ١٢ فعدته الحكومة الانكليزية قسماً وثانياً خالصاً ومنعت المسلمين من السفر إليه حتى تتبع للمبشرين المسيحيين أن يعملوا فيه بحرية ، ثم كانت هي تقدم لهم جميع المساعدات في سبيل ذلك . غير أن جنوب السودان ظل " ميدان صراع بين الحركة الإسلامية وبين الارساليات التبشيرية المسيحية مما لا يدخل بمحضه في نطاق هذا الكتاب . ولا ريب في أن استقلال السودان قد خفف كثيراً من أثر المبشرين الكاثوليك والبروتستانت حتى في جنوبى السودان .

### الاضطراب في السودان

كان محمد علي باشا قد فتح السودان ، في سنة ١٢٣٧ھ ( ١٨٢١ م ) ، باسم العثمانيين . وكان للسودان ، من قبل ومن بعد ، مشاكل كثيرة منها جلب العبيد منه للبيع في مصر وفي غيرها .

(1) *ibid* 15 .

وجاء اسماعيل باشا الى عرش مصر في رجب من سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣ م). واحتاج اسماعيل باشا الى أن يسد نفقات كثيرة منها ما كان في سبيل الاصلاح كبناء السكك الحديدية وانشاء الطرق والمرافق وشق قناة السويس ، ومنها ما ذهب في الاسراف على بناء القصور أو في السرقات . ثم كانت الفلاقل في السودان واحتاج الى تمويل الحملات ببالغ ضخمة . ففي سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) باع اسماعيل أسهمه في قناة السويس للحكومة البريطانية . وهكذا أصبحت معظم أسمهم قناة السويس في يد الافرنسيين ويد الحكومة البريطانية . ثم غرق اسماعيل في الديون الاجنبية ، فتأسس في مصر صندوق الديون العمومية . عندئذ فرضت فرنسة وانكلترة على اسماعيل بحنة منها للإشراف على جمع الضرائب وعلى نفقات الدولة محافظة على حقها في الديون وفي نصيبيهما من دخل القناة . بذلك دخلت مصر في نطاق النفوذ البريطاني الفرنسي فعلياً . غير أن النفوذ البريطاني كان أغلب .

ومع دخول النفوذ الاجنبي الى ميدان الاقتصاد المصري دخل هذا النفوذ في الوقت نفسه الى الميدانين السياسي والعسكري . لقد استعان اسماعيل باشا في التغلب على تجارة الرقيق بنفر من الاجانب منهم السير صموئيل بايكر والكورلونل تشارلس غوردون ورودولف سلاتين (سلامطين باشا) . لقد عهد الى هؤلاء بالولاية على عدد من المناطق السودانية وفوض اليهم العمل بجميع الوسائل التي يرونها ضرورية للقضاء على نشاط اجلاءين . وهكذا دخل النفوذ البريطاني الى السودان أيضاً . ويحسن أن نذكر هنا أن الكورلونل تشارلس غوردون – أو غوردون باشا كما أصبح يدعى فيما بعد – كان من المتصلين بحركة التبشير ومن الذين كانوا يشجعون على القيام بالتبشير في السودان خاصة . وكانت قضية التبشير في السودان خاصة تشغله الى درجة أنه كتب بها رسالة او رسائل الى أخته (١) .

في ذلك الحين كان غوردون باشا قد أصبح المحاكم العام في السودان فتقلصت تجارة الرقيق قليلاً واتسعت حركة التبشير كثيراً . ولكن في عام ١٨٧٩ استدعي غوردون الى انكلترة فنشطت تجارة الرقيق من غير أن تركد حركة التبشير التي كان غوردون قد دفعها في القسم الجنوبي من السودان خاصة .

يبدو أن هذا التدخل البريطاني في حياة السودان الدينية على الاخص وفي حياته السياسية أيضاً (مضافاً الى هذا التدخل الاجنبي شيء من الفوضى التي آل اليها الحكم المصري في السودان والتي كانت امتداداً للفوضى في مصر نفسها يومذاك) قد كان السبب الأول في

(1) Trimingham, Approach 10 - 11 .

الثورة الدينية التي أثارها محمد بن أحمد المعروف بالمهدي ، في رمضان من سنة ١٢٩٨ (صيف ١٨٨١ م) .

في ذلك الحين كان خديبو مصر اسماعيل باشا قد خلع (١٢٩٦ - ١٨٧٩ م) وخلفه ابنه توفيق الذي كان أضعف من أبيه من الناحية الاقتصادية والناحية الادارية معاً ، وكان الانكليز خاصة يستدون حكمه الضعيف لأنّ ضعفه كان يمكّنهم من تنفيذ رغباتهم في مصر والسودان . وعمت مصر القمة التي كانت قد عمت السودان من قبل ، فقد كثُر نفوذ الانكليز وزاد عدد الاجانب في مصر زيادة كبيرة جداً ، فنشبت ثورة أحمد عرابي بعد ثورة المهدي في السودان بأسابيع .

وتمادت الثورتان ، ورأت بريطانية فيما تهديداً لنفوذها ومصالحها في القارة الافريقية كلّها فاحتلت مصر في شهر شعبان من سنة ١٢٩٩ (تموز - يوليو ١٨٨٢) .

وحرصت بريطانية على قمع حركة المهدي في السودان من وراء الجيش المصري فأيدت النجادات المصرية التي أرسلت إلى السودان . وفي ربيع الثاني من سنة ١٣٠١ (شباط - فبراير ١٨٨٤) أرسلت بريطانية حملة على السودان بقيادة غوردون ، ولكنّ حملة غوردون أيضاً خابت وقتل غوردون نفسه ، لما سقطت الخرطوم في يد أنصار المهدي في ربيع الثاني من سنة ١٣٠٢ (كانون الثاني - يناير ١٨٨٥) .

وبعد ستة أشهر من مقتل غوردون توقي المهدي ، في ٨ رمضان ١٣٠٢ (حزيران - يونيو ١٨٨٥) فتولى الجهاد بعده عبدالله بن محمد الفقيه المعروف بخليفة المهدي أو بال الخليفة . وفي ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) أعد الانكليز حملة مشتركة (بريطانية مصرية) بقيادة كتشنر استطاعت أن تقضي على حركة المهدي في معركة أم درمان ، في جمادى الثانية من سنة ١٣١٦ (أيلول ١٨٩٨) .

وقد السودان من الناحية الاجتماعية قسمين : قسماً شمالياً وقسماً جنوبياً . أما القسم الشمالي فكان مسلماً ، وقد اقتصر إنشاء المدارس الرسمية في السودان على هذا القسم . أما القسم الجنوبي (وقد كان معظم أهله من الوثنين البدائيين) فقد ترك للمبشرين الكاثوليك والبروتستانت يقومون فيه بالتعليم (١) ، أو بالتبشير تحت ستار التعليم . ومنذ عام ١٩٢٦ جعلت الحكومة الانكليزية المتبدلة على السودان تعطي المبشرين اعانة من ميزانية السودان مساعدة لهم على التعليم (٢) .

(1) Dempsy 48.

(2) ibid . 48 f.

## النافذ في سهل التبشير

ولقد انكشف العنصر السياسي في التبشير انكشفاً ظاهراً لما وقعت الازمة الاقتصادية في الولايات المتحدة (١٩٢٩ - ١٩٣٠) ثم في بريطانية (عام ١٩٣١)، فقللت المبالغ التي كانت تتدفق على الارساليات التبشيرية من بينك الدولتين وبردت حركة التبشير حيناً (١).

على أن أغرب ما في هذه الصورة السياسية التبشيرية أن هيلاسلاسي أمير طور الجبهة الارثوذكسي كان يساعد الارساليات الاجنبية التي هي بروتستانتية أو كاثوليكية على التبشير في السودان (٢).

ودخل على هذه الصورة الغريبة عنصر أشدّ غرابة هو التمييز العنصري (٣). والواقع أن السود الصابئين إلى النصرانية لم يتمتعوا بشيء من المساواة مع أخواتهم البيض الأوروبيين، لا في الدولة ولا في الكنيسة. ومع أن عدداً من الارساليات احتجت (فقط) على سياسة التمييز العنصري، فإن نفراً من رؤساء الارساليات الهولندية خاصة وقفوا (نظرياً) من هذه القضية على الحياد (٤). ولكنهم أغلقوا أبواب الكنائس الكبرى في افريقيا في وجه النصارى السود.

وقد كان من الطبيعي أن يؤدي هذا المسلك إلى ردّ فعل بين النصارى السود ضدّ النصارى البيض، وخصوصاً في المدن التي تنهض فيها كنائس عظيمة كالبيان (٥). ولكن ما أن هذا النزاع كان نزاعاً داخلياً في النصرانية نفسها فاننا نكتفي هنا بالإشارة إليه فقط. أما النزاع السياسي فنخصه بكلمة موجزة.

ظنّ المبشرون أن التبشير سيجعل من الافريقيين غربيين في كلّ شيء حتى في الشعور السياسي. ولكن ذلك لم يتتحقق دائماً. إن الافريقيين الذين تلقوا العلم الغربي على يد المبشرين أصبحوا هم أنفسهم كارهين للتبشير وللصلة التي يريد المبشرون أن ينشؤوها بين الدين وبين السياسة. ففي كلّ مكان وصل إليه الوعي الوطني ظهر الكره للتبشير حتى قال غروف: «اننا لا نستطيع أن ننفي عن أنفسنا ولا عن غيرنا أن نفراً كثيرين يمثلون

(١) Grove ١٣٧ راجع ٦٤-٦٥. والحواشي التالية غير المنسوبة كلها من

(٢) ١٤٢ ص

(٣) راجع فوق ص

(٤) ١٣٥، ١٠٥

(٥) ٧٧

الجماعات الأفريقية أظهروا امتعاضاً شديداً من التبشير وأخبرونا أن الصلة بين الكنائس والتبشير وبين التعليم يحب ، في رأيهم ، أن تنتهي بسرعة . وكان هؤلاء إذا تكلموا في التعليم يقولون : مدارسكم ومدارسنا ، يحدّدون بذلك الفرق بين مدارس الارساليات وبين المدارس التي تديرها السلطات الأفريقية المحلية (١) . ومنهم من جعل يقتل المبشرين في الكونغو (٢) وفي غير الكونغو .

والواضح أن هذا الخلاف في الرأي يرجع إلى عامل وراء التبشير ووراء التعليم ؛ إن هذا العامل كان « الاستعمار ». يرى غروف أن السنوات العشر التي تلت الحرب العالمية الأولى قد خلقت نضجاً ووعياً بين الشعوب الأفريقية . ومع أن الارساليات التبشيرية كانت منذ أيامها الأولى ترى أن تبلغ الشعوب الأفريقية رشدتها بين شعوب العالم المتقدمة وأن يصبح الجميع أبناء متساوين لله الواحد ، فإن تلك الارساليات كانت ترى أن يتمّ هذا في مدى طويل . إلا أن هذه التطورات قد جلبت معها مضائقات للإرساليات المسيحية يمنع معظمها من إلحاح الأفارقيين على العمل السياسي السريع بالإضافة إلى عمل مواز لذلك في سائر الميادين (٣) .

إن التعبير في المقطع السابق غامض في شكله الراهن ، مع أن المؤلف غروف يدور حوله في صفحتين . إن المقصود من هذا المقطع أن الأفارقيين لما تعلّموا في مدارس التبشير ووصلوا إلى شيء من النضج بدأوا يطالبون باستقلال صحيح في السياسة والاقتصاد والمجتمع ، بينما كان المبشرون يعتقدون أن التعليم تحت اشراف المبشرين سيجعل الأفارقيين يطمثتون إلى الحكم الأجنبي وقتاً طويلاً على الأقلّ .

وهذا الذي كان يجري في أواسط أفريقيا وفي شرقها ، في أراضي النفوذ البريطاني ، كان يجري مثله في غرب أفريقيا . إن نيجيريا بلاد واسعة كثيرة السكان . غير أن السكان في نيجيريا يتفاوتون في الحياة الدينية : فالغالب على القسم الشمالي من نيجيريا الإسلام ، بينما الأكثرون في الجنوب من الوثنين . فلما ملكت بريطانيا هذا الجزء من القارة الأفريقية منعت السكان المسلمين أن يدخلوا إلى القسم الجنوبي الوثني ثم أطلقت المبشرين حرية العمل فيه . أن الحكومة البريطانية لم تسمح بحرية ممارسة للمبشرين في القسم الشمالي لأن الإسلام فيه قوة عظيمة ، ولم تكن انكلترة راغبة في أغصان المسلمين فيه حرضاً على مصالحها الاقتصادية والسياسية أولاً . ولكن منذ عام ١٩٢٧ أخذت الحكومة البريطانية

(١) ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(2) Life Magazine, N. Y, Feb. 14, 1964 (Editorial)

. ٢٨٠ (٢)

تحضّ المبشرين على العمل في شمالي نيجيريا ثم تساعدهم على ذلك . ومع ان نيجيريا بقيت بعد بلوغها الى الحكم الذاتي في عام ١٩٥٩ ، وبعد استقلالها عام ١٩٦٠ ، جزءاً من الامبراطورية البريطانية التي سميت جامعة الشعوب البريطانية ، فان أثر التبشير والمبشرين يجب أن يكون قد حفظ كثيراً في الجزء الشمالي من نيجيريا وفي القسم الجنوبي أيضاً .

### التعليم في افريقيا

كان المبشرون أول من بدأ التعليم في افريقيا السوداء . وفي أوغندة ظلّ التعليم في يد المبشرين زهاء نصف قرن (١٨٧٧ - ١٩٢٥) . ولما تأسس المجلس الاستشاري للتعليم الافريقي تمتّلت فيه دوائر الحكومة (البريطانية) والارساليات التبشيرية والجامعات الافريقية والاجنبية (١) . وكان المبشرون الانكليز يحملون أعباء أساسية في ادارة المدارس في جميع أنحاء افريقيا البريطانية (٢) . ثم اتسع التبشير اتساعاً عظيماً بزيادة عدد المبشرين البروتستانت والكاثوليك اذ بلغ عددهم في عام ١٩٢٥ نحو ٦٣٠٠ في جميع أنحاء افريقيا (٣) .

أما في المستعمرات البلجيكية (الكونغو) والبرتغالية (أنغولا) فان المعاملة الممتازة كانت للارساليات الكاثوليكية (٤) .

### المعامل السياسي

ويبدو العامل السياسي في التنافس في افريقيا - كلّ دولة تحمي مبشرها ، وكلّ ارسالية تبشيرية تناصر دولتها - واضحاً جداً في ميدانين : في ميدان الحرب وفي ميدان التبشير نفسه . لما نشبت الحرب العالمية الأولى ، عام ١٩١٤ ، عاملت كلّ دولة في مستعمراتها مبشرها أعدائهما معاملة المحاربين : بالاسر والاعتقال والترحيل . وكانت انكلترة وفرنسا حريصتين على استئصال المبشرين الالمان في البلاد التي كانتا تسيطران عليها (٥) .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى لم تسمع الحكومة الانكليزية لمبشر غير انكليزي أن

(١) ١١٨-١٠٦

(٢) ١٨٩

(٣) ١٢١

(٤) ١١٩

(٥) ١٢٢ ، ٤٨٨ ، ٢١ ، ١١٧

يدخل مناطق نفوذها الا اذا حصل على اذن بذلك (١) . أما البلجيكيون فقسموا الارساليات التي ت يريد دخول الكونغو قسمين : ارساليات وطنية وارساليات غير وطنية . أما الارساليات الوطنية فكانت في عرفهم تلك الارساليات التي يكون ثلثا أعضاء المجلس الاداري فيها من البلجيكيين (٢) . ولما احتلت ايطالية الحبشة ، في عام ١٩٣٦ ، اضطربت الارساليات البروتستانتية الى مقاومة الحبشة كلتها (٣) . وفي الحرب العالمية الاولى ترك المبشرون عملهم التبشيري وجعلوا يطوفون في المناطق ويسمعون المتطوعين بخيوش دولهم (٤) .

### مال السود في الاسلام والنصرانية

ان المبشرين بالنصرانية لا يريدون نصارى من السود يساوونهم في المنزلة ، ولكنهم يريدون اشخاصاً يستبعونهم في استغلال البلاد التي يبشرون فيها . وهذا أمر ظاهر من مقارنة حال الذين يسلمون بحال الذين يتصررون . قال الاستاذ وترمان (٥) :

« حينما يعتنق الزنجي الاسلام فإنه يصبح حالاً عضواً في هيئة اجتماعية أعلى (من تلك التي كان فيها من قبل) . ثم هو يبلغ بسرعة الى الشعور بالثقة بنفسه والى الشعور بمقامه ، كما يشعر أنه قد أصبح عضواً في منظمة منتشرة حول العالم كلّه . وكذلك تنشأ له صلات واضحة المعالم بالأوروبيين أنفسهم . ان الزنجي الذي كان يعيش في الادغال محفراً يصبح بالاسلام ذا مقام ويجد أن الأوروبيين أنفسهم قد جعلوا – على الرُّغم منهم – يعاملونه باحترام . أما اذا انتقل الوثني (والزنجي) الى الجماعة المسيحية (أي اذا صبا الى النصرانية) ، فإن الذي يحدث هو خلاف ذلك تماماً . اننا نحن الأوروبيين نبغي دائماً غرباء عن الافريقي ، وحينما هو يتبنى حضارتنا في ظاهرها فإنه في الحقيقة لا يفهمها . اننا لم نتعلّم بعد ، ولا المبشرون متأثرين أيضاً ، أن نفهم الزنجي في خصائصه المميزة له . اننا لم نكتفى أنفسنا عناء الاهتمام بهم حضارته وبتركيبة حضارته بعوامل من حضارتنا وبالنصرانية . وبدلًا من أن نفعل ذلك رحنا نهدم حضارته ثم نحاول أن نبدّلها بحضارتنا . وهكذا نجدها معرضين الى أن نجعل من الزنجي صورة شوهاء للأوروبي ، بينما الاسلام يجعل

(١) ٨٥

(٢) ١٠١ حاشية ٢

(٣) ١٤٣

(٤) ٦٩-٦٨

منه افريقياً يحترم نفسه . وفوق ذلك لا نجد الزنجي المتمدين بالمدنية الاوروبية يبلغ تلك المساواة الاجتماعية التي يبلغها ايها الاسلام بطبيعة الحال . ثم ان هنالك فرقاً من الاوروبيين قلماً كلّفوا أنفسهم عناءً في اخفاء حقيقة (عندهم) هي أن الاسيد (١) المسيحي لا يزال محترقاً في أعينهم كالزنجي الذي يسكن الادغال ، كما أنه ليس من النادر أن ترى هؤلاء يتهزون كلّ فرصة يظرون فيها تفضيلهم للسود المسلمين (على السود المنتصرين) . تلك الحقيقة وحدتها تفسّر لنا بكلّ وضوح واقعاً هو أن الافريقيين الذين تلقوا في المدة الاخيرة تعليماً مسيحياً قد انقلبوا دعاة للإسلام . وبما أن الافريقيين لا يأملون أبداً أن ينالوا (بالنصرانية) مقاماً اجتماعياً مساوياً لمقام اخوانهم في العقيدة من النصارى الاوروبيين ، فقد نشأ فيهم استعداد لأن يروا في الاسلام الدين (الوحيد) للافريقي الحديث » .

### السلموه في الحبشة

ان البحث في شأن المسلمين في الدول غير الاسلامية لا يدخل ، من حيث المبدأ ، في نطاق هذا الكتاب . غير أن شأن المسلمين في الحبشة جزء متّسّم في هذا النطاق . ان ملوك الحبشة النصارى أرادوا في القرن التاسع عشر أن يحملوا المسلمين الأحباش بالقوة على اعتناق النصرانية أو على مغادرة الحبشة . ثم ان ثيودور ملك الحبشة أراد أن يحالّف بريطانيا ضد الدول الاسلامية المجاورة له وخصوصاً مصر ، ثم كتب بذلك رسالة الى الملكة فيكتوريما في عام ١٨٦٣ . ولكن رسالته بقيت بلا ردّ فعدّ ثيودور ذلك اهانة وسجن القنصل الانكليزي والمبشرين البروتستانت الذين كانت الحكومة الحبشية قد سمح لهم بالتبشير بين رعاياها المسلمين (٢) . ومنذ عامين سمحت الحكومة الحبشية للولايات المتحدة الاميركية بانشاء محطة اذاعة تبشيرية في أديس أبابا اسمها « صوت الانجيل » .

وجاء الملك يوحنا فأمر بتعينة عامة ثم أعلن حرباً صلبة على المسلمين . ووصف الجنرال غوردون الملك يوحنا هذا فقال (٣) : « انه مثلي ، متعصب في الدين . انه يشعر أنه يحمل رسالة وأنه سوف يحققها : تلك الرسالة هي أن ينصر جميع المسلمين » .

(١) ان ناقل المقال من الانجليزية الى الانكليزية يستعمل الكلمة الانكليزية « Nigger ». هذه الكلمة تعني « أسوداً » تقديرآً لكلمة « أسود » على سبيل الاحتقار ، كما تعني أيضاً نوعاً من التماض (والختنقة حشرة سوداء كبرية) .

(٢) Trimingham; Islam in Ethiopia 118 , 119 , of . 122 ; A dictionary of Dates ( Everyman's Library ), under : Abyssinta .

(٣) Trimingham , op. cit. 121.

وقد اتفق أن الحكومة الحبيشية استطاعت من طريق القهر أن تنصر بعض المسلمين ، ولكن جماعات كثيرة من أولئك المقهورين على تبديل دينهم خرجوا من الكنيسة التي عمدوا فيها الى المساجد ليعودوا الى ايمانهم . ولم يكن لذلك نتيجة الا ازدياد العداوة بين المسلمين والنصارى من الاحباش (١) .

والنصارى في الاصل أقلية في الحبشة ، ولكن الاستعمار البريطاني خاصة هو الذي يدعم الاسرة المسيحية الحاكمة على كثرة من المسلمين يتكلّم العديد الأكبر منهم اللغة العربية ويعرفون جمعهم اللغة العربية لأنها لغة الاسلام .

وبعد الحرب العالمية الثانية أضاف الاستعمار البريطاني الاميركي ظلماً جديداً الى الظلم القديم فأضاف الاريتيرية الى الحبشة وأخضعاها للاسرة المسيحية الحاكمة . ان الكثرة المطلقة من أهل الاريتيرية مسلمون . من أجل ذلك لما أجر الاستعمار على مغادرة الایتيرية المسلمة فضل أن تكون تلك المقاطعة تحت حكم ملك مسلم للسياسة الغربية ومستند في حكمه وسياسته اليها على أن تكون دولة مسلمة مستقلة .

ونحن اذا كررنا النظر في المقاطعات الافريقية التي استقلت ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وجدنا أن الاستعمار قد أقام قبل مغادرته تلك البلاد حكومات اكثراها من الصابئين الى النصرانية ، مع أن الكثرة المطلقة من أهل تلك الدول الجديدة مسلمون . غير أن الاستعمار لم ينل من ذلك مقارب كثارا . ان معظم هؤلاء أصبحوا يشعرون أنهم مسؤولون أمام قومهم قبل أن يكونوا مسؤولين أمام الدول الاجنبية التي مهدت لهم سبيل الحكم لأنهم صابئون . ولما خاب ظن الاستعمار في باتريس لومومبا في الكونغو ، وجدنا باتريس لومومبا يستقط صريراً في أحوال غامضة ، اذا لم تكن من تدبير الاستعمار فانها كانت على الاقل تنتفع بحماية الاستعمار . وبعد مقتل لومومبا وجدت أسرته ملجاً أميناً ورعاياً عظوفاً في الجمهورية العربية المتحدة لا في بلجيكا التي تمنت بغيرات الكونغو استيلاء ونهباً فرناً كاماً من الزمن .

---

(1) ibid . 122—123, cf . 127 .

## ثلاثة ملاحق

•

في الآراء البخانية أحياناً دلالات فوق ما في الآراء المقصودة بالتعبير . قد نجد في كتاب يبحث في الأدب أو الموسيقى أو العلم حقائق تاريخية اجتماعية قد لا نجدها في الكتب التي ألفت في التاريخ وفي علم الاجتماع .

في هذا الفصل القصير ثلات حقائق من هذا الباب :

### الملحق الأول :

#### حزب البعث<sup>(١)</sup> : الماركسية والقومية العربية

يرى ميشال عفلق<sup>(٢)</sup> في الأحزاب الشيوعية العربية أخلاقاً طبيعية للمستعمرات والرجعيات وخصوصاً أللذاء للحركات التقديمية العربية . ومع ذلك فان ميشال عفلق يقول أن حزب البعث مدين في جانب واسع من برنامجه الاشتراكي للماركسية . وسئل ميشال عفلق عن أصحاب الفلسفات من الغربيين الذين يمكن أن يكونوا قد أثروا في توجيه تفكيره ، فقال: ولا واحد منهم . لقد قرأت كثيراً في شبابي ، ولكن لم يكن شيء مما قرأت ليغدوّي العاطفة التي أرددتها أن تكون عربية بكل ما في هذه الكلمة من معنى . ثم ان صلتي بالبيارات الفكرية الغربية قد انقطعت منذ بداية الحرب العالمية الثانية .

ليس لنا في هذا المقام الا الاشارة الى البخان الماركسي (الشيوعي) الذي كان البر ناجم القومي العربي في رأي ميشال عفلق مديناً له ؛ من غير جدال في الموضوع .

(١) راجع فوق ، ص ١٧٦ - ١٧٨ .

(2) Le Monde (Paris) , 21-3-1963, p. 8, col . 1.

ميشال عفلق هو الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي .

## الملحق الثاني :

### زيارة البابا لفلسطين

زار البابا بولص السادس فلسطين زيارة بدأت في صباح اليوم الرابع من شهر كانون الثاني (يناير- جانفي) من عام ١٩٦٤ ثم انتهت بعد ظهر اليوم السادس من الشهر نفسه<sup>(١)</sup> لقد كانت هذه الزيارة مفاجئة للعالم لأن البابا في العادة منذ الزمان لا يغادر مقره في الفاتيكان ، ولأن الزيارة نفسها إلى فلسطين بالذات تحتمل تأويلاً كثيرة شتى . ونحن هنا لا نتعريض لتكهنات الصحافة العالمية ولا لتعليقات المعلقين في الدوائر الدولية ، لأن الإنسان لا يمكن أن يخرج من تأويلات المتأولين وتعليقات المعلقين إلا بلغز أشد استغلاقاً من لغز الزيارة نفسها .

قبل ظهر الأربعاء في الثامن من شهر كانون الثاني استقبل البابا بولص السادس نحو ثلاثة آلاف من الزوار إلى روما وخطب فيهم خطبة كانت الخطبة الأولى له بعد رجوعه من فلسطين . في هذه الخطبة نوه البابا بمكانة روما في الرسالة الروحية للكنيسة .

وصفت جريدة إل تيمبو<sup>(٢)</sup> هذه الخطبة بأنها أهم خطب التي ألقاها البابا بولص السادس إلى الآن . وقد أكد البابا في هذه الخطبة رسالة الكنيسة لنشر البشرة الطيبة (النصرانية) في العالم كله . ثم تكلم الجريدة المذكورة ، وهي تعلق على خطاب البابا ، على عظمة رومية فتقول :

«إن الطريق التي كان بإمكان العناية الآلية أن تختطها لتنصير العالم لا تخصى . ولكن الحقيقة الواقعة أن الله قد اختار روما لهذه المهمة ، لا في الماضي فحسب – حينما انفرضت الامبراطورية وتركَت تلك المؤسسة الواسعة الخطيرة إرثاً لرومة – بل اليوم أيضاً ..»

وفي الشواهد التي اختارتها الجريدة من خطبة البابا فيقرأت لا تبعد عن ذلك كثيراً . وقد أحivist أن أحصل على نص الخطاب كاملاً فكتب إلى الملحق الصحفي في سفارة الفاتيكان في بيروت في هذا الشأن . وقد تلطّف الملحق الصحفي فاتصل بي بالهاتف ثم أرسل إلى بضعة أعداد من العدد الأسبوعي بجريدة «الرقيب الروماني»<sup>(٣)</sup> فيها أشياء كثيرة عن رحلة البابا ومن خطبه ، ولكن لم يكن في تلك الأعداد ذلك الخطاب الذي

(1) *Tempo ( settimanale )*, A. XXVI, N. 3, Milano 18-1-64, pag. 6-26.

(2) *Il Tempo ( Roma )*, Anno XXI, N. 8, 9-1-1964, pag. 2.

• الكلام لأحدنا الدكتور عمر فروخ .

(3) *Osservatori Romano ( edition hebdomadaire française )*.

أحببت أن أراه كاملاً . من أجل ذلك اكتفيت مكرهاً بالاشارة الى ما نشرته جريدة إل غبوا .

### الملحق الثالث :

#### من الحملات على الثقافة العربية (١)

في مطلع عام ١٩٦٢ نشرت المطبعة التابعة لجامعة كاليفورنيا (الولايات المتحدة) كتاباً عنوانه : الاسلام الحديث (المعاصر) يبحث عن شخصية ثقافية (٢) للدكتور غوستاف فون غرونيباوم ٣

إن عنوان الكتاب يدل على المقصid من وضعيه : معنى العنوان أن الاسلام في العصر الحاضر حائز يبحث عن ثقافة يرى فيها صورة نفسه . والكتاب في معظمه تشكيك في قيمة الادب العربي وفي قيمة الاسلام . على أن وضع هذا الملحق الثالث راجع الى أمور منها أن الدكتور غرونيباوم يحمل على أحدنا (٣) حملة ظاهرها غير باطنها . هذه الحملة يمكن تفنيدها واظهار التحامل واضحاً فيها اذا اعتبرنا الأمور التالية :

أ - الدكتور غوستاف فون غرونيباوم يهودي تخرج ، فيما ذكر ، في فيينا قبل أن يخرج أنا في المانيا بعام أو عامين . ولما نشرتُ أطروحتي : صورة الاسلام كما تبدو في الشعر العربي من الهجرة الى وفاة عمر بن الخطاب (٤) أذكر أنه نشر عنها كلمة طيبة . ونحن لم نلتقي الى الان قط ، وان كنت أنا أعرف كتبه ، وهو فيما يبدو يعرف عدداً من كتبه . وليس من الغريب أن يكون اتجاهي في عدد من كتبه مختلف لاتجاهه في عدد من كتبه .

ب - ينتقد الدكتور غرونيباوم عدداً من الأقوال التي وردت في كتابي « عقرية العرب » انتقاداً يظهر فيه التحامل وصرف الجمل عن معانيها وتشويه تلك الجمل . ولا ريب في أن الدكتور غرونيباوم لا يرمي الى انتقادي شخصياً بقدر ما يريد أن يحطّ من شأن النتاج العربي الاسلامي في الثقافة ، كما هو ظاهر في موقفه من الجمل التي ينتزعها من كتابي ومن الجمل التي ينتزعها من أقوال غيري . ثم ان اتجاهه في كتابه دالٌّ على ذلك .

(١) هاجع الفصل الماش .

(٢) راجع اسم الكتاب كاملاً باسم المؤلف على الصفحة ٢٤٣ .

(٣) الدكتور عمر فروخ .

(4) Das Bild des Fruehislam .... Leipzig 1937.

جـ - يورد الدكتور غرونيباوم (ص ١٥٠) جملة يجمع محتواها من كتاب مالك بنبي (بن نبي) وكتاب لطه حسين وكتاب لي ، فيما يدعي . الجملة غامضة جداً . على أن المكان الذي يشير إليه غرونيباوم من كتابي عبرية العرب فيه أن العرب كانوا متاجعين ومتواضعين في يذل العلم بلجمي الناس على السواء ؛ أما غرونيباوم فيذكر أن المؤلف قال ذلك بتفاحة من الغرور والاستكبار ، ولا أعلم أي المؤلفين الثلاثة عنـي . أما أنا فان كتابي عبرية العرب قد بنته على فكرة أتبتها في المقدمة من الطبعة العربية الثانية (ص ٦ - ٧) ، وهي أن العرب يجب أن ينظروا إلى القيمة الذاتية في العلوم التي جاء بها أسلافهم وأن يقوموا هم بدورهم في العصر الحاضر من غير أن يلهمهم التحدث بمجد أسلافهم عن الانتاج المنتظر منهم . ثم انتي استشهدت في هذه المناسبة نفسها بيت الشاعر :

ألمي بني تغلب عن كل مكرمة      قصيدة قالها عمرو بن كلثوم  
كأني أقرع الذين يفعلون ذلك من العرب .

دـ - على أن الذي كان يجب على الدكتور غرونيباوم أن يخجل منه ولا يغرس فيه بقرائه الشاهد التالي :

في كتابي « عبرية العرب » مقطع عن الدور الذي قام به العرب بنقل الفلسفة من العالم اليوناني القديم إلى العالم الأوروبي في العصور الوسطى . في هذا الشاهد : « ولو لا ذلك ... لما أمكن الغرب اللاتيني الكاثوليكي أن يتصل بالغرب اليوناني الارثوذكسي ٠ .

تناول غرونيباوم هذه الجملة على الصفحة ١٦٣ ثم على الصفحة ١٦٤ وفي حاشية طويلة على الصفحة ١٦٤ نفسها وكذب على كذبًا وافترى على افتراء أنا برىء منها . ان حملته على شخصياً في هذا الشأن ، صحي أو لم يصح ، لا يبرر لها .

قال « ان الاعجاب بالنفس لا يعرف حدًا . ان السنّي اللبناني عمر فروخ (المولود عام ١٩٠٦) يؤكد لقارئه الذين يجب أن تكون بعض أفكاره قد وصلت إليهم ، وبمثل هذا الشكل المدوّي ، ... أن العرب بعد أن رفعوا عن أعناق البشر نير المذاهب القديمة ... أخرجوا الناس من ظلمات الجهل . وهو لا يدّعى فقط أنه لو لا النقول العربية لكتب المفكرين اليونانيين لما استطاع الغرب أن يعرف النتاج الهمجياني (الثقافة اليونانية) ، ولكن (يزيد أنه) لو لا العرب لكان من المستحيل تماماً على الغرب اللاتيني الكاثوليكي أن يتصل بالشرق اليوناني الارثوذكسي ٠ .

ان هذا الكلام ، على الرغم من أنه صحيح ولا ادعاء فيه أو تتجه ، ليس قولي أنا ، وإنما أنا استشهدت به من كتاب الدكتور جورج سارطون ، شيخ مؤرخي العلم في العصر الحديث . والإشارة إلى كتاب سارطون ظاهرة في حاشية كتابي مع أرقام الصفحات . وأنا أعتقد في الدرجة الأولى أن جورج سارطون الكاثوليكي أدرى بحقيقة الصلات بين العالم الكاثوليكي والعالم الارثوذكسي من غرونيباوم اليهودي . ثم ان الدكتور غرونيباوم لو كان يريد العلم والحقيقة في انتقاده لما وجده كلماته الثانية إلى " والى الثقافة العربية الإسلامية ، بل لمناقش الدكتور سارطون مناقشة علمية غايتها بيان وجه الحق في هذه القضية . ولكن القضية ليست قضية علم أو حق ، إنها تحامل واستعمار . ان الدكتور غرونيباوم قد سلك المسلك الذي أملأه عليه إيمانه وبيته ، وسائلك أنا المسلح الذي يعليه علي إيماني وتعليه ييشي . ثم ان في فضائل الإسلام والعرب ما يعني يعني كل مسلم وكل عربي عن أن يكذب على التاريخ وعلى الحقيقة وعلى الحق . وكنت أود أن لو فعل الدكتور غرونيباوم مثل فعلي .

بيروت ، الاثنين في ٢٧ رمضان المبارك ١٣٨٣

١٩٦٤ - ٢ -



## الفصل الثاني عشر

### نتائج التبشير - الحوار - التبشير وإسرائيل

لاريب في ان وسائل التبشير والاستعمار قد تطورت بتطور العلم تطوراً كبيراً وتعددت الابواب التي يدخل منها التبشير والاستعمار الى حياة الشعوب . وكذلك تعددت أوجه التبشير والاستعمار فأصبح من العسير ان نحيط وصفاً بها جدّاً منها منذ الطبعة الثالثة ( ١٩٦٤ م ) . من أجل ذلك سنحصر الكلام على ثلاثة موضوعات : نتائج التبشير ثم الحوار ثم التبشير وإسرائيل .

#### (١) نتائج التبشير

لا شك في ان البشرين قد أخفقا في البلاد الإسلامية في هدفهم الذي كانوا قد أعلنوه منذ مطلع العصور الحديثة : نقل الناس الى النصرانية اعتقاداً وعلا . لقد انتقل افراد قليلون وجماعات قلائل الى النصرانية في عدد من البيئات التي يسودها الجهل والفقر وتسيطر فيها الدول الأجنبية المستعمرة ، وخصوصاً في الشرق الأقصى وفي أواسط افريقيه وغربيها . غير أن هؤلاء المرتدين كانت الكثرة الفالية منهم من غير المسلمين .

هؤلاء الذين دخلوا النصرانية حباً بالدنيا لم يهناوا بالدنيا ، لأن الدول المستعمرة لم تحمل هؤلاء على النصرانية حق تعميم بما يتمتع به النصراني الأوروبي والنصراني الأميركي كي الأبيضان . من أجل ذلك جعلت لهم كنائس بدائية خاصة بهم ومدارس فطرية خاصة بهم وحرمت عليهم كل نشاط يريد به البيض لأنفسهم ثم انتظرت منهم ان يكونوا دائماً في خدمتها ضد قومهم وأبناء جلدتهم .

ومن حسن الحظ ان هؤلاء المرتدين قد علوا بما أراده المستعمر منهم وكأنوا عيوناً له وآيدياً في وطنهم . ومن الأمثلة على ذلك دولة بيافرا التي أنشأها الاستعمار في الأقليل الشرقي من نيجيريا ، فانها بدأت تكيد لنيجيريا وتفتح عليها أبواباً من الشر . وقد كان

أهل بيافرا في الأصل من قبائل الإيتو الونية ثم أدخل جماعات منهم في النصرانية . ولما زال الاستعمار عن نيجيريا – ظاهرياً على الأقل – أقام الاستعمار هؤلاء المرتدين دوبيلة . ومع ان المحاكمين في نيجيريا الأم كانوا في أكثرهم من النصارى ، فانهم لم يرضوا عن بيافرا ولا عن اعمال أهل بيافرا فبدأ بالقضاء عليها . ولكن الاستعمار في جميع صوره الظاهرة والمستترة ساعد أهل بيافرا بمال وسلاح والنفوذ . وأخيراً قضى على دوبيلة بيافرا فزالت . وهذه المحاولة التي قام بها الاستعمار في بيافرا من نيجيريا قام بها أيضاً في جنوب السودان ، وفي أماكن أخرى .

غير ان الدول المستعمرة لم تتوقف عن بذلك الجمود المدamaة في نيجيريا بوساطة المبشرين . إن الحكومة النيجيرية الاتحادية قد أنكرت التهمة القائلة بأن سياسة إبادة جماعية تجري مجريها في الأقليم الذي كانت فيه دوبيلة بيافرا . ولكن حكومة نيجيريا الاتحادية قد أصدرت بياناً أعلنت فيه انه سيتم في أقرب فرصة ترحيل القساوسة والراهبات الكاثوليك الأجانب الذين أدینوا أخيراً بتهمة دخول البلاد بطريق غير قانوني ثم اشتركوا في التآمر الاستعماري ضد وحدة نيجيريا . وقد تم بالفعل نقل عدد كبير من هؤلاء القساوسة والراهبات الأجانب إلى لاغوس تمهيداً لترحيلهم إلى بلادهم الأصلية<sup>(١)</sup> . ولقد كان من المنتظر ان يتراجع المد التبشيري بعد زوال الاستعمار عن الأقطار التي قام فيها المبشرون بنشرتهم ، وإن كان زوال هذا الاستعمار رمزياً فقط . وقد رأى أحد المبشرين هذه الحقيقة وكتب فيها كتيباً يبسطها فيه .

في عام ١٩٦٤ اصدر المخترم (القس) بيرس بيرر كتاباً صغير الحجم اسمه «من الأرساليات (المتعددة) الى الارسالية (الموحدة)»<sup>(٢)</sup> أي : وجوب قيام اتجاه واحد في التبشير بدلاً من الاتجاهات الكثيرة المختلفة المتعددة والموجودة حالياً . في هذا الكتاب الصغير الحجم أشياء كثيرة هي التي قلنا بها نحن قبل عشرين عاماً . هذه الأشياء يشعر بها الآن الذين دخلوا في النصرانية على يد المبشرين ويشعرون بها المبشرون أنفسهم .

(١) راجع جريدة الشعب (بيروت) في ٥/٢/٧ والجرائد الأخرى .

(2) From Missions to Mission , by R. Pierce Beaver (Reflection Collection) , copyright 1964 by National Board of Young Men's Christian Association , New York .

ثم يشعر البشر أن أيضاً التبشير كله في أزمة .

قال مؤلف هذا الكتاب :

« في القرن التاسع عشر وأوائل القرن المươiدين كانت الحضارة الأوروبية والسيطرة السياسية والقوة العسكرية تجتاح العالم ؟ وكانت النصرانية تتسم غارباً هذا المد من الجاه الأوروبي الأميركي وتسير على سطحه هوناً فلا تلتقي في آسيا وإفريقيا إلا بنظم اجتماعية متصدعة وثقافات متفسخة ( ص ١١ - ١٢ ) . »

« وأصبحت الطريق مهدة أمام المبشرين ، فانتشرت النصرانية مع اتساع السيطرة الأوروبية ( في العالم ) . ولقد قام الاستعمار والسيطرة العسكرية بدورهما في نشر النصرانية ( ص ١٣ ) . »

« أما الآن فقد تبدلت الحال ، إن الحربين العالميتين قد حطمتا الجاه الأوروبي في عيون الآسيويين والأfricanيين ، فإذا هؤلاء لا يقبلون النصرانية ( اليوم ) على أنها جانب من حضارة راقية متقدمة ( ص ١٤ ) كما كان الشأن بالأمس . »

« لقد أصبح يقال عن المبشرين إنهم علاه للاستعمار ، ولا يزالون يتهمنون بأنهم أدوات لتفليل التغذ الأجنبي للتغريب ( ص ١٤ ) . »

« ثم تبنت حكومات كثيرة في آسيا وأفريقيا كالهند ، وبورما واندونيسية والسودان ، هذه النظرة فأخذت تضع العرّاقيل في وجه التبشير : وتبدو هذه العرّاقيل واضحة جداً في رفض تلك الحكومات منح المبشرين سمات الدخول إلى بلادها ( ص ١٥ ) . »

والذين كانوا قد اعتنقوا النصرانية على يد المبشرين « لا يقبلون اليسوم ان يقال في النصرانية إنها دين إنساني ( عام ) ، وهم يصفونها بأنها دين عصي خاص بالرجل الأبيض الذي يعزل الشعوب الملونة عنه حق في ( الكنيسة ) . ويقال اليوم ان اعتناق ( الرجل الملون ) ل الدين الرجل الأبيض يجعل منه خائناً لأبناء جنسه ولأمته ( ص ١٦ ) . »

« ان البلاد التي نشأت فيها الكنائس الجديدة ( انتشرت فيها النصرانية على يد المبشرين ) هي اليوم بلاد ثورة . هذه البلاد تسد اليوم الطريق على التبشير صدّاً محكماً . ونصاري هذه البلاد على وشك ان يخلعوا العقيدة النصرانية لأنها في نظرهم جزء أصيل في السيطرة الغربية وفي الاستعمار ( ص ٤٠ ) . »

وكان أحد خبراء وزارة الخارجية (الاميركية) في الشؤون الافريقية يخطب في اجتماع للمؤرخين الكاثوليك كانوا يتحاورون في النزاع بين النصرانية والاسلام فقال لهم : مما لا جدوى فيه للاميركيين وللأوروبيين ان يظلون الى اليوم يتكلمون وكان في استطاعتهم ان يقرروا مصير إفريقيا . إن ابناء إفريقيا هم الذين سيقرر دين إفريقيا<sup>(١)</sup> المقبل : اهو النصرانية او الاسلام او الوثنية القبلية . وعلى كل حال ، فان الدين الذي سيسود في إفريقيا لن يكون اوروبا (ص ٤٣) .

ويأس المؤلف لأن الكاثوليك والبروتستانت ، في اماكن كثيرة ، لا يبدون كأنهم أبناء دين واحد (ص ٦٦) .

هذه المختارات تمثل الكتاب الذي أخذت منه ، ثم هي تكشف عن حقيقة واقعة ومرة أيضاً - لنا ولأصحابها - حقيقة لا سبيل الى إنكارها ولا الى إنكار نتائجها ، وهي ان التبشير قد جاء الى البلاد التي تمحق فيها كثيراً أو قليلاً بالاستعمار وبالسيطرة الغربية وبالتعريش بين أبناء الوطن الواحد من غير ان يأتي بشيء من القيم الروحية . ولا شك في ان التمييز العنصري الذي تمارسه الحكومات البيضاء في إفريقيا خاصة دليل واضح جداً على ان التبشير قد سلب طوائف الناس اسمى ما تأتي به الأديان كلها : قد سلبها المساواة والتسامح .

والبشرورن لم يقوموا بهذه الجهد في البلاد ذات الاستقلال القاصر ، كدولية بيفرا المنقرضة ، بل في البلاد ذات الاستقلال الصحيح مثل الجزائر . إن عمل المبشرين في الحقيقة ليس متصل بالاحسان والدعوة الصالحة ، بل متصل بالاستعمار والتجسس . نشرت الصحف الخبر التالي<sup>(٢)</sup> :

**أعلن في الجزائر أمس ان خمسة عشرة اجنبياً طردوا من البلاد لنشرهم دعاية**

(١) يقصد المؤلف أبناء المناطق الوسطى والمناطق الوسطى الغربية من قارة افريقيا من انتقام البشرورن الى عدد من فرق النصرانية .

(٢) راجع جريدة الأنوار (بيروت) ٢٨ - ١٢ - ٦٩ ، وجريدة النهار (بيروت) في التاريخ نفسه ، ص ٩ .

صهيونية متخددين من مذهب شهود يهوه ساراً لهم . واثبّتت مستندات ضبطت ان هؤلاء الاجانب كانوا يحاولون انشاء منظمة تخريبية تهدف الى نشر نفوذ الدوائر الصهيونية الأجنبية في الجزائر .

وقالت جريدة المهاجر الجزائرية إن رئيس الجماعة كان محــارباً قديماً في الحملة العسكرية الاستعمارية على الجزائر . و(كذلك) نشرت صوراً لستة من أعضاء الجماعة ولكنها أوردت اسمــاً واحدــاً هو مدموزيل لينــز . وقالــت ان الفتــاة تلقت وثــيقة تطلب منها توخي ما يمكن من الحــكمة مع موظــفي وزارة الدفاع الوطني .

وأعلنت الصحيفة ان رسائل أخرى أرسلــت من أوروبا الى فرع الشبــكة في مدينة الجزائر تطلب وجــوب نقل المسؤولــين الى أماكن أعدــت لهم ســلنا ، وعليــهم ان يقابلــوا الناس في ســلام وهــدوء .

#### (٢) الحوار وغايتها الحقيقية

يصعب على المــشــرين ان يتصلــوا بالنــاس ، وخصوصــاً بالــمــثقــفين وذــوي المــســكانــة الاجتماعية ، فلــجــاؤــا الى وســيلة جديدة ســمــوها «الــحــوار» تقوم على جــمع نــفر من المــثقــفين ذــوي الكلــمة المســمــوعــة في قــومــهم على مناقــشــات عــلــنية لا تــتــبــعــ ظــاهــرــها إــلــى التــبــشير ، وان كانت غــايــتها الحــقــيقــية زــعزــعة العــقــائــد يــغــيرــ الناس اــلــقــولــ والــردــ ثم النــفــوذــ من خــلال الأخطــاء والــجلــلــ المــتــشاــبةــ إلى التــأــثيرــ على ذــوــيــ النــفــوســ الــضــعــيفــةــ .

في عام ١٩٦٢ دعا البابــا يوحــنا الثالث والعــشــرون الى عــقدــ المــجــمــعــ المــســكــوــنيــ الثاني في رومــية للبحث في جميع الشــؤــونــ - مما يتصل بــوضــعــ هذا الكتاب - : إــعدادــ المــشــرين (من رجال الدين ومن غير رجال الدين) - إــثــارةــ حــوارــ بينــ المسيــحــيينــ وبينــ غيرــ المسيــحــيينــ - إــبدــاءــ رــأــيــ الكــنــيــســةــ فيــ اليــهــودــ عــامــةــ وإــســرــائــيلــ خــاصــةــ .

أما إــعدادــ المــشــرينــ من رجالــ الدينــ ومنــ غيرــ رجالــ الدينــ فأــمــرــ اــشــرــناــ إــلــيــهــ فيــ هذا الكتابــ مــرارــاً : إنــ المــشــرينــ يــحيــيونــ إــلــيــناــ فيــ ثــيــابــ مــخــتلفــةــ : فيــ ثــيــابــ رجالــ الدينــ

(١) شــهــودــ يــهــوــهــ بدــعــةــ (ــفرــقةــ) نــصــراــئــيــةــ استــ فيــ الــولاــيــاتــ الــتحــدــةــ عــامــ ١٨٧٢ــ مــ تــقــســرــ التــورــةــ وــالــأــنجــيلــ تــقــســيــرــاًــ خــاصــاًــ بــهــاــ . وــمــيــوــهــاــ يــهــوــدــيــةــ . وــهــيــ تــقــوــمــ بــالــتــبــشــيرــ الــدــينــيــ وــالــســيــاــســيــ مــمــاــ وــتــعــلــمــ عــلــىــ بــعــثــ الســيــطــرــةــ الــيــهــوــدــيــةــ فــيــ الــاــجــنــاعــ وــالــســيــاــســةــ .

وفي ثياب الأطباء وثياب المدرسين وثياب العلماء وثياب المكتشفين وفي ثياب الموظفين . والحوار بين البشرين وبين أتباع الأديان غير المسيحيين أمر قديم ، فإن عدداً كبيراً من المؤسسات الغربية كالمدارس والنوادي وجمعيات الشبان والشابات وسائل حوار مستمر كثيراً أو قليلاً - وغاية هذا الحوار زعزعة العقائد على ألسنة أشخاص معروفيين في قومهم . والحوار كالمعادلات يظفر بالفائدة فيها من كان أقوى يداً وأرفع صوتاً . وما يُؤسف له أن نفراً قد حلّ لهم تيار هذا الحوار إلى حيث لا يريدون . وعلى كلّ فإن النتائج العملية لذلك الحوار لم تكن بسيطة الأخرى في تحقيق المدف الذي نصّب لها ، ذلك لأنّ المخلصين أدركوا أنّ هذا الحوار هو وسيلة جديدة من وسائل التبشير الديني والسياسي مما . ثم إنّ كثيرين من المخلصين كانوا يتبعون الحركات العامة في العالم فلعوا بأهداف هذا الحوار . أما الذين ليس لهم تتبع لما يجري في العالم فقد ظنوا أنّ هذا الحوار فرصة لتبيين آرائهم ، وكأنّوا في ذلك غلطين .

في المجموعة التي أصدرها الجمع المسكوني الثاني<sup>(١)</sup> تعريف وتفصيل لهذا الحوار . قالوا فيها في الحوار ( ١٢٦ : ٢ ) : « يُجب إعداد رجال دين عندم استعداد للحوار ... رجال دين يعرفون كيف يصفون إلى الآخرين وكيف يقتلون قلوبهم بجيمع حاجات ( النفس الإنسانية ) ؟ رجال دين في طبيعتهم ان يوقدوا الاهتمام في النفوس وان يكونوا معلمين للإيان ( المسيحي ) ... رجال دين يستطيعون ان يتبعوا الفرمان للعمل الارسالي الرسولي ( التبشيري ) وأن يشعوا فيه الحياة بين غير رجال الدين بروح كاثوليكية فعلاً ومن وجهات النظر العالمية » . ويقولون أيضاً ( ١٢٨ : ٢ - ١٢٩ ) : « فوق ذلك يجب ان يُعدوا ( أي القائمون بالحوار مع غير النصارى ) بطريقة موافقة لفهمهم الوسائل الفنية والتي لا بد منها حق يستطيعوا ان يتسللوا بنشاط في الجماعات التي تتألف منها الجماعة الإنسانية ، وأن يبدأوا الحوار مع الآخرين ... ثم إن الكنيسة تستطيع ان تقوم بهذا الحوار من غير ان تهجر طبيعتها الخاصة بالوحى الذي لها ... وهي التي بعثت ( مبشرة ) إلى جميع الناس » ( ٢٠١ : ٢ ) .

(1) Concile œcuménique Vatican II , Documents conciliaires ( éd. du Centurion , Paris 1966 ) .

« إن على (كل) كاثوليكي أن يكون في مسلكه في الحياة شاهداً على إيمانه (عاماً به) وان يحاول التعاون وإفارة الحوار بمحكمة ومحبة مع أولئك الذين ينتسبون إلى الأديان الأخرى » (٢٠٣ : ٢) .

أما فيما يتعلق بالمسلمين خاصة فهم يقولون (٢٠٤ - ٢٠٥) : « بين (ال المسلمين والنصارى ) روابط من إبراهيم ومن المسيح الذي يعدونه نبياً ومن آمه مريم . فالجميع المسكوني يحصن الكاثوليك على أن يحاولوا نسيان العداوة التي كانت بين الدينين وبين الثقافتين وإن يعوا واجبهم العام - في احترام متبادل - في سبيل خير الإنسانية » .

وفي « موجز نصوص الجميع المسكوني »<sup>(١)</sup> يقولون في هذا الحوار : « والكاثوليك يأخذون على أنفسهم أن يتعاونوا مع جميع الناس ... ويعاوروهم - متوجهين إليهم بذكاء ولطف - في كيفية تحسين حال المؤسسات الاجتماعية وال العامة بما يتنقق وروح الأنجليل » (ص ٣٢٣) . وفيه : « أما فيما يتعلق بالتبشير للتنصير وبتكريس المدفنيين ( تعين نفر من غير رجال الدين للقيام بالتبشير ) ، فيجب إعداد غير رجال الدين إعداداً خاصاً للقيام بالحوار مع الآخرين ، من المؤمنين ( الكاثوليك ) ومن غير المؤمنين حتى يبينوا للجتمع رسالة المسيح » .

### (٣) التبشير والاستعمار في فلسطين

سبق في هذا الكتاب حديث عن التعاون بين التبشير والاستعمار وبين الصهيونية لاقتراع فلسطين من العرب ومن الإسلام . وكان هذا الحديث مبنياً على التعميم : من قراءة في الصحف الأجنبية ومن قرائن وملابسات مختلفة . أما الآن فقد انكشف الدور الذي قام به التبشير والاستعمار في التأثير على فلسطين .

وهذا الفصل - كجميع الفصول السابقة - مبني على مصادر منشورة مطبوعة موجودة في المكتبات والمكاتب . وأقوال هذه الكتب التي سمعتمد عليها في هذا الفصل تامة بنفسها لا تحتاج إلى تفسير ولا تحتاج إلى تعليق . من أجل ذلك سنأخذ الفقرات منها ونثبّتها في أماكنها ، ولن يكون لنا من الكلام إلا كلمات نصل بها بين تلك

(1) *Synopsis des textes conciliaires* , par J. Deretz et A. Nocent , éditions universitaires , Paris 1966 .

### الفقرات للمحافظة على سلامة الانشاء

ان المؤامرة على فلسطين استغرقت قرناً ونصف قرن : مائة وخمسين سنة كاملة ، من عام ١٨١٨ الى عام ١٩٦٧ للبلاد .

يبعدو أن التبشير في المبدى<sup>(١)</sup> ، حتى الرابع الأول من القرن التاسع عشر ، لم يأت بالنتيجة التي كان المبشرؤن - والدول الغربية : ومنها بريطانية والولايات المتحدة خاصة - يتوقعونها . من أجل ذلك عزم « المجلس المفوض بأمر جمعيات التبشير في الخارج » على تحويل الجانب الأكبر من نشاطه إلى الشرق الأوسط ، وإلى فلسطين خاصة ، ثم إلى القدس على الأخص

ففي خريف عام ١٨١٨ تأسست في الولايات المتحدة جمعية تبشيرية للعمل في فلسطين تستند إلى الجمود الأميركية والاحسان الأميركي (ص ٦٦) .

ومن العوامل التي شجعت على تأسيس هذه الجمعية الأميركيّة التبشير في فلسطين

ان الشرق الأدنى لم يكن جزءاً من الامبراطورية البريطانية ولا كان خاضعاً للحكم البريطاني أو للنفوذ البريطاني . ولذلك تقرر السير في هذا السبيل سيراً مستقلاً عن الجمعيات التبشيرية البريطانية . ولقد كان في المركز الجنوبي العسكري للشرق الأدنى ولمنطقة البحر المتوسط عنصر إغراء كبير حل الأميركيين على إقامة جمعية للتبشير هناك . ان البحر المتوسط كان الطريق المؤدي إلى أنفس واسعة من العالم لم يكن التبشير قد بدأ فيها بعد ، كما كان باباً إلى آسيا وإفريقيا من غربها ( ص ٦٧ ) .

وكان المدّ الرئيسي للتبشير في فلسطين تبديل عقائد شعوب الشرق الأدنى وتبدل أنماط حياتهم ... وقد وضعت خطط مختلفة للوصول إلى نفوس النصارى ونفوس المسلمين ونفوس اليهود في هذه البقعة من الأرض ... غير ان الصومبة الكبيرة التي أدركوا المبشرون أنهم سيلاقونها في الشرق الأدنى كانت إعجاب شعوب الشرق الأدنى بشقاوتهم ( ص ٦٨ ) . ثم إن القاهرة والاسكندرية مكانتان مهمتان ، فإن المبشرين يستطيعون ان يستقروا في أي منها شاءوا بأمان فيصنعوا ترجمة عربية صحيحة للكتاب المقدم ( ص ٧١ ) .

(١) الأرقام التالية في المتن تشير إلى صفحات الكتاب التالي :

وكان أرمنية مهمة كذلك . كانت الكنيسة الأرمنية قد أضاعت مجدها منذ زمن طويل ، ولكن بالإمكان ان تكون الكنيسة الأرمنية وسيلة مهمة لتنصير غربي آسيا . بالتقدم منها إلى إيران والعراق وسوريا وفلسطين وأسية الصغرى . ومكذا تستطيع الكنيسة المسيحية ، بلا حرب صلبيّة ، ان تسترد تلك المناطق التي خسرتها منذ أزمان طوال (ص ٧٢) .

ومنذ الزمن البعيد (عام ١٨١٩ م) نشأت فكرة حل اليهود من ذنب التدبير لصلب المسيح ، تلك الفكرة التي نفذتها البابوية عام ١٩٦٥ م - بعد مائة وستة وأربعين عاماً - فقد ذكر ليفي بارسوتز في تقرير له عن الارسالية في فلسطين قوله : « ان جمور المسيحيين يجب أن يدعوا لليهود دعوة صالحة وأن يغفر لهم صلب المسيح <sup>(١)</sup> كما كان المسيح نفسه قد غفر لهم ذلك . إن عيون (اليهود) تشخص إلى القدس »، فهم يعتقدون ان المسيح (المهدي) سيظهر فيها <sup>٠٠٠</sup> ويقول بارسوتز إننا إذا استطعنا ان نحمل البروتستانت على ان يجعلوا في القدس نواة من اليهود تتقبل المسيح فإن جميع يهود العالم سيقتلون خطأها حالاً . ومكذا اهتمت جميع الارساليات التبشيرية بالخطوة التي خطتها الارسالية الأميركية (ص ٧٦ - ٧٧) .

ما أرسل المجلس المفوض بأمر الارساليات التبشيرية <sup>مبشريه الأولين إلى الشرق الأدنى</sup> لم يكن يتضرر أن تكون نتائج عملهم بين المسلمين سريعة الظهور : لقد أدرك المجلس انه ليس من السهل حمل المسلم على تبديل دينه ، لأن المسلمين مقتنعون بأن الاسلام أسمى الأديان ، ثم ان السلطة السياسية في يد المسلمين . غير ان الأميركيين كانوا يأملون أن يتقوظ البناء السياسي للدولة العثمانية في أثناء ذلك فيتفقى بالتألي على القوى الاسلامية . وكذلك كان منهم من يظن ان سرقة الوهابيين الاصلاحية ستهدم الاسلام السلفي (ص ٧٨ - ٧٩) .

---

(١) كان النصارى يعملون عداه شديداً لليهود اعتقاداً منهم بأن اليهود هم الذين طلبوا من المحاكم الرومانية قتل المسيح ، وكافوا يجعلون جميع اليهود في جميع الفصول شركاء في هذا الجرم .

وفي عام ١٩٦٤ ظهر كتاب اسمه « تاريخ الارساليات التبشيرية » لمبشر وأسقف انكليزي ( بروتستانطي انكليزي ) اسمه ستيفن نايل<sup>(١)</sup>. جاء في مطلع هذا الكتاب ( ص ١٦ - ١٧ ) :

« ٠٠٠ ولد يسوع يهودياً ، ولم يدع يوماً أنه كان شيئاً آخر . ثم انه لم يخط وراء حدود فلسطين الضيقة قط . لقد كانت لغته الآرامية ، وفي الارجح القريب من التأكيد انه كان يستطيع أن يقرأ التوراة باللغة العبرية ٠٠٠ ومعنى هذا أن جانباً كبيراً مما قاله يسوع لا يستطيع أن يفهمه الرجل العادي إذا لم يكن يهودياً . ولقد اخذ ( المسيح ) في التعبير ( عن آرائه ) اللغة المرموزة ( الرمزية ) التي كانت للشعب اليهودي ، ذلك الشعب المظلوم الشقي الذي تعرّض ( تسلية ) عن مصالبه صوراً برافقة من الأمل في زمن سيأتي . إن الله لن يدع شعبه إلى الأبد بلا اطمئنان » .

على ان حرص الدول الغربية على جمع نواة من اليهود في مدينة القدس لم يكن تابعاً من عاطفة دينية فحسب ، بل من مصلحة سياسية أيضاً . فقد بدأت « الارسالية الانكليزكانية ( الانكليزية ) للعمل ( للتبشير ) بين اليهود » بالاستقرار في القدس في عام ١٨٢٠ ، ثم جعلت تقوم ، منذ عام ١٨٤٤ ، بشيء يسير من العناية الطيبة .

وقد تطورت هذه العناية الطيبة البسيرة حتى نشأ منها في عام ١٨٤٨ مستشفى مشهور . وفي عام ١٨٥١ شاركت جمعية الارسالية التبشيرية في هذا العمل . ولقد أدى هذا العمل ( تأسيس إرسالية في القدس ) إلى أغرب الأحداث في تاريخ الكنيسة الحديثة . ان السلطات البريطانية والبروسية ( الالمانية ) اتفقت على تأسيس أسلوب مشتركة في مدينة القدس يشرف عليها أسقف مرسم على المذهب الانكليزي ( الانكليزي ) ، ولكن تعينه يجري بالتناوب بين ملك انكلترة وملك بروسية ( المانيا ) . ولقد كان في هذا العمل عوامل سياسية كما كان فيه عوامل دينية . لقد ظنت السلطات ( الانكليزية والبروسية ) أن الحماية التي تتمتع بها الروسية على النصارى الأرثوذكس في الشرق والحماية الدينية التي تتمتع بها فرنسا على النصارى الكاثوليك تحسن ان ”توازننا بمحاجة انكليزية

بريطانية على البروتستانت . وقد كان الاسقف الاول على اسقفيه القدس هذه ميخائيل سلون اسكندر - وهو حاخام يهودي متنصر - ٣٠٤ ( ص ٠٠٠ ) .

### وجود إسرائيل

إن الامر العظيم الذي جد في العالم الاسلامي هو وجود إسرائيل ... فان التوازن ( السياسي والقومي والمديني ) قد اضطرب بذلك اضطراباً كاماً في المنطقة كلها ... وللنصارى في ذلك آراء مختلفة : إن نفراً منهم يرون أن إسرائيل وحدة سياسية لا إيمانية دينية لها . وات نفراً آخرين يعتقدون ان قيام إسرائيل تحقيق لنبوءة التوراة ... أما أكثر النصارى الذين يعيشون في إسرائيل فهم من أتباع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الشرقية ( الروم الانذاريين ) . وهؤلاء يتمتعون بقدر من الحرية الدينية . أما النصارى من أصل عربي ( يهودي ) فقليلون جداً ، ثم هم موضع ريبة يُنظر اليهم كأن يُنظر الى الخونة ، ( ٤٩٠ ) .

### موقف البابوية من اليهود وإسرائيل

في أثناء الاعداد للمجمع المركوني الثاني فوض البابا يوسف الثالث والعشرون الكاردينال بيتاً بوضع مرسوم يتعلق باليهود . تقول مجموعة الجمع المركوني (١) ( ٢٠٤ : ٢ ) أن البابا يوسف الثالث والعشرين لما كان قد أرسل رسولاً في الشرق الاوالي (٢) اطلع على حال الشقاء التي كان فيها كثير من اليهود الذين هربوا من مضطهديهم ، وقد أفاده حياة نفر كثيرون منهم . ثم انه أبدى عليهم عطفاً في مناسبات مختلفة . وفي تشرين الاول ( اكتوبر ) من عام ١٩٦١ جاء وفد من اليهود الاميركيين ليشكروا للبابا يوسف الثالث والعشرين موافقه منهم فاستقبلهم بهذه الكلمات : « أنا يوسف أخوكم . أجل ، إن ملة فرقاً بين الذي لا يؤمن إلا بالعهد القديم ( أي التوراة - يعني اليهودي ) وبين الذي يؤمن أيضاً بالعهد الجديد ( أي الانجيل - يعني النصراني ) أنه الشريعة الماءدية العلبة . ولكن هذا الفرق لا ينقص شيئاً من الاخوة القائمة على أصلنا الواحد : أنسنا جميعاً

(١) راجع ، فوق ، ص ٢٥٦ .

(٢) في وركيه ، سنة ١٩٣٥ .

أبناء أب واحد في السهارات؟ فيجب أن يكون بيننا حب مشرق، حب نشيط فضال.

وفي ذلك الوقت نفسه، في أثناء الإعداد للمجمع الثاني أيضاً، طلب ممهد التوراة في روما أن يكون للمجمع تفسير (رأي) في «الوجود اليهودي». وفي عام ١٩٦٠ قام العالم اليهودي يوليوبس إيزاك (اسحاق) بزيارة للبابا (يوحنا الثالث والعشرين) طالباً منه أن يعدل الفقرات المعادية للسامية في التعليم الديني. وفي نحو هذا الوقت بعث المطران أويستراسير رئيس المؤسسة اليهودية المسيحية في متون هول (الولايات المتحدة) إلى الكاردينال بيا عريضة وقمعها خمسة عشر قسراً يطلبون فيها أن تستمر إزالة العبارات التي تدعو إلى سوء الفهم ثم حذف التعبير الجارحة لليهود من العظات المسيحية (القداديم). وفي عام ١٩٦٢ وضع الكاردينال بيا بصفته رئيساً للامانة العامة في (مؤسسة) وحدة المسيحيين (في الغابيكان) المرسوم اليهودي (الذي يتضمن الفكر المذكورة آنفاً). وتسرّب خبر المرسوم اليهودي أو «الوثيقة لليهود» - وقيل إن مبعوثاً لإسرائيل سيخضر الجلسة التي ستعرض هذه الوثيقة فيها - وقيل أن هذا المبعوث قد زار البابا في شأن هذه الوثيقة - فحدث شيء من الهاج في الدول العربية من أجل ذلك. فصرّف النظر عن الوثيقة مؤقتاً. غير أن الجميع المسكوني الثاني عاد فأقر هذه الوثيقة.

من النقاط الأساسية في هذه الوثيقة ما يلي..

(أ) تقر الكنيسة بأن جذورها تذهب بعيداً في أرض إسرائيل القديمة، وتكر بذلك بصرور ٠٠٠ إن جذورها ترقى إلى الأسباط والأنبياء، وخصوصاً إلى ذلك اليوم الذي دعى فيه إبراهيم ليخرج من بيت أبيه الونفي وليسير في طريق الإيان الجريئة. إنهما ترقى إلى تلك الساعة التي اختار الله فيها موسى ليخرج أبناء إسرائيل من أرض الصهيونة وليصل بهم إلى قرب المعاد.

(ب) والكنيسة، برغم إنها مؤسسة جديدة كل الجدة، مستمرة مع إسرائيل القديمة (في الوجود). إن هذا التأكيد ليس فقط تعبيراً عن حقيقة تاريخية، بل عن واقع يلا وجود الكنيسة ووجود كل مسيحي ويعيش فيها.

(ج) إن أوثق صلات الكنيسة بالشعب اليهودي «إنسانية» المسيح. إن الكنيسة

لا تستطيع أن تنسى — ولا ويد أن تنسى — أن الله<sup>(١)</sup> لما أصبح أخاً للبشر (اختار) أن يكون يهودياً . وبتعبير آخر ، أن مخلص العالم عاش ومات على افه شخص من الشعب الذي أنعم الله عليه فاختاره واعتنى به . ولا يسع الكتبة ان تنسى أيضاً أن مريم أم يسوع كانت من بيت داود ، وان الرسل والخواريين (لاميذ المسيح) كانوا من نسل إبراهيم ، وان هؤلاء جميعاً قد قضوا أيام طفولتهم بين أبناء إسرائيل .

(ه) ومع ان السكان القدماء في القدس كانوا كلهم من اليهود الذين آمنوا بيسوع مسيحاً مهدياً ، فان القسم الأكبر من الشعب اختار لم يؤمن بيسوع مسيحاً . ولقد استنتج اهل المصور الماضية من ذلك ما يلي : بما أن اليهود يحملتهم (بمجموعهم) لم يؤمنوا بيسوع مسيحاً ، فان جميعبني إسرائيلأخذوا بهذه الجريمة . فالجتمع المسكوني يعلن — خلافاً لذلك — انه من الخطأ ان يستنتاج الإنسان من الكتاب المقدس مثل هذه النتيجة . . . .

(و) فاتهام الشعب اليهودي بحملته ، إذن — من عاش منه في الماضي ومن يعيش منه اليوم — باطل : إنه انساق في الضلال وارتکاب للظلم . أما فيما يتعلق بالذين أرادوا قتل المسيح ، فانهم زمرة قليلة العدد من اليهود ورومانی واحد وحفلة من السوريين التابعين للكتبة العاشرة التي كانت مرابطة في فلسطين . وقد قال السيد المسيح عنهم كلهم — كما قال رسله بعده — : اغفر لهم ، (بأرب) ، فانهم لا يبدون مما يفعلون ! (٢٠٦: ٢١١) .

### إذاعة الوثيقة في الصحف العالمية

إن الوثيقة التي أقرها المجتمع المسكوني الثاني نشرت في منشورات الجميع ، وهذه منشورات قلما يطلع عليها جمهور القراء . من أجل ذلك دفعت خلاصة الوثيقة والغاية الأساسية منها إلى وكالات الأنباء العالمية فوزعتها الوكالات على صحف العالم . نشرت جريدة النهار ما يلي<sup>(١)</sup> :

(١) هذا هو التعبير الوارد في الوثيقة إلى اليهود .

(٢) بيروت ، بتاريخ ١٢-١٢-٦٩ ، الصفحة الاولى (راجع الصحف الباقيه) .

### وثيقة أقرها الفاتيكان

طلب من الكاثوليك الاعتراف بالمعنى الديني لدولة إسرائيل \*

في يورك - ١١ كانون الأول (ديسمبر) - أب - (اسوشياتد برس) أذاع رئيس  
أساقفة بالتيمور الكاردينال لورنس شيهان أمس وثيقة أقرها الفاتيكان عن العلاقات  
الكاثوليكية - اليهودية ، ترمي إلى إزالة العداء التاريخي بين أنبياء الديانتين . وكانت  
أمانة الفاتيكان لتشجيع الوحدة المسيحية (قد) أقرت هذه الوثيقة في الأسبوع الماضي  
في روما . وحضر الكاردينال شيهان الاجتماعي الذي تم إقرارها فيه .

وذكرت الوثيقة أن على الكاثوليك أن يعترفوا بالمعنى الديني لدولة إسرائيل بالنسبة  
إلى اليهود وأن يفهموا ويختبرموا صلة اليهود بتلك الأرض .





## فهرس هجائي لاعلام الناس<sup>(١)</sup>

م = مكرر ، ح = في الحاشية

- ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٣٩ ، م ٢٤٧
- ٢٤٠ . م ٢٤٠
- الاسير - يوسف ٤٢ م .
- اغسطينوس (القدس) ١٥٧ م .
- افريقيبة ٢٥٤ .
- البا - ٧٤١ .
- النبي ١٨٦ .
- الامتيازات الاجنبية ١٣٢ .
- اوليفر - رولاند ٥١ .
- اوتفرا ١٥٤ .
- الابيو - قبائل ٢٥٢ .
- ايراني - جليل ٥٩ .
- ايرل - ارنست ميد ٤٣ .
- ايزاك - ج ٧٤ .
- ايزاك - يوليوب ٢٦٤ .
- ايزنهاور ١٩٦ .

### ب

- باتريك - ماري ميلر ٢٤ .
- بارسونز - ليفي ٢٦١ م .
- بارودي - بشاره ٥٩ .
- بارودي - مريم ١٠٠ .
- بازييه - شارل ٢١٠ م .
- بانى - رالف ١٩٠ م .
- بانى - رالف ١٩٠ م .

- ١٦٢
- آدم ٢١١ - ٢١٢ .
- ابراهيم ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٥٤ م .
- ابراهيم باشا ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٥٤ م .
- ابراهيم - حافظ ١٧٤ .
- ابن رشد ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- ابن عربى ٢٢٠ .
- ابن منظور ٢٢٧ ح .
- ابو شقرا - عارف ١٣٨ ح .
- ابو اللمع - اسماعيل ١٣٩ ح .
- اثشون - دين ١٩٦ .
- ادي ١٥٠ .
- ادي - ماري ٦١ .
- اديسون ٢٠١ م .
- ارسطو ٢٢٢ م .
- ارسلان - احمد ١٣٩ .
- استانهوب - استير ١٥٤ .
- اسحاق = يوليوب - ايزاك .
- اسرائيل (يعقوب) ٢٦٥ م .
- اسرائيل ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
- اسقلبيوس ٥٨ .
- اسكندر - ميخائيل سلمون ٢٦٣ .
- الاسلام ٢٥٩ .
- اسماعيل باشا ١١٨ ، ١١٩ ، ١١٩ ، ١١٩ م .

(١) لم نفهرس الاسماء الواردة في المصادر والمراجع ، سواء اكانت في قائمة المصادر والمراجع او في الحواشي . وقد فهرستنا عددا من الالقاظ غير الاعلام وجدنا فهرستها ضرورية .

٦٦

- ناكللي — جون ٤٠ ، ٨٦ .  
 نامر — محمد ٥٣ .  
 ترولمان ١٨٨ ، ١٩٦ .  
 ترويه ١٩٩ .  
 تريفقه لي ١٨٨ .  
 ترشيل ١٥٤ .  
 التطبيب ٥٨ .  
 التعليم ٦٥ .  
 تكلي = تكلي  
 التمييز المنكري ٤ .  
 توخمان — برباره ١٨٦ — ١٨٧ .  
 توفيق باشا ١٤٨ ، ٢٤٠ .  
 سيدور ( ملك العرشة ) ٢٤٥ م .

2

- جانشون - فرنسیس و کولیت . ۱۷۸

جایمس (الملک) . ۲۲۱

الجزائر . ۴۵۴

حسب - هنری . ۲۵

۳۶ ، ۴۰ ، ۴۳ ، ۴۴ م ، ۶۶ ، ۶۷ ، ۶۹ ، ۷۹ م ، ۹۶ ، ۱۱۹ ، ۱۱۸ ، ۱۱۰ ، ۹۸ ، ۹۶ ، ۱۰۸ ، ۱۰۰ م ، ۱۴۵ ، ۱۴۲ ، ۱۲۱ . ۱۹۹ ، ۱۰۹

جمال عبد الناصر . ۲۲۴

الجميل - بطرس . ۲۹

جنینة رسلان . ۱۲۲۶

چورچ (القديس) . ۴

جونس (المحترم) . ۱۱۸ م

چونسون (قصل) . ۹۶

٦٤

- ح - جوزيف ١٥٥ .  
 حام بن نوح ٢٠٠ .  
 جيش (بطريرك) ١٥٤ .  
 حتى - حبيب ١٠٠ .  
 حتى - فيليب ١٠٤ ، ١٤٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .  
 العرب الصليبية ٣٦ ، ١١٤ .  
 الحنفي - السيد عبد الرزاق

بابايك - صموئيل ٢٣٩ .  
 بسراون - لورانس ٣٧ ، ١٢٨ .  
 بريز - ١٣١ .  
 برندزوت ( الكويت ) ٣٢ .  
 بربنهايد - لودفيك ٩٨ .  
 البستاني - فؤاد أفرام ٢٨ .  
 بيتر ١١٩ .  
 بشير الثاني ١٣٧ م ، ١٥٣ م ، ١٥٤ م .  
 بشير ملحم ( الثالث ) ١٣٨ م .  
 بقراط ٥٨ ، ٥٩ .  
 بكر ٢٦ .  
 بلدوين ( بشير ) ٤٣ م .  
 بلس - دانيال ٦٣ م ، ٦٩ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ م ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٠ .  
 بلس - فريديريك ٤٠ - ٤١ .  
 بلس - هوارد ٨١ ، ٩٩ - ١٠٠ .  
 بلغراف - وليم ٢٥ .  
 بلغور ١٨٦ - ١٨٧ .  
 بلور - هنري ١١٩ م .  
 بندكتوس ( بابا ) ١٩٥ .  
 بنزو - ٤٥ - ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٨ - ٦٩ .  
 بن نبي ٢٥٠ .  
 بواعت التبشير ٣٤ .  
 بوته - رينه ٤٤ م ، ١٢٦ .  
 بولص السادس ( بابا ) ٢٤٨ م .  
 بيا ( كاردينال ) ٢٦٤ م .  
 بورر ١٨٩ م .  
 بوست - جورج ٦١ ، ١٠٤ .  
 بولارد - ريدر ٥٠ .  
 بومان ١٣١ .  
 بوناشيتا ١٤٢ ، ١٤٣ .  
 بونفيس ٢١٠ م .  
 بيفيرا ٢٥٣ - ٢٥٤ .  
 بيبانكي - جان ١٤١ م .  
 بيدو - جورج ١٧٨ .  
 بيفر - بيرس ٢٥٤ - ٢٥٦ .  
 بيوس التاسع ( بابا ) ٤٤ م .

- |                                   |   |
|-----------------------------------|---|
| ريشان ٢١٨ م                       | ١٥٩ .                                   |
| الزنج ٤ .                         | حسين - طه ٢٥٠ .                         |
| زويم صموئيل ٣٨ م ١٤٥٦ - ١٤٦٦      | الحصري - ساطع ٨٤ - ٨٦ .                 |
| ١٦٩ م ١٧٤ ، ١٧٤ م                 | الحكيم - عمر ١٧٧ - ١٧٨ .                |
| س                                 | حكيم ( المطران ) ٢٢ - ٢٣ .              |
| ساراي ١٢٢ م ١٢٤ ، ١٢٤ م           | حنا - الدكتور جورج ٣١ م ٣١ .            |
| سارطون - جورج ٢١٩ ، ٢٥١ م         | الحوار ٤٥٧ .                            |
| سام بن نوح ٢٠٠ م                  | جيندر ( الامير ) ١٥٨ .                  |
| سانجور ٤ - ٤ .                    | خالدي - الدكتور مصطفى ١٠٠ - ١٠٧ ، ١٠٧ . |
| سعادة - انطون ٩٢ ، ٩٠             | الخطيب - عدنان ٢٢١ .                    |
| سعد - طانيوس ١٠٠ م                | الخطيب - محب الدين ١٠ .                 |
| سعید باشا ١١٨ م ١٤٧ ، ١٤٧ م       | الخليفة - خليفة المهدى ٢٤٠ .            |
| سكنین ( قنصل ) ١١٩ م              | الخوري - رشيد سليم ٣٥ .                 |
| سلطانين باشا .                    | الخوري - شكري ٢٢٤ .                     |
| سلستين ( بابا ) ٧٧ م              | الخولي - بولص ١٠٠ ، ١٤٤ .               |
| سلیمان ( السلطان ) ١٣٣ م          |   |
| سنكلر ١٩٦ .                       |   |
| سميث - ولبرت ٢٠٢ .                | د . ديمون ١٥٥ .                         |
| سميث - عالي ٢١٠ .                 | دانبي ٦٧ - ٦٨ .                         |
| السياسة ١١٣ .                     | دانشي ٢٢٠ .                             |
| سيمون ( القس ) ٣٧ .               | داود ٢٦٥ .                              |
| ش                                 | داود باشا ١٥١ .                         |
| شارلنان ١٣٢ م .                   | دنديفر ٤١ .                             |
| شافتسبري ١٨٥ م .                  | ذبيس ١٥٠ .                              |
| شانتور ( الاب ) ٣٨ م ٥٤ ، ٥٤ .    | ده لا فورست ١٣٣ .                       |
| شاهين - طانيوس ١٤١ .              | دووج = ضودج .                           |
| شتراوس - اوسكار ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ . | دوغلاس - المر ١٩٤ .                     |
| شتراست ٢١ .                       | دومينيك ١٢٥ .                           |
| الشرق الاذني ٢٥٨ .                | دي فورست ٩٥ .                           |
| شكسبير ٢٣١ .                      |   |
| شمعون - نجيب ٥٩ .                 | د ، ذ                                   |
| شهاپ - آل ١٣٨ .                   | رايد ( مبشر ) ١٩٣ .                     |
| شهود ٢٥٥ .                        | رباط - أدمعون ٣٠ .                      |
| شوفلر ١٥٢ .                       | رسنم باشا ١٥٠ .                         |
| شوفي ١٤٨ ، ٧٦ .                   | رسل ١١٨ - ١١٩ .                         |
| شيهان - لورنس ٢٦٦ م .             | رشتر - يوليوس ٣٦ - ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤         |
| ص ، ض                             | ، ١٤٥ ، ١٤٢ ، ١١٤ ، ٩٨ ، ٤٤             |
| صالغ - ابيس ١١ م ١٣٩ ، ١٥٢ .      | ١٥. ١٧١ ، ١٧٢ م ١٧٢ ، ١٧١ .             |
|                                   | روبرتسون ٢٠٣ .                          |
|                                   | روبيسون ١٧. ١٧ .                        |
|                                   | ريتشرد قلب الاسد ١٨٦ .                  |

غلاستون ١٨٥ .  
الغلابي - الشيخ مصطفى ٦٣ .  
غوردن ١١٠ م ١٤٩ ، ١٨٥ م ١٤٩ ، ٢٣٩ .  
غودل - وليم ٢١٠ .  
غوسية - بيار ورينه ١٥٤ - ١٥٦ .  
غيومان - ٧٥ ه .

### ف ، ق

الفاخوري - الاب يوحنا ٢٢١ م .  
فان اس ١٨٤ .  
فانديك - كارنيليوس ٤٨ ، ٦١ ، ٩٥ ، ٨٠ .  
فاديك - هنري ١٠٤ .  
فرنسوا الاول ١٣٣ م .  
فروخ - عمر ٢٩ ، ٨١ ، ٨٣ ح ٨٣ ح .  
فريج ( المركبزة ) ٢١ .  
فريحة - انيس ٢٢٥ - ٢٣١ .  
فكوريا ٢٤٥ .  
فلسطين ٢٥٧ .  
فهمي - عبد العزيز ١٩٦ ، ١٢ .  
فورد ٩٦ .  
فورست ٩١ ، راجع ده فورست ،  
دي لا فورست .  
فوتنين - بيار ٢٣٤ - ٢٣٥ .  
الفيروزابادي ٢٢٧ ح .  
فيزمار - ادولف ٤١ .  
فيلاسكيز ١٢٣ ، ١٢٤ .  
القدس ٢٥٨ .  
قرطباوي - انطون ١٦٣ .  
القوتلي - شكري ١٦٥ .

### ك ، ل

كتيبة - داود ٥٩ .  
كاش - ولسن ١٨٢ - ١٨٣ .  
كانج - سترافورد ١٢٠ .  
كالمون - كلهون .  
كرم - يوسف ١٢٠ م .  
كروفورد - ستيوارت ٥٩ .  
كرومر ١٤٨ ، ١٤٩ - ٢٣٨ .  
كتاب - ماري ١٠٠ .

١٥٤ .  
صروف - نواد ١٠٨ .  
الصلب الاحمر ٣١ .  
صموئيل - هوبرت ١٨٤ .  
الصهيونية ٢٥٨ .  
ضودرج - آسا ٦١ .  
ضودرج - بيارد ٥٩ ، ٨٢ ، ١٠٠ - ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٤٠ .  
ضودرج - ستيوارت ٦٦ .  
ضومط ( امراة جبر ) ٥٩ .  
ضبا - محمد ٤ م .

### ط ، ظ

الطائفية ١٦٠ .  
طعمة - جورج ١٧٦ - ١٧٧ .  
طومسون - وليم ٩٥ ، ٦١ ، ٤٠ .  
٩٦ م ٢١٠ .  
الظهير البربرى ١٥٨ .

### ع ، غ

عباس الاول ( الخديوى ) ١٤٧ .  
عبد الله بن محمد الفقيه = خليفة  
المهدى .  
عبد الكريم الخطابي ١٢ .  
عبد الكريم - مفید ٥٩ .  
عبد الناصر = جمال عبد الناصر .  
عبده - الشیخ محمد ١٠٣ .  
عرابي باشا ١٤٨ .  
عزام - عبد الرحمن ١٨٨ .  
عطاطا - موسى ١٣٦ م .  
عقلق - ميشال ٢٤٧ م .  
علي رضا باشا ١١٩ .  
عمر ٢٤٩ .  
عمر باشا النمساوي ١٣٨ م .  
عمرو بن كلثوم ٥٠ م .  
عواد - خليل ٥٩ .  
عيسى = المسيح .  
غاردنر ٣٦ ، ١١٥ م ١٤٥ .  
غروف ٢٤٢ .  
غرونباو ٢٤٩ - ٢٥١ .  
غريفوريوس السادس عشر ٧٧ .  
غضن - الخوري مارون ٢٢٤ .

- |  |
|--|
| المرضي الزبيدي ٢٢٧ ح .<br>المرشد - سليمان ١٥٧ م .<br>المحمصاني - احمد عمر ١٠٣ .<br>مدور - فريد ٨٢ .<br>المرأة ٨٦ .<br>مرمرة - الياس ٥٩ .<br>مريم ٤٠ - ٤١ .<br>المسيح ٣٥ ، ٣٩ ، ٤١ - ٤٠ ، ٤٤ ، ٤١ .<br>مصطفى كمال ٥٩ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ .<br>المهدى (المسيح المهدى المنتظر) ٨٣ .<br>المهدى (السودانى) ٤٤ ، ٤٤ ، ١١٠ .<br>موريسون ٥٩ ، ١٥٩ .<br>موسى ٤٠ .<br>موظ - جون ٥٠ .<br>موليه - غي ١٧٨ .<br>ميليفان - آنا ٨٧ .<br><b>ن</b><br>نابوليون ١٦٧ .<br>نابوليون الثالث ١٣٥ م .<br>نارفيز ٢٣ ، ١٢٤ .<br>ناينتفايل - فلورانس ١٨٥ .<br>نايل - ستيفن ٢٦٢ .<br>نخلة - الاب روئائيل ٢٢٤ م .<br>النصارى في اسرائيل ٢٦١ .<br>نعيمة - انطوان ١٦٣ .<br>نقاش - الفريد ١٦٣ .<br>نقاش - جورج ٢٦ - ١٥٥ .<br>تلسون ٤١ ، ٤٠ .<br>نوح ٢٠٠ م .<br>نيجيريا ٢٥٢ .<br>نيكولي - ادوارد ٩٨ .<br><br><b>ك</b><br>الكفوري - جورج ٢٢٥ م .<br>كشنتر ٢٣٧ .<br>كرد علي - محمد ٢٢٠ - ٢٢١ .<br>كلاتس ٨٢ م .<br>كلهون ٤٩ م ، ٦١ ، ٩٥ ، ٦١ ، ٩٦ - ٩٥ .<br>كتعان ٢٠٠ م .<br>كولي ٧٢ .<br>كيرك - جورج ١٠٨ - ١٠٩ .<br>لاتوريت ١٤٦ - ١٤٧ .<br>لافت ١٦٧ .<br>لافيجيري ٤٤ م ، ٤٥ ، ١٢٥ - ١٢٦ .<br>لانسنغ ١٨٧ .<br>لاي (الاب) ٢٢٤ .<br>لبكي - كسروان ٢٦ - ٢٧ .<br>لل - رامون ٧٧ م ، ١١٥ م .<br>لوستير - ف ٧٥ .<br>لوشاتلية ١٠ م .<br>لومومبا ٢٤٦ م .<br>ليفنستون ٥١ م ، ١٨٥ ، ٢٣٧ .<br>ليونيان - لطفي ٤٠ م ، ١١٥ ، ٤١ م .<br>ليتز (الانسة) ٢٥٧ .<br>ليون الثالث عشر (بابا) ٧٢ .<br><br><b>م</b><br>ماراي - بنiamin ٧٠ .<br>مارتل - شارل ٧٣ .<br>مارغوليوث ٥٩ .<br>مارون (مار) ٢٨ .<br>المارونية ٢٨ .<br>ماسيبيون ٤٤ - ٥٠ ، ٨٣ ، ٨٩ .<br>١٦١ - ١٦٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ .<br>مامادو ديا = ضبا - محمد ٢٢٤ م .<br>مبارك (المطران) ٢٩ - ٣١ .<br>متزنخ ١٣٨ م .<br>المجتمع المكوني الثاني ٤٥٥ .<br>محمد رسول الله ٣٩ م ، ٤٢ م .<br>٦٢ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ - ١٣٩ .<br>محمد بن احمد = المهدى السودانى ١٣٩ .<br>محمد علي باشا ١٤٧ م ، ١٨١ م .<br>نيكولي - ادوارد ٩٨ .<br> |
|--|

ولسن (المبشر) ١٣٧ ح.	٥، ٦ و
وود ١٥٤ .	هاربر - ف ج ٤٢ .
ي	هاريس - إيرا ٦٢ .
يافت . ٢٠٠ .	هاريسون - بول ٥٩ .
اليافي - مساعد . ١٠ .	هايغ (الجزال) ٣٥ .
يسوع = المسيح .	هرتر ٩٦ .
يعقوب = اسرائيل .	هرون ٤٠ - ٤١ .
يعقوب (ملك ارغونة) ١١٥ .	هرون الرشيد ١٣٢ .
يوحنا الثالث والعشرين (بابا)	هول - وليم ٨٣ ، ٨٢ .
٢٥٧ .	هيلاسلاسي ٢٤١ .
يوحنا ٢٦٢ ، ٢٥٢ - ٢٦٤ .	وادسا باشا ١٥٠ - ١٥١ .
اليهود ٢٥٩ ، ٢٦١ .	واطسون - تشارلس ٥٢ ، ١٤٥ .
يوسف ٢٦٣ .	الوثيقة لليهود ٢٦٢ .
	وربات - يوحنا ٦٣ ، ١٠٤ .